



الجمهورية العربية السورية
الوزارة العامة للإفتاء والوقف والصدقات
مكتبة دار الإفتاء



النظام المصرفي اللاربيوي

مؤلف
البروفيسور محمد نجاة التدمري

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ - ٢٠٢٤ م

الناشر: المجلس الأعلى للدراسات والبحوث الإسلامية

النظام المصرفي اللاربوي

تأليف
البروفيسور محمد نجات الدين صديقي
ترجمة
د. عابد بن احمد سلامه
مراجعة الترجمة
د. أحمد داود المزجاحي

الناشر : المجلس العالمي بجامعة الملك عبد العزيز

فهرس لمحتويات الكتاب

١	تقديم
٢	مقدمة المؤلف للطبعة الأردنية
	الفصل الأول
٧	إنشاء البنك
	الفصل الثاني
١١	الأعمال المصرفية
١١	الخدمات غير المجانية
١٣	(أ) مشاركة البنك برأس المال
١٥	(ب) مضاربة البنك برأس المال
٢٢	الاستثمار في المشروعات القائمة
٢٥	شراء أسهم المشروعات
	الفصل الثالث
٢٧	البنك وأصحاب رؤوس الأموال
٢٧	حساب المضاربة
٣١	تحديد الربح والخسارة لحساب المضاربة
٣٣	الأموال المقرضة وإستخدامها في أعمال البنك
٣٤	حساب القروض
٣٦	المنافسة بين البنوك
	الفصل الرابع
٣٨	قروض البنك
٣٩	(أ) أهمية القروض قصيرة الأجل
٤١	(ب) كيفية الوفاء بهذه الاحتياجات من حساب القروض
٤٢	(ج) الحوافز لتقديم القروض اللاربوية
٤٤	(د) تحديد النسبة بين حساب القروض . . والقروض الواجب تقديمها
٤٥	(هـ) التوازن بين العرض والطلب على الائتمان
٤٦	(و) أجل القروض بدون فوائد

٤٧	(ز) الضمانات مقابل القروض
٤٨	(ح) النفقات الخاصة بالاحتفاظ بحساب القروض
٤٩	مشكلة السندات (الكمبيالة)

الفصل الخامس

٥٢	عملية توليد الائتمان
٥٢	طبيعة الائتمان المصرفي
٥٦	عملية توليد النقود
٥٧	الأمثلة
٦٥	إلغاء الائتمان المصرفي وتخفيض عرض النقود
٦٧	الربح والخسارة في العمل المصرفي وعملية توليد النقود

الفصل السادس

٧٠	البنك المركزي
٧٠	دور البنك المركزي ووظائفه
٧٢	اللوائح الأساسية
٧٥	١ تعديل نسبة الاحتياط النقدي
٨٠	٢ تعديل نسبة الاقتراض
٨٣	٣ الاستعمال التفضيلي لنسبة الاقتراض
٨٥	٤ - شراء وبيع الاسهم
٨٨	٥ التعديلات في نسبة الاقتراض
٩١	٦ - استعمال أدوات أخرى متنوعة

الفصل السابع

٩٢	النظام المصرفي والمالية العامة
٩٣	النفقات والإيرادات العامة
٩٥	توفير رؤوس الأموال على أساس المشاركة أو المضاربة
٩٦	أسهم المضاربة الحكومية
٩٩	أسهم المشاركة في المؤسسات العامة
١٠٢	القروض الحكومية
١٠٥	شهادات القروض
١٠٨	شهادات القروض الحكومية والنظام المصرفي
١٠٩	أسهم الشراكة في المؤسسات الحكومية والنظام المصرفي

الفصل الثامن

١١١	القروض المقدمة للمستهلكين
١١١	حاجات المستهلكين
١١٢	مصادر القروض
١١٣	القروض المقدمة من البنوك الى المستهلكين
١١٣	حق السحب على المكشوف
١١٥	شهادات البيع

الفصل التاسع

١١٩	بعض الايضاحات
١١٩	١ - تدفق المدخرات
١٢٣	٢ عرض الأموال في قطاع الأعمال
١٢٣	٣ توفير الأموال للقطاع العام
١٢٤	٤ الأرباح في الأعمال المصرفية
١٢٤	٥ السيولة
١٢٥	٦ النظام المصرفي اللاربوي والدولة

ملحق

كتابات في النظام المصرفي
اللاربوي حتى عام ١٩٦٣م

١٢٧	باللغة الأردية
١٣٠	باللغة الانجليزية
١٣٢	باللغة العربية

« تقديم »

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

لقد سّر الجامعة أن مُنح أحد أساتذتها وهو الدكتور/ محمد نجاة الله صديقي جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية (في مجال الاقتصاد) عام ١٤٠٢ هـ .

وقد اهتم المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي . حيث يعمل د. صديقي ، بأن ينقل الى العربية بعض كتبه التي منح الجائزة على أساسها .

ويسعدني الآن أن أكتب هذا التقديم للترجمة العربية لكتاب (النظام المصرفي غير الربوي) الذي مثل عند صدوره للمرة الأولى بالأردنية عام ١٩٦٩م خطوة رائدة في مسيرة الفكر الاسلامي في موضوعه . وإن الجامعة ، بدعمها لجهود البحث والنشر في المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الاسلامي لترجو أن تُعزّز رسالتها التعليمية تجاه الأجيال الصاعدة من طلابها بتقديم علم الاقتصاد الحديث لهم من منطلقات إسلامية أصيلة . كما ترجو بذلك أن تساهم إيجابياً في مسيرة الفكر الاقتصادي العالمي .

مدير الجامعة

د. رضا محمد سعيد عبيد

مقدمة المؤلف للطبعة الأردنية

لقد خلّصنا الإسلام بتحريمه الربا (الفائدة) من شكل كربه من أشكال الظلم والطغيان التي سادت المجتمع الإنساني ، ولاشك في أن استمرار وجود مؤسسات تتعامل بالربا في عصرنا هذا يشكل تحدياً كبيراً لأولئك الذين يحاولون - في هذه الأيام - إحياء نهج الإسلام في الحياة وإعادة بنائه . وفي النظام الإقتصادي المعاصر ، نجد أن الفائدة (الربا) تحتل مركزاً مهماً في المشروعات الاقتصادية ، ولاسيما أن النظام المصرفي بأسره يقوم عليها . فإذا أردنا صياغة الحياة الاقتصادية على منهج الإسلام ، فلا بد من إقامة نظام مصرفي غير ربوي يعمل بكفاءة . ومما لا شك فيه أن النظام المصرفي يقدم خدمات أساسية مفيدة ، لا يمكن بدونها إقامة إقتصاد حديث ومتقدم . وهناك بالمقابل إجماع بين علماء الإقتصاد والمسلمين ، على أن النظام المصرفي يمكن تنظيمه على نحو يؤدي فيه وظائفه العادية بدون اللجوء إلى الفائدة . ويتفق هؤلاء الخبراء . . أيضاً . . على أن إعادة تنظيم البنوك . . وفق النقط الإسلامي . . يمكن أن . . يتحقق على أساس المباديء الإسلامية المتعلقة بالمشاركة في الربح ، مثل المضاربة . . أو ما شابه ذلك من المشاركات الأخرى . وحتى إعداد هذا الكتاب ، لم يتم وضع تصور مفصل لكيفية إنشاء نظام مصرفي وفق المباديء الإسلامية ، وكذلك لم توضح إجابات مفصلة عن كيفية قيام البنوك غير الربوية بنفس أعمال البنوك الحديثة .

وقد بذل المؤلف جهداً للإجابة عن هذه الأسئلة في هذا الكتاب « النظام المصرفي غير الربوي » . . وبالنظر إلى حجم المشكلات التي يمكن أن تواجه هذا النظام ، فإن هذا الكتاب ، يعرض - في الواقع - الملامح الرئيسة لهذه المشكلات ، وإن كان كل منها يحتاج إلى مناقشة مفصلة . كما قام المؤلف بعرض ملامح هذا النظام لكي يتدبرها القراء ويبدوا آراءهم فيها . وإن علماء الاقتصاد والشرعية ، يمكنهم - عن طريق دراسة هذا الموضوع الجديد - التوصل إلى نتائج صحيحة ، تتفق ووجهة نظر المباديء الاقتصادية العامة ، ومقبولة لدى المفكرين من الناحية الشرعية .

وقد سبق للمؤلف أن بيّن بعض مباديء الشريعة الإسلامية في المضاربة والمشاركة في بحث مستقل^(١) ، وليس ثم ما يدعو إلى إعادة ذكرها هنا . وستبنى مناقشة هذه القضايا في هذا الكتاب على

١ - محمد نجاته الله صديقي « الأصول الشرعية للشركة والمضاربة » ، المنشورات الإسلامية ، لاهور ١٩٦٩م ، (بالأردنية) .

ما أجمع عليه علماء المسلمين ، من أن الفائدة ، وكل شكل من أشكالها - بما في ذلك الفوائد المصرفية والتجارية - محرمة في نظر الإسلام .

ويستطيع كل من يرغب في دراسة المبادئ الشرعية التي حرمت الربا ، أو في بيان الأساس الفكري لهذا النظام ، أن يرجع الى المراجع المختصة^(٢) .

وليس من الضروري أن تناقش دور البنوك الحديثة ووظائفها ، فمن يرغب في معرفة هذه المسائل ، فهناك العديد من الكتابات في هذا الموضوع . وهذا الكتاب - يناقش بالتفصيل - كيفية إنشاء البنوك على أساس المشاركة والمضاربة ، وكيفية قيامها بوظائفها العادية . ولاشك في أن المناقشة في هذا الإطار ، ستثير مشكلات عدة ، تتعلق بالسياسة النقدية ، أو بسياسة الميزانية . غير أن مناقشة هذه القضايا - في هذا الكتاب - غير ممكنة ، وسوف يتعرض لها الكتاب . . بشكل عابر . كلما دعت الحاجة إلى ذلك . وفي العصر الحديث تتمتع المؤسسات المالية الوسيطة - مثل شركات التأمين ، والشركات التعاونية للإنشاء والتعمير ، وشركات الاستثمار ، إلى جانب البنوك التجارية - بأهمية متزايدة ، وتلعب دوراً كبيراً في تعبئة المدخرات وإستثمارها في بعض العمليات المتعلقة بالتكوين الرأسمالي . كما أن أنشطة هذه المؤسسات ، تؤدي إلى زيادة تدفق الائتمان ، ولا يمكن تجاهل تلك الأنشطة عند مناقشة السياسات النقدية . . مناقشة شاملة ، بل لابد من دراسة طبيعة ومجال هذه المؤسسات . . دراسة مفصلة . . في إطار اقتصادي غير ربوبي . وسوف لن نتعرض لكل هذا في كتابنا ، وإنما سنناقش هذه المشكلة . في ضوء المفهوم المتعارف عليه لوظائف النقود والمصارف . وهو في منهج لا يمكن إغفاله في بداية النقاش لهذا الموضوع .

وعند دراسة النظام المصرفي غير الربوي . لابد من أن يكون ماثلاً في الأذهان ، أنه لا يكتب النجاح لمثل هذا النظام ، إلا في بلد يحرم الفائدة ، ويعد كل صفقة تقوم على الفائدة جريمة يعاقب عليها القانون . وعليه فانه إذا لم يطبق هذا القانون تطبيقاً صارماً ، فإن بعض أرباب المال سيتمكنون من إلحاق الضرر بمصالح الناس العامة ، من أجل تحقيق مصلحتهم الشخصية ، كما أن صفقات الفائدة ، أو المعاملات بالفائدة ، ستدخل السوق السوداء ، فتفسد بذلك نظام البنوك غير الربوية . وعلاوة على هذا الشرط الضروري ، هناك متطلبات أخرى لقيام نظام مصرفي لاربوبي ناجح . كأن تكون هناك ترتيبات خاصة للضمان الاجتماعي . . لرعاية المستهلكين المحتاجين ، وأن يحارب الاكتناز عن طريق فرض الضرائب . هذه الشروط . . وامثالها ، إنما تتحقق وتؤدي ثمارها . . عندما يقوم المجتمع بتحريم الربا ، ويعمل على

٢ - أبو الأعلى المودودي « الربا » ، المنشورات الإسلامية ، لاهور ١٩٦١ م .

المفتي محمد شفيع « مسألة الربا » ، إدارة المعارف ، كراتشي ١٣٨٠ هـ (بالأردية) .

محمد فضل الرحمن « الربا التجاري » ، قسم أصول الدين . جامعة عليكرة الإسلامية . ١٩٦٧ م .

(بالأردية) .

تعزيز القوانين الإسلامية الأخرى ، بشكل يؤدي إلى تحقيق وصيانة أهداف الأفراد والجماعات . . ضمن إطار إسلامي للحياة . وإلى جانب هذه الإجراءات الجماعية ، يجب أن يتسم كل عضو في المجتمع (أو الغالبية) بالأمانة . والتضحية ، والإحساس بالمسؤولية ، وهذا ما يدعو إليه الإسلام الحنيف . وعندما يتوافر كل ذلك ، يمكن للنظام المصرفي غير الربوي . . أن يعمل بصورة ملائمة ، وأن يؤدي إلى نتائج رائعة . وبالمقابل . . إذا لم تتوافر هذه الجوانب الأخلاقية لأفراد المجتمع ، وتبع الناس أهواءهم ، فإن ذلك يؤدي إلى وجوب إتخاذ مزيد من الإجراءات القانونية ، لضمان قدر أكبر من النجاح في إدارة النظام المصرفي غير الربوي ، وإلا فإنه سيسبب ضرراً بالغاً بفعالية النظام المصرفي المقترح . . . وبجدواه .

محمد نجاة الله صديقي

قسم الاقتصاد

جامعة عليكرة الإسلامية/الهند

٧ شوال ١٣٨٨ هـ

٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ م

الفصل الأول

« إنشاء البنك »

※

يمكن أن يقوم البنك على أساس مباديء شركة العنان^(١) . إذ يتولى عدد من الأشخاص ، وهم المساهمون ، تقديم رأس المال اللازم لتمويل المشروعات من أجل تقديم الخدمات والحصول على عوائد يتم إقسامها على أساس المشاركة أو المضاربة . والحد الأدنى لعدد المساهمين هو شخصان . . . وليس هناك حد أقصى من الناحية النظرية ، إلا أنه يستحسن - لتقديرات محلية ولأسباب أخرى - أن يكون هناك حد أقصى ، يختلف باختلاف الظروف الزمنية والمكانية ، فيمكن أن يكون عدد المساهمين كبيراً أو صغيراً ، وذلك حسب مقتضيات مصلحة العمل .

وربما يتساوى المبلغ الذي يدفعه كل واحد من حملة الأسهم أو يختلف ، لذلك من الأفضل تحديد قيمة السهم بمبلغ معين ، على أن يسمح لكل شخص بالحصول على ما يريد من الأسهم . ويمكن تحديد الحد الأقصى والأدنى لرأس المال المكتتب به ، ومن ثم يصبح كل حامل سهم في النهاية مالِكاً للبنك بمقدار ما يملك من أسهم رأس المال المستثمر .

وفيما يتعلق بأرباح البنوك ، يحسن توزيعها حسب حصص رأس المال (قيمة الأسهم) . ولهذا الغرض . . . يمكن تقسيم إجمالي أرباح البنك على إجمالي الاستثمار . . . من أجل تحديد النسبة المئوية للأرباح التي يمكن دفعها إلى كل واحد من حملة الأسهم . ويمكن أن يؤخذ في التقدير عند توزيع الأرباح ، أن بعض المساهمين ربما يكون أقدر وأنشط من البعض الآخر . وربما يقوم بدور فعال في تعزيز نشاط البنك ، أو يكون أكثر تحملاً للمسؤوليات ، إلا أنه - من أجل سلامة العمل وسهولته في البنك -

١ - شركة العنان : هي أن يتفق شخصان أو أكثر على الاشتراك في مشروع معين . . . بمبلغ محدد من المال ، وقدر معلوم من العمل . ونسب معينة من الأرباح أو الخسائر . وليس من الضروري أن يشترك كل شريك في إدارة العمل فعلاً . كذلك لا يمكن أن يمنع من هذا الاشتراك . إذ من حيث المبدأ له الحق في إدارة ، سواء تمكن من ممارسة حقه ممارسة فعلية أم لا .

أنظر : الأصول الشرعية للشركة والمضاربة (مرجع سابق ص ١٥ - ١٦) . يستطيع أي شخص أن يؤسس بنكاً . برأس ماله الشخصي . كما تستطيع الدولة أن تؤسس بنكاً إلا أن إنشاء البنك يحتاج عادة إلى رأس مال كبير . مما يستوجب إسهام أشخاص كثيرين . ولذلك لم تناقش الوسائل الأخرى لإنشاء البنوك لأنها تثير مزيداً من النقاش . كما أن الأسس التي طرحها هذا الكتاب - فيما يختص بتوزيع الأرباح بين المساهمين - تعد قابلة للتطبيق عموماً .

لابد من إيجاد نظام جيد للمحاسبة . وعلى مقتضاه يتم توزيع الأرباح على أساس عدد الأسهم التي إكتسبها كل مساهم . أما معالجة الخسائر في ضوء مبادئ الشريعة المتعلقة بالمشاركة فتقتضي أن يتحمل حملة الأسهم كل الخسائر التي تقع على البنك في أية سنة . ولا يمكنهم التهرب من المسؤولية . وعليهم أن يشاركوا في الخسارة بما يتناسب مع عدد أسهمهم^(٢) .

فإذا ما لجأ البنك إلى توسيع عمله بالحصول على أموال جديدة في شكل قروض أو مشاركات . إلترزم بهذا جميع المساهمين . ويمنح البنك كل الصلاحيات اللازمة لتقديم القروض إلى الأفراد أو المنظمات أو القيام بإستثمارات . ومن صلاحياته أيضاً . . أن يقوم بتوفير الخدمات الإدارية والتنفيذية اللازمة للموظفين . وكذلك تأمين المواصلات والمباني اللازمة لعمله . ولمواجهة هذه النفقات اللازمة لسير العمل ، لابد من السماح للبنك بأن يسحب من رأس ماله .

وفضلاً على ذلك ، فإن أي شريك يسمح له - بصفته الخاصة - بالإشتراك في أي عمل أو مشروع . وبأن يستثمر الأموال أو يقبل القروض على أساس المشاركة أو المضاربة . إلا أن أعمال هذه المشروعات الخاصة بهذا الشريك ، لا علاقة لها بعمل البنك .

وتتخذ جميع القرارات الرئيسة الخاصة بأعمال البنك . عن طريق التفاهم بين الشركاء . أما إذا كان عدد الشركاء كبيراً ، فيمكن تفويض سلطة إتخاذ القرارات إلى مجلس الممثلين . أما القرارات الخاصة بشؤون العمل اليومي العادي فتترك للمديرين الذين يتم تعيينهم وفصلهم بقرار من الشركاء أو من مجلس الممثلين .

إن عمل البنوك عمل مستمر . فلا بد لذلك من الأخذ بأسلوب مناسب لحساب الأرباح والخسائر بشكل يحقق مصلحة الشركاء ، ويتناسب مع طبيعة العمل . كما يجب أن يطبق هذا الأسلوب على البنك وشركائه . ومن المستحسن تدقيق حسابات البنك سنوياً . وأصدار بيان بالأرباح والخسائر . وبحسب نصيب كل شريك ، ويدفع له الربح الذي إستحققه . أما في حالة الخسارة ، فيجب إعلامه بأن حصته من الخسارة قد تم إقتطاعها من رأس ماله ، وهذا يعني إنخفاض رأس ماله . ويجدد إتفاق المشاركة كل سنة ، كما ينبغي الاحتفاظ بحساب كل سنة مالية على حدة . ولا تسترد أرباح الأسهم التي وزعت ، للتعويض عن الخسائر التي تظهر خلال السنة الجارية . ولا تسوى الأرباح المستحقة مع الخسائر التي تحققت في السنة الماضية . وفي حالة الخسارة . . يكون من حق الشريك أن يعرض العجز في استثماره الرأسمالي عن طريق تقديم أموال جديدة^(٣) .

ويكون لكل شريك الحق في أن ينسحب من الشركة متى شاء . وعند إستلام إخطار الإنسحاب من الشريك . يقوم البنك بإستكمال الحساب الإجمالي . وإعادة رأس مال الشريك . بالإضافة إلى

٢ - محمد نجاته الله صديقي « الأصول الشرعية للشركة والمضاربة » . ص ٢١ .

٣ - المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ . ومن الناحية التطبيقية ، يمكن تبني مثل هذه المعايير . . بأن لأطلب من حملة الأسهم رأس مال إضافي ، كما هو مبين في نهاية الفصل التالي .

الأرباح التي إستحقها . أما إذا كان من الضروري الإنتظار بعض الوقت حتى يكتمل الحساب الختامي . . . مثلاً حتى نهاية ربيع السنة الجاري ، فلا بأس في ذلك . كما يمكن أن يسمح للشريك بموجب إتفاق المشاركة بالإنسحاب في نهاية السنة المالية فقط . أو عند تسوية الحسابات في نهاية كل ربيع سنة . وبعد إنسحاب الشريك أو بعض الشركاء . تستمر المشاركة بين الشركاء الآخرين .^(٤) وتنتهي شركة الشريك كذلك بموته . وبعد إعداد الحسابات وفقاً لما سبق ذكره . يعاد نصيبه في رأس المال - بالإضافة إلى أرباحه . أو بعد تنزيل خسائره . . . إلى ورثته الشرعيين أو إلى الشخص أو الأشخاص المجددين في وصيته . إلا أن الورثة يمكن أن ينضموا إلى الشركة إذا رغبوا في ذلك . ولم يعارض الشركاء الآخرون^(٥) .

ولما كان البنك مرخصاً له بأخذ القروض ومنحها ، فإن الإلتزام المالي للشريك لا يقتصر على رأس ماله المدفوع فقط ، بل يجب أن يكون هذا الإلتزام غير محدود . حيث لا يمكن - من الناحية النظرية - فرض حد معين على البنك في أخذه ومنحه لهذه القروض . ومن ثم فإن الإلتزامات المالية لكل شريك سوف تكون غير محدودة . فإذا ما واجه البنك خسارة ضخمة في أعماله ، ولا تكفي مجموع أمواله سداد ديونه ، ترتب على الشركاء دفع العجز من أموالهم الخاصة^(٦) . ولكن إذا قام أحد الشركاء ببعض العمليات المالية بصفته الشخصية لا يترتب على الشركاء الآخرين مشاركته في التزاماته الناجمة من هذه العمليات . كما أن البنك ليس مسؤولاً عن الإلتزامات المالية للشريك . . فيما يتعلق بأعماله الخاصة^(٧) .

٤ - المرجع السابق . ص ١٣٠ .

٥ - المرجع السابق . ص ١٤٦ - ١٤٩ .

٦ - المرجع السابق . ص ١٢٠ - ١٢١ .

٧ - إن الغرض من جعل مسؤولية حملة الأسهم غير محدودة . هو حماية مصالح المودعين . لكن التجربة العملية أوضحت أنه . في حالة إفلاس البنك . من النادر إسترداد ما يكفي من المال لمواجهة التزاماته تجاه المودعين . وقد أدى هذا إلى إجراءات أخرى تتخذ لحماية مصالح المودعين . وهذه الإجراءات تتعلق بالإشراف المستمر على عمل البنوك . بواسطة البنك المركزي . وتؤسس البنوك عادة على أساس شركات مساهمة ذات مسؤولية محدودة تقع تحت سيطرة وإشراف البنك المركزي . وليس من السهل الدخول في المسائل الفقهية المتعلقة بهذا الأمر . ولكن توسع نشاطه النظام المصرفي يتطلب أن تنشأ البنوك على أساس المسؤولية المحدودة لحملة الأسهم . وأن يقوم البنك المركزي بوضع الضوابط الضرورية لحماية مصالح المودعين .

الفصل الثاني

« الأعمال المصرفية »

يمكن تصنيف أعمال البنك في ثلاثة أصناف :

- أ - الخدمات التي يقوم بها البنك نظير أجرة أو عمولة أو أتعاب محددة .
- ب - استثمار الأموال على أساس مباديء المشاركة أو المضاربة .
- ج - الخدمات المجانية .

وسوف نناقش في هذا الفصل النوعين : الأول والثاني ، أما النوع الثالث فسوف يبحث في الفصل الرابع .

الخدمات غير المجانية :

لما كان العائد المتوقع من هذه الخدمات أكبر من تكاليفها ، فإن هذه الخدمات تشكل مصدراً مهماً لأرباح البنك . كما تلبي احتياجات المجتمع . ولاسيما احتياجات قطاع التجارة . وهذه الخدمات تقدمها البنوك اليوم نظير أجرة أو عمولة أو أتعاب محددة ، ولا يوجد هناك ما يمنع من استمرار البنوك اللاربوية في القيام بها . ولمعرفة نوعية هذه الخدمات وكيف تقدم بالتفصيل ، يمكن للقارئ الرجوع إلى المراجع المختصة . وسوف تقتصر الدراسة في هذا المقام على بعض الخدمات المهمة التي تتناولها الفقرات التالية :

(أ) الخزائن :

يحتفظ البنك بخزائن لإيداع المجوهرات والأوراق والوثائق المهمة والأشياء الثمينة ، ويتحمل البنك مسؤولية حفظ الأشياء مقابل أجر معقول .

(ب) تحويل النقود من مكان إلى آخر :

يقوم البنك بتحويل مبالغ كبيرة أو صغيرة من النقود من مكان إلى آخر ، عن طريق الشيكات السياحية أو الحوالات المصرفية ، وإصدار خطابات الاعتماد ، ومختلف أنواع الإيصالات النقدية . ويتقاضى مقابل ذلك نسبة مئوية محددة ، أو أجراً محدداً . والبنوك الكبيرة لها فروع في أماكن كثيرة . أما البنوك التي ليس لديها مثل هذه الفروع ، فإنها تتعامل مع بنوك أخرى ، مما يقلل تكاليف هذه الخدمات ، ويسمح للبنوك بتقاضي أجور زهيدة تكون في مصلحة العملاء . وسوف يستمر تقديم هذه الخدمات في النظام المصرفي اللاربوي ، وهي تمثل مصدراً لدخل هذه البنوك .

(ج) يتقاضى البنك أجوراً نظير أتعابه في تخليص البضائع التجارية والأصناف الأخرى الواردة بطريق الجو أو البحر أو البر ، نيابة عن عملائه . أو في إستلام وتسليم بضائعهم . وسوف تستمر مثل هذه الخدمات في البنوك اللاربوية .

(د) شراء وبيع الأملاك المنقولة نيابة عن عملاء البنك - وإتخاذ الإجراءات القانونية الضرورية في هذا الصدد .

(هـ) تقوم بعض البنوك بمساعدة رجال الأعمال ، عن طريق تقديم خدمات إستثمارية ، والبدء في أعمال جديدة . أو التوسع في أعمال قائمة . كما تساعد في توريد أو شراء المعدات والمواد الخام والأشياء الأخرى . والواقع أن البنك يعمل مستشاراً لهم في أعمالهم التجارية ، ومسائلهم القانونية . وتستعين البنوك بخدمات الخبراء . حتى تستطيع تقديم هذه الخدمات ، وتدفع لهم أجوراً نظير ذلك وتتقاضى مقابل هذه الأتعاب مبالغ مناسبة من العملاء . وهذه المبالغ ليست فوائد . لذلك . . فلاغضاضة من إستمرار مثل هذه الخدمات في النظام المصرفي اللاربوي .

(و) وبالإضافة إلى ذلك فإن البنوك تقدم خدماتها إلى أصحاب الحسابات والعملاء ، في مجال الأمور المالية ، مثل شراء الأسهم ، أو إستثمار أموال العملاء في مختلف المؤسسات التجارية نيابة عنهم . فتقوم بتمثيل عملائها ، وتتلقى أرباح أسهمهم . وتحفظ هذه الأسهم في خزائنها . وهذه خدمات تتقاضى البنوك عنها أجوراً وسوف تستمر في النظام المصرفي المقترح .

وكما أوضحت آنفاً ، فإن قائمة الخدمات غير المجانية لاتنضب ، كما أن البنوك لاتزال تبتكر خدمات جديدة تلبي إحتياجات العملاء المتجددة ، وتقوم بجميع المعاملات التي من شأنها توسيع أعمالها ، وزيادة عدد عملائها ، وخيرتها ، ورفع سمعتها ، وتوسيع نشاطها على المستويين الوطني والعالمي ، مما يزيد من أرباحها . والبنوك إذ تؤدي مختلف أعمالها بسهولة ويسر ، إنما تتلقى إيرادات تزيد على تكاليف الخدمات التي تؤديها إلى عملائها ، أو إلى رجال الأعمال والشركات والمؤسسات الحكومية وغيرها . وقد تختلف أسعار الخدمات من بنك إلى آخر ، إلا أن المنافسة تجعل أسعار هذه الخدمات في الحدود المعقولة ، وإذا لزم الأمر . فإن البنك المركزي يمكن أن يتدخل لضمان اعتدال هذه الأسعار . إن المصدر الرئيس لأرباح البنك إنما يأتي من توفير رؤوس الأموال للراغبين في إنشاء مشروعات على أساس المضاربة^(١) ، أو على أساس شركة العنان . ولما كان هذان النوعان من الإستثمار يختلفان في

١ - المضاربة هي أن يقوم أحد الشركاء بتقديم رأس المال . ويقوم الآخر بإدارة العمل طبقاً لإتفاق يتسلم بمقتضاه نسبة مئوية محددة من إجمالي أرباح المشروع . ويمكن أن يقدم المال عدة أشخاص يقومون بإدارة أعمال . أي أن بعض الشركاء يقدمون المال ويديرون العمل معاً . ويمكن أن يكون المال من شخص واحد . وبعض الشركاء يديرون العمل معاً ، أو بعض الشركاء يقدمون المال ويقوم شريك واحد بإدارة العمل . وتعني الخسارة تقلص رأس المال الأصلي . وتوزع نسبة رأس المال المستثمر . أما الطرف الذي لم يستثمر في المشروع أي مال فإنه لايتحمل أية خسارة مالية . انظر : الأصول الشرعية للشركة والمضاربة ص ١٧-١٨ .

طبيعتهما ، ويختلفان كذلك من الوجهة الشرعية ، فإنه من الضروري أن يناقش كل نوع على حدة كما يلي :

(أ) مشاركة البنك برأس المال :

تُعد المشاركة عن طريق رأس مال البنك شكلاً من الأشكال المربحة لرأس المال ، والتي يمكن أن يستخدمها البنك ، ويصبح بموجبها شريكاً في العمل والإدارة مع أحد أصحاب المشروعات . ويقوم ممثلوا البنك وخبرائهم بالعمل مع صاحب المشروع . وينص عقد الشركة على طبيعة العمل ، وحدوده ، ومدة العقد ، ونسبة توزيع الأرباح ، أما الخسارة فيجوز تحميلها حسب نسبة رأس المال المستثمر . وعند استكمال العمل ، أو تصفيته ، أو إنتهاء المدة المحددة ، يتحدد الربح أو الخسارة . بعد استكمال جميع القيود المحاسبية الخاصة بالمشروع ، وتوزع طبقاً للمبدأ الذي ذكر من قبل . ويعاد رأس المال إلى الشركاء مضافاً إليه الربح ، أو مطروحاً منه الخسارة .

وعندما يقوم البنك بتوقيع عقد شركة لا بد من وجود نص على ألا تزيد الإلتزامات المالية على رأس المال المساهم به للإستثمار على أساس شركة الضمان . ويجب ألا تتوسع أعمال البنك فتزيد على رأس مال الشركة . وعندما يقدم البنك قروضاً أو يحصل عليها . يجب عليه أن يضع حداً ، بحيث لا تزيد الإلتزامات المالية للمشروع في أي وقت على جملة ودائع هذا المشروع النقدية وأصوله الأخرى .

ولقد شرح المؤلف مبدأ المسؤولية المحدودة عند شرحه لمبادئ الشريعة المتعلقة بالمشاركة والمضاربة ^(٢) . ولا بد من هذا التحديد وذلك أن جزءاً كبيراً من رأس مال البنك هو من أموال المودعين على أساس المضاربة . ولإدارة النظام المصرفي بكفاءة . لا بد من تحديد مسؤولية أصحاب الودائع ، ولن يتم ذلك إلا بقيام البنك بإستثمار رأس ماله على أساس مسؤولية مالية محدودة .

وفي حالة تقديم رأس المال على أساس الشركة . يملك البنك الحرية في وضع شروطه للوصول إلى إتفاق على كيفية توزيع الأرباح بين الشركاء . كذلك من الضروري تحديد نصيب البنك وشركائه في الأرباح على أساس نسبة مئوية . لأن يخصص مقدار معين لأي طرف . وفي ضوء ذلك يكون البنك حراً في أن يوافق على توزيع الأرباح بما يتناسب مع المبلغ المستثمر . أو ينسب أخرى متفق عليها . ويستطيع البنك أن يعقد إتفاقات مختلفة على معدلات توزيع الأرباح مع مختلف الشركاء .

وعند إعادة رأس المال الذي إستثمره البنك . في نهاية الشركة . يضاف الربح المتحقق إلى جملة أرباح البنك . وإذا خسرت بعض الشركات . غطيت هذه الخسارة من الأرباح المتحققة سابقاً . ولا شك أن بعض المشكلات تبرز عند تحديد الربح والخسارة . مثل المشكلات المتعلقة بتحديد أرباح مشروع قائم . أو بطريقة الدخول في مشروع قائم . أو الانسحاب منه . أو كيفية تحديد الربح والخسارة

في حالة قيام البنك باستثمار رأس ماله على أساس المضاربة . وكذلك إذا قام شريك البنك بنفسه باستثمار رأس مال أشخاص آخرين على أساس شروط المشاركة أو المضاربة وما إلى ذلك .
هذه الأسئلة سوف أتعرض لها في الموضع الملائم من هذا البحث . لكن من الضروري أن أوضح أن القروض الطويلة الأجل . يجب ألا تؤخذ على أساس النيابة عن الأعمال المشتركة . ذلك أن القروض تزيد من الإلتزامات المالية لهذه الأعمال . وكما ذكرت من قبل . فإن المشروعات التي يشارك فيها البنك يجب أن تبقى عملياتها ضمن حدود رأس المال الذي قدمه البنك لهذه المشروعات على أساس المشاركة والمضاربة .

أما القروض قصيرة الأجل ، فإنها تعد مشكلة مختلفة تماماً ، وسوف تعالج في الصفحات القادمة . ولا توجد من الناحية الشرعية غضاضة . إذا قام البنك باستثمار معين على أساس المشاركة ، ولم يشارك في الوقت نفسه في إدارة العمل ، وإن كان من حقه أن يمارسها من حيث المبدأ ، إلا أنها وضع غير عملي وغير مرغوب فيه ، إذ أن الشركاء - في مثل هذه الحالة - يفضلون الحصول على المال على أساس المضاربة . وليس هناك فرق بين المضاربة والمشاركة إذا كانت هذه المشاركة بهدف الربح بحيث لا يشترك الشريك فيها في إدارة العمل . وإذا حدثت خسارة ، فإنها تقسم بنسبة الاستثمار في المشاركة أو المضاربة . أما الربح ، فيقسم حسب الإلتفاق بين البنك والشركاء . وهناك دائماً احتمال أن يتم توزيع الأرباح بحيث يكون نصيب البنك في حالة المضاربة مساوياً لنصيبه في الشكل المقترح هنا « أي الشركة أو المشاركة » . فإذا قرر البنك عدم المشاركة في إدارة العمل ، وإكتفى بتقديم رأس المال على أساس الشركة ، فإن نصيب البنك في أرباح رأس المال المشارك لن يكون بنسبة استثماره بل يقل عنها ، ذلك أن المشاركين في إدارة العمل يكافؤون في حالة الربح بما يتناسب مع مجهوداتهم . وإذا لم يكن البنك راغباً في مثل هذا الإلتفاق ، فربما لا يجد من يرغب الدخول معه في مشاركة معه . وتكون المضاربة صورة مرغوبة ، إذا كانت نسبة الربح المتحققة من رأس المال الذي قدمه البنك محددة .

ويمكن توضيح هذا الأمر بمثال . نفرض أن أحد رجال الأعمال يريد أن يستثمر ١٠٠.٠٠٠ روبية . ويريد أن يحصل على المبلغ نفسه من البنك . فالصورة الأولى : هي أن يعقد البنك إتفاقية مشاركة بحيث يوفر رأس المال ، ويشارك في إدارة العمل . ولنفرض أنه في هذه الحالة تقرر توزيع الأرباح بالتساوي . فإذا افترضنا أن أرباح المشروع بلغت ٢٠.٠٠٠ روبية ، حصل البنك على ١٠.٠٠٠ روبية . وحصل الشركاء على مبلغ مماثل .

والصورة الثانية هي أن يدخل البنك في مضاربة . على أن يحصل على نصف الربح عن استثماره . فإذا كان الربح في هذا المشروع ٢٠.٠٠٠ روبية فإن نصيب المصرف منها ٥.٠٠٠ روبية . ونصيب الشركاء ١٥.٠٠٠ روبية . منها مبلغ ١٠.٠٠٠ روبية تمثل ربح رأس ماله . ومبلغ ٥.٠٠٠ روبية مقابل إدارتهم الناجحة لرأس المال المقدم من البنك .

أما الصورة الثالثة فهي أن يستثمر البنك مبلغ ١٠٠.٠٠٠ روية ، على أساس مبدأ شركة العنان . بدون أن يشارك في إدارة المشروع . في هذه الحالة : نفترض أن الشريك في المشروع وافق على توقيع عقد يتلقى البنك بموجبه ربع الأرباح . فيأخذ البنك في هذه الحالة مبلغ ٥٠٠٠ روية من الأرباح البالغة ٢٠.٠٠٠ روية . أما الـ ١٥.٠٠٠ روية الأخرى فتذهب الى الشركاء في المشروع . ولو طلب البنك ثلث الأرباح لفضل الشركاء صورة المضاربة التي سبق ذكرها أعلاه .

ولو وجد البنك نسبة أخرى للربح ، كما أوضحت أعلاه في حالة عقد المضاربة . لأمكن تعديل الصورة الثالثة . ولكن من الواضح أنه - في هذه الحالة - ليس هناك إختلاف فعلي بين صورتين « الثانية والثالثة » . ومن غير المجدي مناقشة كل منهما على إنفراد . ولو أراد البنك أن يشارك عملياً في إدارة المشروع . فإن عليه أن يستثمر أمواله طبقاً لمبادئ الشركة . أما في حالة عدم رغبته في المشاركة في إدارة المشروع . فإن الصيغة المناسبة - لتقديم أمواله في هذه الحالة - هي الصيغة القائمة على المضاربة . ويوضح تاريخ البنوك الحديثة . أن معظم البنوك التجارية - في أغلب دول العالم - إمتنعت عن استثمار أموالها في المشروعات الصناعية والزراعية . . على أساس الشركة . برغم ظهور هذه الإتجاهات في بعض الفترات وفي بعض الدول (٣) .

والهدف من هذا الكتاب هو تقديم مخطط مقبول وواضح وعملي لمصارف لاربوية . ولذلك . . سوف نبتعد عن المناقشة التفصيلية لبعض أنواع الأعمال المصرفية الخاصة . . المشار إليها سابقاً . وفي الصفحات القادمة نناقش الاستثمار - على أساس المضاربة - مناقشة تفصيلية ذلك أن هذا الاستثمار - من وجهة نظر المؤلف - هو الشكل الذي يضمن الإستخدام المربح لرأس مال البنوك التجارية التي لاتتعامل بالربا . إذ أن هذه البنوك تعنى بتقديم رأس المال للأطراف المشتركة في المشروع بدون إشتراكها في إدارة المشروع . وكما أوضحت من قبل . يستطيع البنك العادي أيضاً أن يأخذ بأساليب الاستثمار على أساس مبدأ الشركة . لكن من الضروري ألا يتوسع في العمل المشترك فيما وراء حدود معينة . وألا يقوم بإستثمار مبالغ كبيرة لفترات طويلة .

(ب) مضاربة البنك برأس المال :

أما في حالة تقديم رأس المال على أساس المضاربة . فإنه لايرخص للبنك أن يتدخل في الأعمال الروتينية للمشروع . ويمكن وضع بعض الشروط - بالتشاور مع صاحب المشروع - عند تنفيذ عقود الإنفاقية الخاصة بحقوق وواجبات أصحاب المشروع . على أن يلتزم بها جميع الأطراف . فمثلاً : لو نص

٣ - لقد كان لإدارة البنوك المباشرة في المشروعات دور كبير في التنمية الصناعية لأوروبا . وفي فرنسا تقوم بعض البنوك بذلك حتى الآن . وفي إسبانيا لايزال هذا الأسلوب متبعاً ويشارك ممثلو البنك في إدارة المشروعات . . . أنظر :

فى عقد الإئافاق بأن المال الذى يتم الحصول عليه من البنك سوف يستثمر فى تجارة أو صناعة ما ، فليس من حق صاحب المشروع استثمار المال نفسه ، فى أى مشروع زراعى أو صناعى آخر . كما أنه لو ذكر فى الإئافاق أن صاحب المشروع لن يرخص له بالدخول فى إئافاق للحصول على رأس مال إضافى من أى شريك آخر للاستثمار عن طريق الدخول فى إئافاق على أساس المضاربة أو المشاركة ، فإن هذا الشرط ملزم كذلك . ويمكن أن ينص - فى الإئافاق أيضاً - على أنه لا يجوز لصاحب المشروع شراء أية بضائع عن طريق الائئمان . وعلى العكس كذلك ، فإن الإئافاقية يمكن أن تتضمن عدم فرض قيود على أصحاب المشروع ، وإعطاءهم الحرية فى زيادة رأس المال للاستثمار ، على أن يؤخذ بعين التقدير حجم المشروع ، والتوسع المرتقب . وكذلك يمكنهم تنفيذ عقود إئافاقات جديدة مع شركاء آخرين .

على الرغم من الشروط المذكورة أعلاه ، والمتعلقة بعدم السماح للبنك بالتدخل فى العمليات الروئينية للمشروع ، فإن للبنك الحق فى أن يمنع صاحب المشروع من إئخاذ خطوات ، ربما تؤدي الى الخسارة ، بسبب سوء التخطيط ، أو عن نتيجة إرتكاب مخالفات أخرى . ويجوز للبنك أن يقوم بمراجعة حسابات المشروع ، وأن يسعى للحصول على المعلومات الخاصة بالقرارات المهمة ذات الصلة بالمشروع . إلا أن من الضرورى أن يحافظ البنك على أسرار المشروع ، وأن يمتنع عن إئخاذ أية خطوة تخلق آثاراً سيئة على المشروع . ويمكن أن تتضمن الإئافاقية ، بالإضافة إلى الشروط المذكورة أعلاه ، أية شروط أخرى تمنع أية تصرفات خاطئة أو الإهمال أو التراخي فى الرقابة . ومن الملائم أن يقوم مسؤولون من البنك المركزى بمثل هذه الوظائف المتعلقة بتدقيق الحسابات ومراجعتها ، على أن ينصب إئهتمامهم على تتبع أخطاء الإئافاقات المبرمة أو الأخطاء المتعلقة بسوء التخطيط . ويمكن هؤلاء أن يوصوا بإنهاء عقد الإئافاق . وإذا رغب البنك فى إنهاء الإئافاقية بعد فترة من الزمن ، وقبل إنتهاء الموعد المحدد ، بسبب أخطاء يرى أنها إرتكبت ، فعليه أن يعين بعض المسؤولين محكمين ، أو أن يلجأ إلى المحكمة ، ويقوم هؤلاء المحكمون (أو المحكمة) بالتحقيق فى الأخطاء ، وتتخذ القرارات بعد الاستماع إلى وجهات نظر كل من الطرفين ، على أن يكون قرارهم ملزماً للجميع . ويجب أن تتوافر الحماية القانونية لرأس المال المقدم من البنك لصاحب المشروع كما يجب سداد مضافاً إليه الأرباح أو مطروحاً منه الخسارة فى الوقت المحدد .

وأفضل إئافاقات المضاربة بين البنك وصاحب المشروع ، هى التى يكون فيها الأخير قادراً على استثمار رأس ماله فى المشروع ، أو يمكنه فيها الحصول على أموال من الآخرين على أساس المضاربة .

ويمكن لصاحب المشروع أن يقوم بشراء أو بيع البضائع لأجل فى حدود رأس ماله الإجمالى . وتوفير القروض قصيرة الأجل لاستثمارها فى المشروع . ومن هذا نخلص إلى أنه يجب الإئافاق على المبادئ التى سوف يسير المشروع على نهجها ، على أن يعطى صاحب المشروع الحرية التامة لوضع تفاصيل صفقاته . أما إذا أراد صاحب المشروع أن يدخل فى صفقة عمل بالمشاركة مع طرف آخر . فيجب أن توضح هذه الرغبة وقت عقد الإئافاق . ويجب الحصول على موافقة البنك عليها .

إن الاستثمار يحتاج دوماً إلى مبالغ كبيرة من المال في الأجل القصير ، فعمليات الإنتاج قبل أن تشرف على النهاية ويتم أخذ منتجاتها وبيعها في السوق ، ينبغي تغطية تكاليفها ، ولاسيما مايتعلق بها ، بدفع رواتب وأجور المستخدمين والعمال ، ونفقات المواد الخام مثل : نفقات شرائها وترحيلها . وهذه الاحتياجات لا يمكن تلبيتها عن طريق توفير المال على أساس الشركة أو المضاربة ، وإنما على أساس القروض القصيرة التي تسدّد عقب بيع البضائع مباشرة . وفي هذه الحالة تعدّ البضائع الجاهزة ضماناً لتسديد هذه القروض ، مما يجعل هذه القروض قروضاً سائلة ، والقروض قصيرة الأجل التي تقدمها البنوك الحديثة ، هي من هذا النوع في الغالب ، ومن الملائم أن تقدم المصارف لأصحاب المشروعات مثل هذه القروض قصيرة الأجل عند تنفيذ الاتفاقات المذكورة أعلاه . وسوف يتناول الكتاب - في الصفحات التالية - لماذا ولن تقدم مثل هذه القروض في إطار النظام اللاربوي .

وفي اتفاقات المضاربة ، لن يسمح لأصحاب المشروعات بالحصول على القروض طويلة الأجل نيابة عن المشروع . . ذلك أن هذه القروض تزيد الإلتزامات المالية للمشروع ، وتجعلها أكبر من رأس المال المشترك بينه وبين البنك . فإذا ما حصل على مثل هذه القروض واستثمرها في المشروع ، كان مسؤولاً بصفة شخصية عن تسديدها وانتفت مسؤولية المشروع عن سدادها ، على أن توفير القروض طويلة الأجل للقطاع الخاص في ظل نظام لاربوي ليس ملائماً من الناحية العملية ، لأنها لا توفر عائداً معقولاً للمقرضين .

وفيما يتعلق بمشتريات البضائع بالدين ، فإن القروض يجب أن تكون في حدود رأس مال المشروع ، وألا تزيد على رأس المال . وعلى صاحب المشروع مراعاة ذلك وفقاً للاتفاق . ولقد شرح المؤلف - في موضع آخر - شراء البضائع بالأجل في حدود رأس المال (٤) ، ولما كانت مصلحة أصحاب المشروع أن يحقق المشروع أرباحاً ، فالقروض أن يقوموا باتخاذ الخطوات التي تضمن حسن سير هذا المشروع ، ذلك أن أموالهم تتأثر بأي تصرف خاطيء .

ويتلقى البنك نسبة محددة من أرباح الأموال التي قدمها إلى صاحب المشروع . . ويتم تحديد هذه النسبة بموافقة الطرفين . ويجوز للبنك أن يحدد نسباً مختلفة من الربح باختلاف أصحاب المشاريع ، أو أن يحدد نسبة واحدة معهم . والامثلة التي نذكرها فيما يلي ، إفتراضاً فيها أن البنك حدد نسبة الربح على أساس المناصفة . لكن من الممكن عملياً تحديد أية نسبة أخرى يمكن أن تختلف باختلاف المشروع أو الموطن .

٤ - الأصول الشرعية للشركة والمضاربة ، ص ١١٢ - ١١٦ (بالأردنية) .

عند دراسة أسس توزيع الأرباح ، بين البنك وأصحاب المشروعات ، لابد من الأخذ في التقدير
إختلاف شروط الشركة ، وفيما يلي بعض الحالات :

(أولاً) : حالة قيام صاحب المشروع بإدارة مشروع حصل على رأس ماله من البنك فقط .

(ثانياً) : حالة قيامه باستثمار رأس ماله في المشروع ، بالإضافة إلى رأس المال الذي حصل عليه
من البنك .

(ثالثاً) : حالة قيامه باستثمار رأس مال آخر حصل عليه بطريق الاقتراض ، بالإضافة إلى رأس
المال الذي حصل عليه من البنك .

(رابعاً) : حالة قيامه باستثمار رأس مال إضافي حصل عليه من شريك آخر على أساس
المضاربة .

(خامساً) : حالة دخوله في شركة فعلية مع صاحب مشروع آخر يستثمر رأس ماله أيضاً في
مشروع مماثل .

(سادساً) : حالة إجتماع كل الحالات المذكورة أعلاه في حالة واحدة : استثمار رأس المال
الشخصي لصاحب المشروع ، ورأس مال الشريك ، ورأس مال المشاركة أو المضاربة .

وفي جميع الحالات المذكورة أعلاه يقدم البنك المال على أساس المضاربة ، وليس على أساس
المشاركة ، وفي الحالات التي ذكرها المؤلف إفتراض أن مبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبية تم الحصول عليها من
البنك ، بشرط أن يعود نصف الربح إلى البنك ، والنصف الآخر إلى أصحاب المشروع .

الحالة الأولى :

إذا تحقق ربح مقداره ١٠,٠٠٠ روبية من المشروع ، دفع مبلغ ٥,٠٠٠ روبية لأصحاب المشروع ،
وأما الـ ٥٠٠٠ روبية الباقية ، بالإضافة إلى رأس المال وقدره ١٠٠,٠٠٠ روبية ، فتدفع إلى البنك . فإذا
وقعت خسارة ، ولنفتراض أنها بمبلغ ١٠,٠٠٠ روبية ، إنخفض رأس المال ، إلى ٩٠,٠٠٠ روبية ، وهو
المبلغ الذي يدفع إلى البنك ، أي أن البنك يتحمل الخسارة كاملة . أما صاحب المشروع فإنه لا يتحمل أية
خسارة مالية . ويمكن تحديد نسبة أخرى لتوزيع الربح ، كأن تكون ٤٠ ٪ للبنك ، و ٦٠ ٪ لصاحب
المشروع ، أو العكس . المهم أن الخسارة ، كما ذكرنا يتحملها البنك كاملة ، ذلك أنها في المضاربة تقع
على رأس المال فقط ، ولهذا فإن رب المال هو الذي يتحملها . وهذا المبدأ لا يتأثر بنسبة الربح المتفق عليها
بين صاحب المشروع والبنك .

الحالة الثانية :

إذا قام صاحب المشروع بنفسه باستثمار مبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبية ، بالإضافة إلى رأس المال الذي حصل
عليه من البنك وقدره ١٠٠,٠٠٠ روبية ، أي أن المشروع يدار برأس مال قدره ٢٠٠,٠٠٠ روبية ، وإذا

إفترضنا أن المشروع حقق ربحاً قدره ٢٠,٠٠٠ روبية ، وُزِعَ الربح على إجمالي رأس المال ، ودفع إلى البنك نصف الربح الذي حققه رأس المال المقدم منه ، ودُفِعَ إلى صاحب المشروع ١٥,٠٠٠ روبية ، وبهذا يكون نصيب البنك ٥٠٠٠ روبية ، ويسترجع صاحب المشروع رأس ماله ، بالإضافة إلى الربح البالغ ١٥,٠٠٠ روبية ، فإن الـ ١٠,٠٠٠ روبية هي أرباحه عن رأس ماله الشخصي ، أما الـ ٥٠٠٠ روبية الأخرى فهي نصيبه في الربح نظير إدارته الناجحة للمشروع .

أما إذا ترتب على المشروع خسارة ، نفرض أنها بلغت ٢٠,٠٠٠ روبية ، فالبنك يتحمل نصف الخسارة ، وصاحب المشروع النصف الآخر . ذلك أن الخسارة تعني إنخفاض رأس المال ويتحملها كل من أصحاب رأس المال بنسبة إستثماره في المشروع .

الحالة الثالثة :

إذا قام صاحب المشروع باستثمار قرض ، قدره ١٠٠,٠٠٠ روبية ، حصل عليه بطريقته الخاصة ، الى جانب رأس مال إضافي قدره ١٠٠,٠٠٠ روبية ، حصل عليها من البنك ، عُدَ المبلغ الذي إقترضه بوسائله الخاصة رأس ماله الشخصي ، وتم توزيع الربح والخسارة على النحو الذي ذكر في الحالة الثانية .

فإذا نتج من المشروع ربح ٢٠,٠٠٠ روبية ، دفع صاحب المشروع ١٠٥,٠٠٠ روبية إلى البنك ، واحتفظ هو بمبلغ ١١٥,٠٠٠ روبية ، منها ١٥,٠٠٠ روبية نصيبه من الأرباح . أما إذا واجه المشروع خسارة ، بلغت ٢٠,٠٠٠ روبية ، فإن البنك يتلقى ٩٠,٠٠٠ روبية ، في حين أن صاحب المشروع يلزمه أن يضيف ١٠,٠٠٠ روبية إلى رأس المال المتبقي وقدره ٩٠,٠٠٠ روبية ليقوم بسداد ما إقترضه بوسائله الخاصة ، لأنه يتحمل مسئوليته وحده في ذلك دون مشاركة البنك له .

الحالة الرابعة :

إذا حصل صاحب المشروع من طرف آخر (المستثمر) على ١٠٠,٠٠٠ روبية للمضاربة بها ، بالإضافة إلى ١٠٠,٠٠٠ روبية من البنك ، وقدم صاحب المشروع نفسه ١٠٠,٠٠٠ روبية ، فبلغ رأس مال المشروع بذلك ٣٠٠,٠٠٠ روبية . وإذا إفترضنا أنه إتفق مع الشريك الآخر على أن يدفع نصف الربح المتحقق من رأس المال إلى صاحب المشروع ، والنصف الآخر إلى المستثمر ، وكان مبلغ الربح ٣٠,٠٠٠ روبية ، فإن ٢٠,٠٠٠ روبية تدفع إلى صاحب المشروع ، و ٥٠٠٠ روبية إلى البنك ، والباقي ٥٠٠٠ روبية إلى المستثمر ، ويسترد كل من البنك وصاحب المشروع والمستثمر رأس ماله . وبهذا يبقى مبدأ التوزيع كما كان عليه ، إلا أن صاحب المشروع يتلقى في هذه الحالة أجر خدماته من الأرباح ، وفقاً للاتفاق بينه وبين البنك ثم بينه وبين الممولين الآخرين .

أما إذا تكبد المشروع خسارة بلغت ٣٠,٠٠٠ روبية ، فتُوزَعُ بالتساوي (أو بالنسبة نفسها) بين رؤوس الأموال الثلاثة ، ويتحمل كل من البنك وصاحب المشروع والممول الآخر خسارة ١٠,٠٠٠

روبية وبهذا يُرد إلى كل منهم ٩٠,٠٠٠ روية فقط . ولا يتحمل صاحب المشروع أية حصة من الخسارة التي أصابت البنك أو الممول الآخر .

الحالة الخامسة :

إذا حصل صاحب المشروع على ١٠٠,٠٠٠ روية من البنك على أساس المضاربة ، ودخل بموافقة البنك في شركة بهذا المال مع صاحب مشروع آخر ، وقدم هو كذلك ١٠٠,٠٠٠ روية ، فأصبح إجمالي رأس مال المشروع ٢٠٠,٠٠٠ روية . وتم الاتفاق بين صاحبي المشروعين من جانب على أن يقتسما الربح بالتساوي ، وبين صاحب المشروع والبنك على أن يقتسما الربح الذي يحققه صاحب المشروع مناصفة أيضاً . فإذا تحقق ربح قدره ٢٠,٠٠٠ روية ، فإن ١٠,٠٠٠ روية تكون للشريك الثاني ، و ٥,٠٠٠ روية للبنك . و ٥,٠٠٠ روية لصاحب المشروع الذي بذل جميع المجهودات لإدارة المشروع بمال المشاركة . أما إذا نتجت من المشروع خسارة بلغت ٢٠,٠٠٠ روية فالبنك يتحمل ١٠,٠٠٠ روية ، وباقي الخسارة وقدرها ١٠,٠٠٠ روية ، يتحملها الشريك الثاني الذي قدم المال للمشروع على أساس المشاركة ، أما صاحب المشروع الذي لم يقدم أي مال فلا يتحمل أية خسارة ، لكنه لا يتلقى أي أجر عن مجهوداته في المشروع .

على أنه يمكن الاتفاق على أن يتلقى صاحب المشروع والشريك الثاني نسبة من الربح ، تبلغ ٦٠٪ و ٤٠٪ على التوالي ، أو أن يتلقى صاحب المشروع الثلث وشريكه الثاني الثلثين . وفي ذلك كله ، يحصل البنك على نسبة محددة كنصيب له من الربح ، كما يحصل صاحب المشروع على نسبة محددة من شريكه وفقاً لشروط الاتفاق المبرم . كما يمكن الاتفاق على أن يأخذ الشريك الثاني ٥٠٪ . والبنك ٢٥٪ . أما النسبة المتبقية وقدرها ٢٥٪ فتذهب إلى صاحب المشروع الذي حصل على المال من البنك ، ويمكن أن تختلف هذه النسب المثوية عما ذكرنا آنفاً .

الحالة السادسة (والأخيرة) :

وهي تتضمن إحتالات كثيرة ، وتضم عدداً من الأسس التي ذكرت سابقاً . لذلك نقتصر على توضيح الأساس الذي يستند إليه توزيع الأرباح في هذه الحالة . فإذا افترضنا أن صاحب المشروع إستثمر ١٠٠,٠٠٠ روية في مشروع يديره شريكه الأول الذي إستثمر أيضاً ١٠٠,٠٠٠ روية ، وحصل بالنيابة عن المشروع المشترك على مبلغ ١٠٠,٠٠٠ روية من البنك على أساس المضاربة ، بالإضافة إلى ١٠٠,٠٠٠ روية تم الحصول عليها من شريك ثانٍ (ب) ، على أن يأخذ البنك والشريك الثاني (ب) نصف الربح المتحقق من إجمالي رأس المال ، ويذهب النصف الآخر إلى صاحب المشروع والشريك الأول . وبالمثل يمكن أن يقتسم صاحب المشروع وشريكه الأول (أ) بالتساوي إجمال الربح المتحقق من عملهما المشترك . وبذلك يكون إجمال المبلغ المستثمر في المشروع ٤٠٠,٠٠٠ روية . فلو أن ربحا قدره ٤٠,٠٠٠ روية قد تحقق ، فإن البنك يحصل على ٥,٠٠٠ روية ، والشريك الثاني على ٥,٠٠٠ روية ،

أما الشريك الأول وصاحب المشروع فإن كلا منهما يتلقى ١٥,٠٠٠ روية . ذلك أن مبدأ توزيع الربح هو أن يوزع إجمال الربح على إجمال رأس المال بحيث يكون العائد على كل ١٠٠,٠٠٠ روية ، هو ١٠,٠٠٠ روية . وطبقاً لإتفاقية المضاربة فإن الشريك الثاني والبنك يقتسمان نصف الربح بينهما بالتساوي ، فيحصل كل منهما على ٥,٠٠٠ روية . أما باقي الربح وقدره ٣٠,٠٠٠ روية ، فهو إجمال ربح المشروع ، الذي يتم توزيعه طبقاً لنصوص الإتفاق بين صاحب المشروع والشريك الأول . أما إذا تكبد المشروع خسارة بلغت ٤٠,٠٠٠ روية ، فتحمل بالتساوي على البنك والشريك الأول والثاني وصاحب المشروع ، لتساوي رأس مالهم المستثمر .

ومن وجهة نظر البنك فإن العامل المشترك في كل هذه الأحوال التي ورد ذكرها ، أن يتحمل البنك خسائر المشروع بنسبة مساهمته في رأس مال المشروع . أما إذا كان ثم ربح ، فإن البنك يدفع لصاحب المشروع نسبة محددة من الربح الذي تحقق من رأس المال المستثمر . ولقد أعطينا هذه الأمثلة لتؤكد أن أساس توزيع الربح لا يتأثر بطبيعة وحجم المشروع الذي يقدم البنك لصاحبه مالياً على أساس المضاربة . . أي أن مبدأ المشاركة في الربح والخسارة لا يتأثر ، سواء استثمر شركاء آخرون أم لم يستثمروا أموالهم في المشروع .

وحتى الآن لم يتعرض المؤلف لمسألة القروض قصيرة الأجل التي يحصل عليها صاحب المشروع ، وهي القروض التي تسدد قبل احتساب الربح والخسارة ، والتي لا تحسب ضمن رأس المال المستثمر في المشروع . وكما أوضح المؤلف من قبل فإن نسبة الربح والخسارة في المشروع تحدد على أساس رأس المال الذي يشتمل على القروض طويلة الأجل ، دون القروض قصيرة الأجل ، التي ليست إلا عمليات ائتمانية للمشروع . ومع ذلك فإن العمليات الائتمانية لا ريب في أنها توسع العمل وتزيد من فرص الربح ، ويتم حساب الخسارة أو الربح على أساس نسبة رأس المال المستثمر الذي يشمل هذه القروض . وبالرغم من أن القروض قصيرة الأجل تؤدي إلى توسيع العمل وإلى فتح مجالات تحقق الربح ، إلا أنها لا تضاف إلى رأس المال عند حساب الربح والخسارة .

ويمكن للبنك أن يدخل في أشكال مختلفة من الإتفاقات ، مع واحد أو أكثر من أصحاب المشاريع أو المؤسسات التجارية . ومن الممكن أيضاً استثمار رأس مال آخر مقدم على أساس المضاربة ، أو على أساس الشركة مع الغير . وفي جميع هذه الصور يظل مبدأ المشاركة في الربح والخسارة كما هو . فنصيب المستثمرين على أساس المضاربة يجب أن يدفع من إجمال ربح المشروع الذي استثمر فيه رأس المال وفق الأساس نفسه ، وقدم بعض المال منه عن طريق قروض تمت بموافقة الشركاء في المشروع . ويوزع باقي الربح بعد ذلك بين الشركاء طبقاً للنسبة المتفق عليها . أما في حالة الخسارة : فإن القروض التي تم الحصول عليها نيابة عن المشروع المشترك يجب أن تدفع بالكامل ، ويتحمل باقي الخسارة أصحاب المشروع والشركاء بنسبة رأس مالهم المستثمر . وعلى البنك في رأينا ألا يقوم باستثمار في مشروع يستخدم رؤوس أموال طويلة الأجل . أما رؤوس الأموال التي يتم توفيرها على أساس المضاربة أو المشاركة الفعلية فيمكن للبنك تقديمها .

وتنطبق على توزيع الربح والخسارة في المثال السابق ، الخاص بالقروض قصيرة الأجل ، القواعد نفسها التي ذكرت في إتفاقات المضاربة .

الإستثمار في المشروعات القائمة :

في حالة إنشاء مشروع جديد يتوافر فيه نظام للمراجعة دقيق ، فإن تحديد الربح أو الخسارة لا يمثل مشكلة من الناحية النظرية . وإذا تقدم صاحب مشروع « زراعي أو صناعي أو تجاري » إلى البنك من أجل الحصول على مال فيجب على البنك أن يتحقق من إجمالي أصول المشروع وإجمالي رأس المال المستثمر فعلاً قبل تقديمه أموالاً إلى المشروع . إذ أنه لا يمكن تحديد الربح أو الخسارة في المستقبل ، دون أن تتوافر هذه المعلومات . وأفضل طريقة لتقويم أصول المشروع هي تحديد القيمة السوقية لجميع ممتلكاته المنقولة ، مثل : الآلات ، والمباني ، والمواد الخام . ويجب أن تضم المبالغ التي سيتم تسديدها على الفور للمشروع . . إلى قيمة الأصول والممتلكات . ومجموع هذه المبالغ هو رأس المال الأصلي مقابل رأس المال الذي قدمه البنك . وتحسب أرباح وخسائر البنك - في أي صفقة - على أساس هذه النسبة في المستقبل ، وهذه النسبة لا تتأثر سواء كان صاحب المشروع هو المستثمر أم أن هناك شركاء آخرين قدموا جزءاً من رأس المال على أساس المضاربة . . أي قبل توفير المال من البنك على أساس المضاربة . ولا بد من أن يتم الإنفاق بين البنك وصاحب المشروع على طريقة تقويم القيمة المالية للمشروع . وفيما يتعلق بالمبالغ المستحقة على المشروع عند إبرام الإنفاق . . فتم بديل آخر ، وهو أن صاحب المشروع يجب أن يتحمل بنفسه المسؤولية كاملة ، ولا تحسب هذه المبالغ عند تقويم أصول المشروع . وقد تنشأ المشكلة نفسها عندما يقرر أحد أصحاب المشروع أن يحصل على رأس مال إضافي من البنك ، على أساس الشركة الفعلية في مشروع مشترك ، ويرى بعض الفقهاء إنه من الضروري أن يشترك الطرفان في المشروع برأس مال نقدي لتجنب النزاع وتفاذي الأخطاء ، إلا أن الأخذ بهذه الطريقة يسبب متاعب كثيرة ، فضلاً على أنها تؤدي إلى إعاقة المشروع ، وإلى تعطيل عملية النمو الإقتصادي بالحد من إمكان تحويل المشروعات الصناعية القائمة . . إلى مشروعات مشتركة . والأصلح : الأخذ بالطريقة المذكورة أعلاه في حالة المشروعات الصناعية . ومن الأفضل تحديد رأس مال صاحب المشروع بتقويم إجمالي أصول المشروع القائم ، وأن يقدم البنك رأس ماله نقداً ، أما الحساب بين الطرفين في المستقبل . . فيتم على أساس رؤوس أموالهما ، على أن تكون طريقة التقسيم لأصول المشروع متفقاً عليها بين الطرفين ، مما يمنع حدوث نزاع أو سوء فهم في المراحل اللاحقة .

أما فيما يتعلق بمدة الاتفاقية ، فإذا كان المشروع من النوع الذي يمكن إستكماله بعد فترة محدودة ، تمكن من إسترداد رأس المال المستثمر فيه ، ويرغب البنك في القيام بالاستثمار عن هذه الفترة ، فإنه لا تنشأ - في هذه الحالة - مشكلة حساب الربح والخسارة ، حيث أنه عند إستكمال المشروع ، سوف يتم تدقيق الحسابات ، وتم - في ضوء ذلك - تقسيم الأرباح والخسائر . وفي العصر الحديث . . فإن

المشروعات الصناعية تستمر إلى أجل غير مسمى ، لا يمكن تحديد وقت إستكمالها ببسر . وفي مثل هذه الظروف ، فإن البنك يمكن أن يأخذ بأحد البدلين التاليين : إما أن يقدم رأس المال لفترة محددة ، أو يقوم بالاستثمار لمدة غير محددة . وفي مثل هذه الحالة لابد أن يكون للبنك قدرة على سحب رأس المال المستثمر . متى رغب في ذلك . وفي كلا الخيارين تستخدم طريقة تقويم أموال المشروع على النحو الذي تم شرحه من قبل ، فيما يتعلق بإعادة رأس المال ، وفي مراجعة الحسابات . ومن أسباب الاجراء المذكور هو أنه إذا إستمر صاحب المشروع حتى بعد إعادة رأس المال إلى البنك . فقد لا يكون من الممكن تدقيق الحساب عند تحويل رأس المال المستثمر بأكمله إلى نقد ، إذ أنه لا يمكن إتخاذ قرار بيع البضائع والآلات والمواد الخام من أجل تصفية الحساب فقط . ولعل من الخطير أن تحول المشروعات الصناعية كل أصولها إلى نقد من أجل تصفية الحساب . إذ أن ذلك سوف يكون تأثيره مدمراً . ليس فقط بالنسبة لصاحب المشروع ، إنما على الاقتصاد الكلي . وسوف يعني ذلك - من الناحية العملية - أن أصحاب المشروعات الصناعية . لم يكونوا قادرين على الحصول على أموال من البنك . . في ضوء ما ذكر ، فإنه من الضروري أن يتم التوزيع النهائي للأرباح ، والخسائر ، ومراجعة الحسابات - طبقاً للطريقة المذكورة في تقويم الأصول ، وسوف يحصل البنك - في النهاية - على رأس ماله في شكل نقد ، وعلى أرباحه المستحقه في ضوء ما تكشفه حسابات المشروع ، وتقع مسئولية الحصول على نقد لإعادة رأس المال الذي حصل عليه من البنك على صاحب المشروع الذي يرغب في الاستمرار في المشروع ، أما الاساليب التي سوف يتخذها لتحقيق هذه الغاية فليست لها أهمية في هذه المناقشة .

وشرح المؤلف المبادئ الاسلامية التي تحكم الشركة والمضاربة في موضع آخر ، وذكر أن بعض الفقهاء يرون أن يحول رأس مال المشروع إلى نقد من أجل ضمان محاسبة دقيقة عند التوزيع النهائي للربح والخسارة^(٥) . ويهدف هذا الرأي . . إلى منع حدوث أي تلاعب في الحسابات عن سوء فهم أو سوء إستغلال لحقوق أي من الشركاء . ولاشك أن تحويل الاصول إلى رأس مال يمكن أن يحقق هذا الهدف ، وخاصة فيما يتعلق بالمشروعات الزراعية والتجارية . ولكن تطبيق هذا الأسلوب في المشروعات الصناعية . . في الوقت الحاضر ، ربما ينتج عنه كثير من المساوي بالنسبة للأفراد والمجتمع . ويرى المؤلف أنه إذا ماتم تقويم الأصول المالية للمشروع بطرق يتفق عليها جميع الأطراف ، فإنه قد لا تنشأ مشكلات حادة عند حساب الربح والخسارة .

وحتى تسهل عملية مراجعة حسابات المشروع وسيره ، فلا بد من إلزام جميع الشركاء بإعداد بيان بعد فترة زمنية مناسبة ، يمكن أن تكون سنوية أو نصف سنوية . لتحديد جملة الأصول الحالية للمشروع . . طبقاً للأساليب الحديثة في المحاسبة . ويجب أن ينتهج البنك الأسلوب نفسه ، وأن يحدد لهذا الغرض فترة تتراوح ما بين ربع سنة أو سنة أو عدة سنوات ، بعد إنتهاؤها يحق لكل شريك إنهاء

٥ - المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٨ (بالأردية) .

الاتفاق . وفي ظل هذه الظروف يجب أن يسترد البنك ماله . بعد تصفية حساب الربح والخسارة . أما إذا رغب الشركاء في استمرار الاتفاق لربع عام آخر أو لعام آخر ، فإن توزيع الربح أو الخسارة السابق يكون نهائياً ولا علاقة له بتمديد الاتفاق . كما يجوز للشركاء الاستمرار في الاتفاق إلى أجل غير مسمى . ويجوز تأجيل توزيع الأرباح أو الخسارة لموعد لاحق - أو النظر في صورة مؤقتة لتصفية الحسابات . وفي حالة الاتفاق ذي الأجل المحدد ، فإن تصفية الحسابات يمكن أن تتم قبل نهاية الإتفاق . أي عندما يرى الطرفان ضرورة لهذا الإجراء ، أو عند وفاة أحد الشركاء فيستدعى الأمر إنهاء الإتفاق .

وإذا رغب صاحب مشروع حصل على رأس مال من البنك زيادة إستثماره برأس مال إضافي من البنك ، أو من صاحب مشروع آخر . فلا بد من تقويم المركز المالي للمشروع - عند طلب هذه القروض - وفقاً للطريقة المذكورة من قبل . وبعد أي شريك قام بتقديم رأس مال بموجب هذا الإتفاق الجديد . . من حملة الأسهم . ومن الضروري تسوية حسابات المستثمرين السابقين . ومعرفة الأرباح التي حصلوا عليها ، أو الخسائر التي تكبدوها . ومن الناحية العملية . لا يلزم إعادة رأس المال . بل يكفي تحديد مآلديهم من حقوق أو التزامات . ويحتسب هؤلاء المستثمرون شركاء في المشروع .

تمت مناقشة الاستثمار فيما سبق على أساس الشركة أو المضاربة . أما فيما يلي من تحليل ، فالافتراض أن البنك سوف يستثمر على أساس المضاربة فقط . وذلك من أجل تبسيط عمل البنوك ، وهي ربما تؤثر في النتائج المستخلصة ، . . كما يمكن بسهولة - عند تبين معالم النظام المصرفي - النظر في الدخول في نظام شركة العنان مع المضاربة ودراسة كيفية تأثيرها على النظام المصرفي والتعديلات المقترحة في ضوء التنفيذ الفعلي .

ومن المناسب في هذا المقام . . أن نستعرض النقاط التي أثبتت من قبل ، وأهم ما يتبين من هذه النقاط . . ما يلي :-

- ١ - أن البنك سوف يقوم بتمويل رجال الأعمال على أساس المضاربة .
- ٢ - أن البنك سوف يتحمل الخسارة جميعها .
- ٣ - ألا تتعدى الإلتزامات المالية للبنك رأس ماله المستثمر ، « أي لا تتعدى الخسائر رأس ماله المستثمر » .
- ٤ - أن يتم توزيع الربح بعد تسوية الحسابات الختامية .
- ٥ - في نهاية المشروع يسترجع البنك رأس ماله المستثمر باضافة أي ربح أو تنزيل أية خسارة .
- ٦ - لا بد من تحديد رأس المال المستثمر في المشروع عند بدايته وكذلك تحديد رأس المال الإضافي الذي توفر من البنك من قبل .
- ٧ - عند الشروع في استثمار جديد ، برأس مال من مصدر آخر . . أو مقدم من البنك نفسه في المشروع . . لا بد من عقد إتفاق جديد .

٨ - وفي الحالات التي تكون فترة الاستثمار محددة أو غير محددة ، يجوز للبنك أن يسحب رأس ماله بموافقة صاحب المشروع . . في أي وقت ، إلا أنه يجوز لصاحب المشروع أن يطلب من البنك مهلة لاستكمال إعداد الحسابات ربع السنوية .

شراء أسهم المشروعات :

ومن الوسائل التي تتبعها البنوك لتحقيق الربحية أن توزع أرباحها على نحو يحقق ذلك ، مثل قيامها بشراء أسهم بعض المشروعات التجارية أو الصناعية من رأس مالها . وفي الوقت الحاضر . . فإن الكثير من المشروعات تقوم بتدبير الأموال عن طريق بيع الأسهم ، والمشتري لأسهم هذه المشروعات . . يصبح شريكاً فيها بما يتناسب وحجم الأسهم التي اشتراها . فمثلاً . . لو أن شركة أسست برأس مال قدره (١,٠٠٠,٠٠٠) مليون روبية وقيمة كل سهم ١٠٠٠ روبية فإن صاحب السهم الواحد يصبح مالكاً لـ ١٠٠٠/١ من المشروع المذكور ، وإذا حقق المشروع ربحاً . . فإنه يوزع بالتساوي بين حملة الأسهم . أما في السنة التي تحدث فيها خسارة . . فلا توزع أرباح ، ولا يطلب من حملة الأسهم أي تعويض عن هذه الخسارة . أما إذا تحقق ربح في مرحلة تالية ، أو كان قد تحقق ربح في الماضي وظل بلا توزيع ، فيمكن إستعمالها للتعويض عن الخسائر . فإنها سوف توزع على أصحاب الأسهم . وهذه صورة بسيطة وسهلة لإدارة نظام الأسهم ، وتوزيع الأرباح عليها ، يمكن جعلها أساساً للنظام الذي نقوم بدراسته . ويمكن أن يتم شراء وبيع الأسهم في سوق الأوراق المالية ، ولاشك أن أسعارها تتقلب إلى حد كبير حسب الربحية المتوقعة للمشروع . وسوف يستمر نظام بيع وشراء الأسهم في النظام المقترح وفق ضوابط الشريعة الإسلامية .

ولاشك في أن كثيراً من الأسئلة سوف تثار عما يتعلق بالالتزامات المالية لحملة الأسهم وحقوقهم في التدخل في المشروعات الخاصة وبيع وشراء هذه الأسهم . ويمكن تقديم الإجابات المناسبة عن هذه الأسئلة ، بإجراء الإصلاحات المناسبة في نظام الشركات ، وإلغاء المضاربات ، والتحكم في توزيع الأرباح على أسهم المشروع ، وصياغة القوانين واللوائح الضرورية لتنظيم بيع وشراء الأسهم . . على نحو يجعلها متمشية مع قواعد الشريعة الإسلامية ، وهذا المقام لا يتسع لمناقشة جميع هذه القضايا بالتفصيل ، إلا أنه يمكن الافتراض أن عملية بيع وشراء الأسهم سوف تستمر . . بل وستزدهر . . في الاقتصاد اللاربوي . وفي الختام . : فإن جميع أشكال الأسهم التجارية المرتبطة بالفائدة ، وتلك التي تضمن حداً أدنى من الربح ، لا تدخل في إطار مناقشتنا الحالية . وستعرض - فقط - للأسهم العادية التي تعتمد أرباحها على نجاح الشركة ، ويمكن أن تقوم البنوك باستثمار جزء من رأس مالها في شراء مثل هذه الأسهم التي تدر على البنك ربحاً سنوياً . كما يمكن للبنوك القيام بترتيبات تمكنها من أن تحقق أرباح مستمرة على الأسهم المشتراة من مختلف المشروعات .

وتم ميزة كبيرة في استثمار رأس المال في شراء الأسهم ، هي أن البنك يمكن أن يبيعها متى احتاج إلى ذلك . وكما سنرى في المناقشة القادمة . . . فإنه من الضروري أن يحافظ البنك على سيولته وإن ملكيته للأسهم تحقق هذا الغرض إلى حد كبير .

* * * * *

الفصل الثالث

البنك وأصحاب رؤوس الأموال

ناقش المؤلف في الفصل السابق : كيف يستطيع المصرف الحصول على عائدات عن طريق أجور الخدمات المصرفية المختلفة التي يقدمها ، أو عن طريق الأرباح الناتجة من الإستثمارات التي تتم على أساس المضاربة والمشاركة في المشروعات الصناعية والتجارية أو الاستثمارات في شراء الأسهم . وإنحصر التحليل السابق على ما يقدم من رأس المال الأساسي بواسطة حملة الأسهم المؤسسين للمصرف . وفي هذا الفصل سوف يتم تحليل بعض الأساليب التي يمكن للبنك إستخدامها لتوفير المزيد من رأس المال .

الحصول على المزيد من رأس المال أو الودائع على أساس المضاربة :

. في سبيل الحصول على مزيد من المال ، يسعى البنك إلى إقناع الجمهور والمدخرين بإيداع أموالهم فيه على أساس المضاربة . ويقوم البنك باستثمار هذه الأموال - كما سبق شرحه في الفصل الثاني - ويوزع الربح المتحقق من هذه الأعمال ، على أن يكون للبنك نسبة متفق عليها من الربح . . . ويذهب الباقي للمودعين في حساب المضاربة . فيما يلي شرح لشروط العقد الذي يمكن إبرامه بين البنك والمودعين في حسابات المضاربة ، الذين سيطلق عليهم إسم « أصحاب حساب المضاربة » وإلى جانب هؤلاء ، فإن مودعين آخرين يستطيعون أن يودعوا أموالهم في البنك في حساب القروض . . . الذي سنشرح طبيعته والشروط الخاصة باستخدام المال المودع فيه . . . في أواخر هذا الفصل .

حساب المضاربة :

يبرم البنك عقداً مع أصحاب ودائع المضاربة . . وذلك على النحو التالي :-

١ - يقوم البنك باستثمار أموال أصحاب الودائع مع أمواله ، ويتم توزيع الربح الذي يحققه من إجمالي الأموال المستثمرة على أساس إعطائه نسبة من الربح متفقاً عليها مع الأطراف المعنية ، ويقسم الباقي بين المودعين في ضوء تلك النسبة .

٢ - وفي حالة تكبد البنك خسائر ، فستوزع الخسارة على أساس نسبة الأموال المودعة لنسبة رأس مال المشروع .

٣ - فى حالة الخسارة : فإن التزام أصحاب الودائع لن يزيد على إجمالى الودائع ، فإذا قام البنك بالاستثمار فى مشروع معين ، ووسع هذا المشروع إلى حدود تجاوزت أموال المضاربة ، وتكبد المشروع - نتيجة ذلك - خسارة كبيرة ، ضاعت معها كل الأموال المستثمرة بما فيها قروض أخرى مستحقة الدفع . ففي مثل هذه الحالة ، لن يطلب من أصحاب الودائع تقديم أموال تزيد على ما قاموا بإيداعه لمواجهة هذه الخسارة ، بل يتحمل حملة الأسهم باقى الخسارة .

٤ - أما فى حالة رغبة صاحب الوديعة فى أن يستمر العقد ، فإن الربح المتحقق خلال الشهور الثلاثة التالية ، سوف يستخدم أولاً لمواجهة هذه الخسارة ، ثم توزع الأرباح المتبقية - إن وجدت - بين الأطراف ، طبقاً للنسبة المتفق عليها . ويمكن لكل صاحب وديعة أن ينظر فى الحسابات ربع السنوية والنهائية . . وأن يسحب وديعته إلى جانب نصيبه من الربح أو الخسارة . كما يمكنه أيضاً أن يقوم مرة أخرى بإيداع وديعة جديدة . . على أساس المضاربة ، ولا يشترط - فى هذه الحالة - أن يتم سحب الوديعة بصورة عملية ، إذ يمكن أن يتم ذلك عن طريق تسوية حسابه ، ويكفى - فقط - إخطار البنك بالرغبة فى تجديد العقد . وفى مثل هذه العقود . . فإن الأرباح أو الخسائر التى تتحقق فى المستقبل ، ليست لها علاقة بالأرباح أو الخسائر التى تحققت فى الماضى . . أي حدثت قبل تجديد العقد .

٥ - يقوم البنك فى نهاية كل ربع سنة ، بإخطار أصحاب الودائع بمقدار ما تحقق من ربح أو خسارة . ويكون لصاحب الوديعة الحق فى أن ينهى عقد المضاربة ويسحب وديعته بعد تسوية أرباحه أو خسارته . ويمكن أن يتم توزيع مؤقت للربح ، يتلقى بموجبه صاحب الوديعة قسطاً من ربحه ، على أن تسوى الحسابات فى المستقبل ، وإذا ما حدث أية خسارة فيمكن أن تسوى من الأرباح التى وزعت له .

٦ - يستطيع صاحب الوديعة أن يسترد وديعته متى شاء . أما إذا رغب فى تسوية حساب الربح ، أو الخسارة ، فينبغى عليه أن ينتظر حتى نهاية ربع السنة الجارى ، إلا إذا وافق البنك على أن تتم التسوية على أساس الحسابات ربع السنوية المنتهية من قبل . ولا يمكن سحب أو تحويل حسابات المضاربة إلى أشخاص آخرين . . عن طريق الشيكات ، وفى حالة رغبة أصحاب الودائع سحب مبالغهم ، فإنه ينبغى إخطار البنك بذلك ، إلا إذا تنازل البنك عن هذا الحق ، ويمكن إيداع المبالغ فى حسابات المضاربة لفترة زمنية محددة أو غير محددة . فعلى سبيل المثال يمكن أن تكون ربع سنوية أو نصف سنوية إلخ .

٧ - ويقوم البنك بتسوية حسابات المضاربة فى نهاية كل ربع سنة ، فيقوم بإعداد بيان عن جميع أنشطته ، ويقوم كذلك بتحديد إجمالى الربح أو الخسارة ، وفى ضوءها . . يقوم البنك بتحديد قيمة حساب المضاربة .

٨ - وتقبل الودائع الجديدة فى حساب المضاربة - عادة - عند بداية كل ربع سنة . أما الودائع التى تودع فى منتصف ربع السنة ، فيمكن أن يقبلها البنك ، إلا أنه إذا لم يتمكن من استثمار هذه الودائع خلال هذا الربع ، فإنه لا يقوم بتسوية حساب الأرباح والخسائر . وفى حالة تمكن البنك من استخدام

هذه الودائع في الاستثمار . . مثلاً . . في شراء الأسهم ، أو توفير أموال للمستثمرين على أساس المضاربة ، أو تقديم خدمات ، فينبغي عليه - في هذه الحالة - ضم تلك المبالغ عند تحديد الأرباح والخسائر الخاصة بربع السنة الجاري ، ويتم ذلك على أساس المدة الزمنية . ولاشك في أن التنافس بين البنوك لاجتذاب المدخرات ورؤس الأموال ، سوف يضمن التدفق المستمر للودائع في حساب المضاربة ، وسوف يمارس البنك المركزي حقه في الإشراف المناسب - للتأكد من حفظ حقوق جميع الأطراف - بوضع القواعد والأحكام التي تضمن ذلك . ولحماية أصحاب الودائع : يجب أن تكون الأساليب المحاسبية المستخدمة حديثة حتى تمنع بقدر المستطاع كل أنواع الغش والتحايل أو نقص أو خلل في المعلومات .

إن تجميع الودائع في حساب المضاربة على أساس المدة المقترحة ، يهدف إلى حماية الأطراف المعنية من حدوث أي غش أو تزوير ، أو أن يكون هناك نقص في المعلومات ، كما أنه يضمن تحقيق العدالة . وينبغي على كل طرف « في مثل هذه المشروعات التي قدم لها البنك رأس المال على أساس المضاربة » أن يسوى حساباته على أساس ربع سنوي . وأن يتبادل هذه المعلومات مع البنك ليتمكن بدوره من تقدير الربح أو الخسارة التي حدثت لكل طرف . ومن الواضح أن تحديد ربح أو خسارة أصحاب الودائع ، أو حاملي الأسهم . . ليس أمراً سهلاً . . ما لم يتضح الموقف النهائي للمشروع . ولذلك لا ينبغي تخمين ربح وخسارة المشروع قبل إنتهائه .

إن اختيار مدة ربع السنة ، ليست لها أهمية خاصة ، إذ يمكن إقتراح فترات أقصر . . أو أطول ، إلا أنه لا بد من أخذ بعض التحسبات عند تحديد المدة ، ذلك أن أي طرف في المشروع يحصل على أموال من البنك على أساس المضاربة ، يجب أن يقتنع بأنه عندما يستخدم المال في المشروع ، فإنه يستطيع الحصول على أرباح عند نهاية تلك الفترة . فصاحب المصنع « مثلاً » ربما يرغب في شراء مواد خام بهذه الأموال ، إلا أن تحويلها إلى سلع جاهزة . . يتطلب عدة أشهر على الأقل ، تختلف باختلاف المصانع أو المؤسسات التجارية ، ويجب أن يراعى البنك هذه الاختلافات ، وأن يحصل كل نوع من هذه المؤسسات أو المصانع على المال بالأمدة الذي يتفق مع إحتياجاتها ، أما أصحاب الودائع . . فإنهم لا يرغبون في ربط ودائعهم باستثمارات طويلة الأجل ، ويفضلون المشروعات ذات عائد سريع . وربما يؤثر طول فترة حساب الأرباح على تدفق المدخرات في حساب المضاربة . وعلى البنك أن يأخذ بعين التقدير مصلحة أصحاب الودائع والمستثمرين . ومدة ربع السنة ليست بالقصيرة ولا بالطويلة ، ولا تعني بالضرورة أن يطلب البنك إسترداد رأسماله عند نهايتها . وللبنك حق تدقيق حسابات هذه المشاريع ، وإذا رغبت في تقديم المال لها لمدة تزيد على ربع السنة ، فينبغي النظر في تقارير أداء المشروع ربع السنوي . كما يمكن أن يسحب كل من البنك ، أو صاحب المشروع ، رأسماله . . إذا رغبت في إنهاء العقد . ويمكن التصرف في الأموال التي يقدمها أصحاب ودائع المضاربة لمدة تزيد على ربع السنة - على نحو ما ذكره أعلاه . إلا أنه - عند نهاية ربع السنة - لا بد من إعداد تسوية الحساب ، ليتمكن تحديد الأرباح والخسائر ، ومن ثم

توزيعها ، وتبقى معظم أموال العملاء مودعة فى حساب المضاربة . ويمكن لصاحب وديعة المضاربة أن يسحب من حسابه وقت أن يشاء ، ليستثمرها فى أغراض أخرى مربحة . . أولاً استهلاكه الشخصي . ولا تؤثر مثل هذه المسحوبات من حساب المضاربة على سيولة البنك كثيراً ، ومن ثم لا يؤثر على استثماراته ، إذ أن ودائع مضاربة جديدة سوف تودع ثانية لتعويض ما تم سحبه من ودائع فى الربع الأول . وهذا يعنى أن البنك نادراً ما يواجه نضوباً فى سيولته . . إلا فى حالات إستثنائية . . يمكن للبنك فى مثل هذه الأحوال أن يسترد بعض أمواله من المشاريع التى قام بتمويلها لمواجهة المسحوبات من حساب المضاربة . والصفحات التالية تقدم شرحاً لسياسة البنك تجاه تقديم الأموال للمشاريع على أساس المضاربة ، ثم إسترداد هذه المبالغ ، وهى سياسة مرنة إلى حد كبير ، لا ترتبط بما يجري فى حساب المضاربة من تدفق أو سحب .

ومن المناسب . . الإحتفاظ بنسبة مئوية محددة من حساب المضاربة . . كإحتياطي لمواجهة السحب من هذا الحساب وحتى يتم السحب بشكل طبيعي لا يضطر البنك معه إلى إسترداد الأموال التى أقرضها إلى المشروعات . ويمكن الإحتفاظ بنسبة صغيرة مثل ٣ أو ٥٪ من جملة حساب المضاربة كإحتياطي .

وليس هناك إلزام بأن تبدأ أرباع السنة لجميع البنوك وتنتهى فى وقت واحد ، إذ أن كل بنك حر فى تحديد موعد بدء ربع السنة . فاختلاف فترات الإيداع والسحب فى البنوك المختلفة يوفر مزيداً من الفرص للمودعين ، ويجعل من السهل على رجال الأعمال الحصول على أموال جديدة فى أى وقت ، ولا سيما إذا تبين فى ضوء التجربة أن فترات أخرى هى أنسب من أرباع السنة ، مثل أن تكون المدة أربعة أشهر أو ستة أشهر أو سنة . وهناك إحتمال كبير فى أن تلجأ البنوك « فى البداية » إلى أساليب مختلفة لتسوية الحساب ، أي أنها سوف تستخدم فترات مختلفة لتسهيل الأمر على المدخرين وأصحاب رؤس الأموال ورجال الأعمال . وإذا ما قام أحد البنوك مثلاً ، بتسوية حساباته كل ربع سنة ، وآخر كل ستة أشهر ، وثالث كل سنة ، فهذا يمكن بعض البنوك فى أن تخصص فى توفير أموال للمضاربة لفترات طوال ، وتخصص أخرى فى تقديم أموال لفترات قصار . . . ومتوسطة . وبهذه الطريقة . . فإن البنوك اللاربوية يمكن أن تقابل جميع الإحتياجات التمويلية لقطاع الأعمال .

ولاشك أن التجربة العملية ، والمنافسة التى تتم بين البنوك المختلفة ، والدور الذى يقوم به البنك المركزى واللوائح التى يطبقها لمقابلة الإحتياجات العامة وللحفاظ على مصالح الأفراد ، سوف تكون الدعامة الأساسية التى تمكن النظام المصرفى من أن يسير بصورة هادئة وفعالة .

تحديد الربح والخسارة لحساب المضاربة :

وضحنا فى الفصل الثانى ، بمساعدة بعض الأمثلة ، كيف يقوم البنك بحساب أرباح وخسائر رأس المال المقدم إلى رجال الأعمال ، أما هنا فسوف يتم شرح كيفية توزيع الربح أو الخسارة بين حملة الأسهم

بوساطة البنك ، وسيفترض أن العائد الذي يتحقق من شراء الأسهم يتضمن الربح أو الخسارة في حساب المضاربة . وسوف يفترض كذلك أن العائد الذي يتحقق من أجور الخدمات التي يقدمها البنك يساوي إجمالي المصروفات الإدارية له . وبهذه الطريقة ، فإن صافي العائد - من الناحية العملية - سيكون الربح المتحقق من رأس المال المستخدم على أساس المضاربة .

إن مبدأ تحديد الربح وتوزيعه سيظل كما سبق شرحه من قبل . وسوف يستخدم البنك المبالغ الإجمالية المودعة^(١) ، التي قدمها حملة الأسهم على أساس المضاربة ، أو لشراء الأسهم ، أو لتوفير مختلف الخدمات الأخرى للعملاء . وفي نهاية المدة (ربع السنة) أو (السنة) يسم إجمالي الربح المتحقق على إجمالي رأس المال ، وذلك للحصول على النسبة المئوية للربح . أما إجمالي الربح . فيتم حسابه بعد إضافة الربح أو الخسارة التي حدثت نتيجة العمليات المختلفة مع رجال الأعمال ، وبعد ذلك تضاف النسبة المتفق عليها من الربح في حساب المضاربة ، وبعد توزيع الربح بين أصحاب حساب المضاربة . . يوزع الباقي بين حملة الأسهم بالتناسب مع رؤس أموالهم . وإذا حدثت خسارة . . فإن النسبة المئوية الإجمالية لها سوف تستخرج ، ويعلن بعد ذلك عن تخفيض يساوي هذه النسبة المئوية في رأس مال كل صاحب حساب مضاربة أو حامل سهم ، ويمكن شرح هذا المبدأ بالمثال التالي : لنفترض أن عشرة من حملة الأسهم أنشأوا بنكاً برأس مال قدره (١,٠٠٠,٠٠٠) مليون روبية ، أي أن كلا منهم إستمهم بمبلغ قدره ١٠٠,٠٠٠ روبية ، وأن ١٠,٠٠٠ مودع أودع كل منهم ٥٠٠ روبية في حساب المضاربة ، بحيث يبلغ أجمالي الإيداع خمسة ملايين روبية ، وإذا افترضنا أن الأرباح ستوزع على أن يحصل البنك على ربع إجمالي أرباح الودائع ، في حين يذهب ثلاثة أرباعها إلى أصحاب حساب المضاربة ، ولنفترض أن البنك سوف يقوم بتقديم رأس مال قدره ستة ملايين روبية - إلى مختلف رجال الأعمال - لمدة سنة ، شريطة أن تقسم الأرباح المتحققة مناصفة بين البنك ورجال الأعمال ، وسوف تمد حسابات كل مشروع عند نهاية كل سنة ، وربما يتبين أن بعض المشروعات قد حققت أرباحاً ، وأخرى حققت خسائر ، مما ينتج عنه زيادة أو نقصان . أو ربما لا تحدث خسارة أو ربح ويكون البنك في نقطة تعادل ، وسوف تكون هناك ثلاث حالات ، وهي :-

(أولاً) : نفترض أن البنك تلقى مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ روبية كربح إجمالي للمشروعات التي قدم لها المال^(٢) ، إذن الربح المقدرب ٣٠٠,٠٠٠ روبية على رأس المال الذي قدره ستة ملايين روبية ، يعني نسبة

١ - إذا وضعت نسبة محددة من حساب المضاربة . كاحتياطي . فيجب إعتمادها جزءاً من المشروع . وفيما عدا هذا الاحتياطي . فإن المبلغ بأكمله سيقدم إلى أصحاب المشروعات . ولكن الربح المتحقق على هذا المبلغ . سوف يوزع على إجمالي عدد الحسابات . . بما في ذلك الاحتياطي . لتحديد النسبة المئوية للربح .

٢ - مثلاً المشاريع التي تلقت أرباحاً بإجمالي قدره ٨٠٠,٠٠٠ روبية . ويكون هناك خسارة إجمالية قدرها ١٠٠,٠٠٠ روبية يتلقى البنك في هذه الحالة مبلغاً قدره ٤٠٠,٠٠٠ روبية نصيبه من الأرباح . في حين يعاني خسارة قدرها ١٠٠,٠٠٠ روبية . فيكون صافي ربحه بذلك ٣٠٠,٠٠٠ روبية .

الربح ٥٪ ، وطبقاً للعقد فإن المودعين يتلقون ٣٢٪. أما الباقي وقدره ١٧٪ فيكون نصيب البنك في الربح. وكل مودع أودع ٥٠٠ روية فإنه سوف يتلقى ١٨٣ روية كربح ، أما باقي الربح وقدره ١١٢,٥٠٠ روية سيكون أجمالي أرباح المشاركة ، ويقسم بالتساوي على حملة الأسهم ، ويتلقى كل حامل سهم ١١,٢٥٠ روية على رأسماله البالغ ١٠٠,٠٠٠ روية .

(ثانياً) إذا افترضنا أن البنك تكبد خسارة قدرها ٣٠٠,٠٠٠^(٣) روية ، أي أنه سيحصل فقط على ٥,٧ ملايين روية من مبلغ الستة ملايين روية التي قدمها على أساس المضاربة ، سوف تبلغ الخسارة التي سوف يتحملها أصحاب حساب المضاربة ٥٪ من أموالهم ، أي المودع . الذي أودع مبلغ ٥٠٠ روية « مثلاً » سوف يسترد الآن مبلغ ٤٧٥ روية . . ويتكبد خسارة قدرها ٥٪ . وكل صاحب سهم دفع مبلغ ١٠٠,٠٠٠ روية سوف يحصل على مبلغ ٩٥,٠٠٠ روية فقط .

(ثالثاً) في حالة عدم مواجهة البنك خسائر أو أرباح ، أي إذا كان في نقطة تعادل . . . نتيجة لأن خسائر بعض رجال الأعمال عوضتها أرباح البعض الآخر ، ومن ثم فإن أصحاب حساب المضاربة وحملة الأسهم لا يحققون في هذه الحالة ربحاً أو خسارة .

ومن هذه الأمثلة نجد : أنه في حالة حدوث خسارة فإن أصحاب حساب المضاربة وحملة الأسهم يلحق بهم الضرر بنسبة متساوية ، أما في حالة الربح فإن أرباح حملة الأسهم تكون أكبر من نسبة أصحاب حساب المضاربة . وسبب هذا الاختلاف هو أن حملة الاسهم يحصلون على أنصبة كاملة من الربح من أموالهم المستثمرة ، إلى جانب ما يحصلون عليه من نصيب في الربح المتحقق من أموال أصحاب حساب المضاربة . أما المودعون في حساب المضاربة ، يحصلون فقط على نصيب من الربح المتحقق من أموالهم ، يبلغ - في مثل هذه الحالة - نسبة ٢٪ أرباح المضاربة . ويعزي هذا الاختلاف في المعاملة إلى جملة الأسهم يقومون بإدارة عمل البنك ويستخدمون قدراتهم وخبراتهم في ذلك لتحقيق الربح . فمثلاً . . . يتحمل المساهمون القرارات التي تتخذ بشأن شراء الأسهم أو استثمار الأموال على أساس المضاربة ، أو يقومون باستئجار أشخاص ليقوموا بإدارتها نيابة عنهم ، ويتعرض حملة الأسهم لمخاطر أكبر من المخاطر التي يتعرض لها أصحاب حساب المضاربة ، ففي حالة خسارة العمل المصرفي ، فإن أصحاب حساب المضاربة يخسرون جزءاً من رأس مالهم ، في حين أن حملة الأسهم يتحملون خسارة مزدوجة - على شكل خسارة رأس المال - وحرمانهم من الأرباح المتوقعة من المشروع . وبالرغم من أن الخسائر لا يمكن التأكد من وقوعها ، فإن ما يبذله أصحاب الأسهم في إدارة البنك . . . يؤهلهم للحصول على أرباح أكبر من أصحاب ودائع المضاربة .

٣ - والتي ترجع لعدة أسباب فلنفترض أن الشركاء الناجحين حققوا أرباحاً قدرها ٤٠٠,٠٠٠ روية والتي يحصل البنك منها على مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ روية أي نصفها في حين يعاني شركاء آخرون من خسائر بلغت ٥٠٠,٠٠٠ روية وفي هذه الحالة فإن جملة خسائر البنك سوف تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ روية .

الأموال المقرضة واستخدامها في أعمال البنك :

يمكن للبنك أن يلجأ إلى القول عن طريق القروض . . للتوسع في أعماله ، وسواجه البنك - في هذه الحالة - مشكلة تتعلق بكيفية تحديد وتوزيع الربح والخسارة . . . إذا ما ضمت المبالغ المقرضة إلى أموال الأسهم والمضاربة ، فإن المبدأ نفسه الذي ذكرناه من قبل . . سوف يطبق . فبعد حساب الربح لحساب المضاربة وحملة الأسهم ، فإن الأرباح الناتجة من استخدام هذه القروض ، سوف تقسم بين أصحاب الأسهم فقط ، لأن مسئولية رد هذه القروض تقع على حملة الأسهم . أما المقرضون فليس لهم نصيب من الربح ، وإذا مني المشروع . بخسارة . . فإنها توزع على المساهمين وأصحاب ودائع المضاربة ، وبعد احتساب الخسارة في أموال المضاربة ، فإن باقي الخسارة يتحملها حملة الأسهم ، وتقع على حملة الأسهم وحدهم مسئولية تسديد القرض . . في حالتي الربح والخسارة ، أي أن أصحاب حساب المضاربة . . ليس لهم علاقة بهذه القروض ، كما أن أصحاب القروض لا علاقة لهم بالخسارة . ودعنا نفترض أن حساب المضاربة أربعة ملايين روبية ، وأن رأس مال الأسهم مليون روبية ، وأنه تم تدبير قرض يبلغ مليون روبية ، ونفترض أن إجمالي الربح الذي تحقق ٣٠٠,٠٠٠ روبية ، وأن أصحاب حساب المضاربة سوف يحصلون على ١٥٠,٠٠٠ روبية أرباحاً على أموالهم البالغة أربعة ملايين روبية ، يوزع الربح الباقي (وقدره ١٥٠,٠٠٠ روبية) على حملة الأسهم . ومن جملة رأس المال البالغ ستة ملايين روبية الذي نتج بعد إكمال المشروع ، فإن أربعة ملايين روبية سوف تدفع لأصحاب ودائع المضاربة ، ومليون روبية سوف يوزع على حملة الأسهم ، ثم مليون آخر للمقرضين . وفي هذه الحالة . . فإن حملة الأسهم يحصلون على أرباح أكثر مما يجب أن يحصلون عليها . . إذا لم تضم أموال القرض إلى المشروع .

أما حملة الأسهم ، فإن من حقهم الحصول على جميع الأرباح التي تحققت نتيجة أموال القرض . . وتقع مسئولية إعادة هذه المبالغ على حملة الأسهم ، وليس لأصحاب حساب المضاربة نصيب في هذا الربح ، كما أنهم لا يتحملون أية مسئولية تجاه هذه القروض .

أما إذا حلت بالمشروع خسارة بلغت ٣٠٠,٠٠٠ روبية . . مثلاً . . من إجمالي رأس مال مستثمر يبلغ ستة ملايين روبية ، بحيث يسترد البنك عند انتهاء المشروع مبلغ ٥,٧٠٠,٠٠٠ روبية ، فإن أصحاب حساب المضاربة سوف يتكبدون خسارة تبلغ ٥٪ ، أي أنهم سوف يحصلون على مبلغ ٣,٨ مليون روبية بدلاً من الأربعة ملايين روبية من حساباتهم ، وأما المبلغ الباقي وقدره ١,٩ مليون روبية . . فيذهب مبلغ مليون روبية إلى المقرضين ، وينخفض رأس مال المساهمين إلى ٠,٩ من المليون روبية بدلاً من مبلغ مليون روبية ، أي أنهم سوف يعانون خسارة تبلغ ١٠٪ من رأس مالهم ، وهذا يعني أن استعمال القرض ضمن رأس مال المشروع قد زاد من خسارة أصحاب الأسهم . ذلك أن حملة الأسهم ، هم المسئولون عن سداد هذا القرض . . . خسر البنك أرباح هذه الخسارة تعتبر ذات نسبة أكبر من نسبة خسارة أصحاب الودائع ، لأنهم ليسوا مسئولين عن تسديد القرض . ويتضح - من الأمثلة سابقة الذكر أنه عندما تضم

أموال القرض فى المشروع ، فإن البنك - فى حالة الربح - سوف يحقق ربحاً أكبر ، وفى حالة الخسارة . . فإن البنك - سيعانى خسارة أكبر ، وكلما كبر مقدار القرض كبرت النسبة المثوية لمخاطر الخسارة التى يتحملها البنك . ومن الطبيعى أن تظهر بعض الحالات التى يجد فيها حملة الأسهم أنفسهم مضطرين إلى الحصول على مزيد من الأموال ، بالإضافة إلى نصيبهم فى رأس المال ، لمواجهة مسئولياتهم تجاه المقرضين . وفى مقابل هذه الأخطار ، فإن الأرباح التى يمكن أن تعود على حملة الأسهم نتيجة الأموال المقرضة سوف تكون مرتفعة .

حساب القروض :

يمكن للبنك أن يطلب من الجمهور تقديم قروض إليه ، ويكون على استعداد لتسديد هذه القروض عند الطلب . ويحق للأشخاص الذين يقومون بإيداع مبالغ فى حساب القرض أن يسحبوا منها عن طريق الشيكات ، أو تحويلها لمصلحة أصحاب حسابات آخرين فى البنك أو غيرهم ، ولا يتقاضى البنك أجوراً مقابل هذه التسهيلات . ويجرى تشغيل حساب القرض . . على النحو الذى تدار به الحسابات الجارية ، وتكون لودائعه نفس التسهيلات ، وخاصة ضمان رد الأموال عند الطلب ، وهذا الضمان يكون بتعهد من البنك المركزى ، الذى يعمل على المحافظة على سلامة المركز التقدي لهذه البنوك ، والتأمين على مختلف الحسابات .

وهذا يعنى أنه إذا ظلت هذه المبالغ فى حساب القروض ، فإن البنك سوف يقوم باستثمارها فى بعض الأعمال المربحة ، وإذا عانى البنك من أية خسارة عند استثماره هذه المبالغ ، فسوف يتحمل الخسارة ، ويكون من حق أصحاب ودائع القروض إسترداد مبالغهم بالكامل ، أما إذا حقق البنك أرباحاً من هذه الاستثمارات ، فإنها ستذهب إلى البنك فقط ، وليس لأصحاب القروض نصيب منها ، بل سيرد لهم المبلغ الذى أودعوه .

إن عادات الناس فى الإنفاق تختلف ، فهم يتفاوتون من حيث سرعة وبطء الإنفاق ، فبعضهم قد ينفق ماله جملة واحدة ، وبعضهم يتدرج فى ذلك ، ويقوم هؤلاء بإيداع الفائض فى بعض الأحيان فى الودائع الجارية فى البنوك . أما النظام اللاربوي المقترح ، فإنه يستفيد من المبالغ بإدخالها فى ودائع تشبه الودائع تحت الطلب فى النظم المصرفية الربوية . فأصحاب هذه الودائع لا يرغبون فى المخاطرة بإيداع فى حساب المضاربة ، لذلك فإنهم يقومون بإدخالها فى مثل هذه الودائع . وإقترح المؤلف « فى الصفحات التالية » بأن يتلقى البنك هذه القروض اللاربوية . . مقابل . . أن يقدم قروضاً لاربوية كذلك . وفى النظام المقترح فإن إعطاء قروض لاربوية من البنك ، يعتمد على تدفق الودائع التى توضع فى حساب القروض التى لاتأخذ فائدة .

إن هذه النتيجة المهمة ، النابعة من حساب القروض ، سوف تغري الأفراد ذوي الإحساس بالمصلحة الإجتماعية ، أن يودعوا مدخراتهم فى البنك بدلاً من إكتنازها ، وينشأ سؤال : كيف يواجه البنك نفقات الاحتفاظ بحساب القروض وتوفير الامان لها ؟

لاشك في أن هذه النفقات سوف تواجه من الربح المتوقع من استثمار جزء من حساب القروض في المشاريع الناجحة .

وتوضح تجربة البنوك المعاصرة أن الحسابات الجارية ، أي الحسابات تحت الطلب . . أكبر بكثير من الحسابات لأجل وحساب الإيداع^(٤) . ومن المتوقع أن يكون هناك وضع مماثل في حالة حساب القروض وحساب المضاربة . ويمكن أن تودع بعض الودائع طويلة الأجل في حساب القروض وليس في حساب المضاربة . وسوف نفترض أن النسبة بين الوديعتين هي نسبة ٣ : ٢ ويمكن للبنك التجاري أن يحتفظ بجزء من الحساب تحت الطلب كإحتياطي ويستعمل الباقي في مواجهة طلبات القروض ، وذلك لأن جميع أصحاب هذا الحساب لا يقومون بسحب مبالغهم في وقت واحد ، وسوف يدار حساب القروض المقترح على نحو توضح فيه نسبة من الودائع في الإحتياطي ويقوم البنك باستثمار الحساب الباقي .

إن نسبة الإحتياطيات التي توضع مقابل الحسابات تحت الطلب أكبر من النسبة التي توضع لمقابلة الحسابات طويلة الأجل ، والتي يتطلب سحب منها إعطاء إشعار قبل عدة أيام . إلا أن التجربة العملية أوضحت أنه لا يوجد إختلاف بين الحسابين ، كما هو الحال في بنوك إنجلترا وبعض البلدان الأخرى^(٥) ، التي تحتفظ بنسبة إحتياطي نقدي محددة من إجمالي ودائعها في جميع الحسابات - ولقد افترضنا بغرض التبسيط أن البنوك سوف تحتفظ بإحتياطي نقدي قدره ١٠٪ من الودائع في حساب القروض وحساب المضاربة . وإفترضنا الخاص بأن النسبة المثوية متساوية للإحتياطيات أمام الحسابين لا تؤثر في نتائج مناقشاتنا ، إلا أن النسب المختلفة لإحتياطيات أمام الحسابين تؤدي إلى مزيد من التعقيدات وإلى نتائج غير مرغوبة في الأمثلة العديدة التي صرناها سابقاً .

وعادة فإن البنوك لا توزع كل الربح الذي حققته على حملة الأسهم . . وإنما تحتفظ بجزء من الإحتياطي ، كما أنها تشي صناديق للإحتياطي متعددة ، وأهم الأهداف التي تحققها هذه الصناديق ، هي حماية المشروعات من الإهيار . . . وحماية حملة الأسهم . ومثل هذه الترتيبات ستكون متاحة في النظام اللاروي ، إلا أن العدالة تقتضي أن يعطى حامل الأسهم مبلغاً مناسباً من الأرباح المحفوظة في الإحتياطي . . عند سحب أسهمه من البنك .

٤ - راجع تقرير لجنة راديكليف بشأن النظام النقدي - أغسطس ١٩٥٥ لندن ص ٤٣ - في عام ١٩٥٨ بلغ إجمالي الحسابات الجارية في البنوك المملكة المتحدة ٦٠٪ والحسابات لأجل ٤٠٪ ولا تدفع البنوك أية فائدة على الحساب الجاري . وحتى في الولايات المتحدة توجد النسبة نفسها بين هذين الحسابين . انظر ويتلي تشارلز وآخرون النقود والبنوك ، ماكميلان ، نيويورك ١٩٦٣ ص ١٢٠ .

٥ - لودرسنا الوضع في جميع دول العالم سنجد أنه في نصف هذه الدول يتبع إجراء الإحتياطي بنفس النسبة بين الحسابين وفي بقية الدول تختلف النسبة ولكن حالياً يوجد إتجاه للإحتفاظ بنسب متائلة . . انظر كذلك . ج. فوسك « البنوك المركزية الأجنبية » البنك الإحتياطي الفدرالي نيويورك ١٩٥٦ ص ٤٧ .

ويثور هنا سؤال : هل يجوز القيام بترتيبات لتعويض الخسارة التي تحدث في حسابات المضاربة من الارباح المحتجزة كاحتياطي حتى لاتنتقص رؤس أموال حساب المضاربة ؟ .

من الممكن القيام بمثل هذه الترتيبات إذا كانت خسارة (أ) سوف لاتعوض من أرباح (ب) ويجب أن يحدد بوضوح مقدار الربح الذي أخذ من كل صاحب حساب وأضيف إلى إحتياطي الأرباح ، وتعوض فقط الحسابات التي أخذت منها هذه الاحتياطيات ، وعند تصفية الحسابات يجب أن تدفع أرباح السنة الجارية . . بالإضافة إلى مقدار الربح الذي حققه حسابه في الإحتياطي ، على افتراض أن هذا الإحتياطي سوف يستعمل لتسديد بعض الخسائر . وهذه الطريقة تتميز بأنه في حالة حدوث خسارة من إحدى عمليات البنك ، لا يستلزم احتساب الخسارة من حساب المضاربة ، باستثناء الودائع التي لا تكتفي أرباحها الاحتياطية لمواجهة هذه الخسائر .

إن العمل بالطريقة المذكورة أعلاه . . يحقق العدالة ، إلا أنه يجعل مهمة الاحتفاظ بالحسابات شاقة جداً ، وتترتب عليها نفقات كبيرة ، ويمكن تفاديها بأن يطلب من كل صاحب ودیعة أن يتنازل عن جزء من أرباحه لمصلحة من يتكبدون أية خسائر . وفي هذه الحالة . . فإن صندوق الإحتياطي الذي ينشأ من الأرباح « سوف يكون تابعاً للبنك . وإذا ما قرر البنك أن ينهي العمل في أي وقت ، فإن المبالغ التي في صندوق الإحتياطي . . توزع على حملة الأسهم .

وبرغم مزايا هذا النظام العملية ، إلا أن الصفحات التالية تركز فقط على الاحتياطيات التي يتم الاحتفاظ بها على أساس نسبة محددة من حساب المضاربة وحساب القروض . . لمواجهة السحب من هذين الحسابين . أما صندوق الاحتياطي الذي ينشأ من الاحتفاظ بجزء من الأرباح المكتسبة لتعويض عن الخسارة ، فهو أمر لايهمنا في هذه المناقشة ، وتجاهله لايثير صعوبات في المناقشات القادمة .

المنافسة بين البنوك :

إن كل بنك يهدف - بجانب الاحتفاظ بسمعة طيبة - إلى تحقيق الأرباح . ويعتمد نجاح البنك على إختياره للمشروعات الناجحة ، والأشخاص المناسبين الذين سوف يستثمر معهم لتحقيق المزيد من الارباح من حساب المضاربة ، وتقليل احتمالات الخسارة . ومن المهم - كذلك - أن يسعى البنك لتحقيق إيداع أكبر قدر من المال في حسابات المضاربة والقروض . إذ أن زيادة حجم هذه الحسابات تمكن البنك من إنتاج سياسة تنويع الإستثمار ، وتمكنه كذلك من تنويع الأطراف التي يتعامل معها ، وكذلك الإستثمار في الصناعات والمجالات المتنوعة خلال فترات زمنية متباعدة ، مما يقلل احتمالات الخسارة ، ولايم ذلك إلا إذا تجمعت ، لدى البنك رؤس أموال ضخمة .

إن المدخرين ورجال المال سيرايقون معدل الربح الذي يقوم البنك بتوزيعه على أصحاب حساب المضاربة . وكلما استطاع البنك حماية هذه الودائع من الخسائر ، وتقدير معدلات عالية من الربح ، أدى ذلك إلى إجتذاب أكبر عدد من المدخرين ، الأمر الذي يحقق المنافسة بين البنوك ، لأن كل بنك سوف

يبدل ما فى وسعه لتجنب حدوث خسارة فى أعماله ، ولتحقيق أكبر قدر من الأرباح . وثم مجال آخر يمكن أن تتنافس فيه البنوك ، وهو تقديم الخدمات بأعلى كفاءة ممكنة وأقل أجر ، وإذا تحققت هذه المنافسة بين البنوك فى النظام اللاربوي ، فإنها سوف تضمن كفاءة وفعالية النظام المصرفي . وتزداد - فى الاقتصاديات الحديثة - أهمية المؤسسات المالية الوسيطة ، التى تقوم بتوفير مختلف التسهيلات . . مقابل إستعمالها لمدخرات المواطنين . مثال ذلك : صناديق الضمان الإجتماعي ، وشركات التأمين ، وجمعيات الإسكان . وستجد البنوك نفسها فى منافسة أيضاً مع هذه المؤسسات ويعتمد نجاحها على التوسع فى الخدمات التى تقوم بتوفيرها إما مجاناً أو بأقل الأسعار الممكنة .

الفصل الرابع

قروض البنك

يقدم البنك - فى النظام المصرفي اللاربوي - قروضاً قصيرة الأجل إلى رجال الأعمال ولا يتلقى تعويضاً مقابل قيامه بهذه الخدمة ، ويقدم نسبة معينة من الأموال المودعة فى حسابات القروض ، على أن يعيد المقرض القرض فى الموعد المحدد .

والبنوك . . لاتقاضى فائدة على مثل هذه القروض ، ولاتمنح تعويضاً للمقرضين ، وهي بتقديمها هذه القروض . . تقوم بخدمة إجتماعية مهمة ، إلا أنها تحصل على أرباح عن طريق استثمارها لما يتبقى من أموال فى حسابات القروض ، إذ أنها لاتدفع مقابل إستعمالها لهذه الودائع أرباحاً أو فوائد . وللمودعين الحق فى سحب أي مبلغ فى أي وقت ، غير أن الواقع العملي فى الأعمال المصرفية يبين أن الجزء الأكبر من الودائع الجارية . . لا يتم سحبها فى وقت واحد إذ لايجوز سحب نسبة تتجاوز ١٠٪ خلال اليوم . . أو الأسبوع . . من جملة هذه الودائع ، وفى الوقت نفسه يجوز إيداع وداائع جارية جديدة . ويتبقى الجزء الأكبر من الودائع فى النظام المصرفي^(١) ، ويمكن أن يواجه البنك بمفرده المسحوبات اليومية من حساب القروض أو الودائع الجارية ، إذا احتفظ بنسبة رصيد نقدي تبلغ حوالي ١٠٪ أو ٥٪ من جملة هذه الودائع . ويمكن للبنك - فى النظام المقترح - أن يستخدم المتبقى من حساب القروض . كما يقوم النظام المصرفي المعاصر باستخدام الجزء المتبقى من الودائع الجارية فى منح قروض قصيرة الأجل بفائدة ، وهذا يمثل مصدراً للدخل فى البنوك التجارية أما فى النظام المصرفي اللاربوي فإن البنوك تستعمل جزءاً من هذه الودائع فى تقديم قروض لاربوية وتقوم باستثمار الجزء الآخر على أساس المضاربة لتحقيق الأرباح . . ولاتقوم بتوزيع الربح إلى أصحاب الودائع . وربما تكون نسبة الربح من هذه العمليات ، أعلى مما تحصل عليه البنوك الحالية من فوائد على القروض التى تدفع عند الطلب ، وأعلى أية قروض قصيرة الأجل . وإذا ما تم إيداع مزيد من الأموال فى حساب القروض لدى البنوك اللاربوية^(٢) ، فسوف لا يكون العائد من إستخدامها أقل مما تكسبه البنوك الربوية . وهذه النقطة ثانوية

١ - إن عدد الودائع ربما يتزايد أو يتناقص ، وربما يتغير أصحابها ، إلا أن جملة الأموال التى فى الودائع الجارية . . تظل ثابتة (تقرير لجنة راد يكليف - ص ٤٣) .

٢ - كما سبق أن أوضح المؤلف : فإن بعض الأموال سوف تودع فى حساب القروض فى النظام المصرفي اللاربوي ، وربما تودع لفترة طويلة كما هو الحال فى البنوك المعاصرة ، إذ أن هناك أشخاصاً لا يرغبون فى إستخدام -

بالنسبة لما يتحقق من إستخدام البنوك لجزء من حساب القروض والودائع الجارية فى مشروعات مربحة وإستعمال هذه الودائع فى تقديم قروض لاربوية .

وكما سيتضح عند مناقشة البنوك المركزية : فإنه يحق للبنوك التجارية « عند تقديم هذه القروض اللاربوية » الاقتراض من البنك المركزي قروضاً لاربوية . متى دعت الحاجة إلى ذلك ويقترح المؤلف : منح البنوك التجارية قروضاً عن طريق البنك المركزي تعادل نسبة ثابتة من قروضها التى منحتها . ويجب على البنوك التجارية تقديم مستندات أو شهادات ضمان مقابل اللاربوية المسحوبة من البنك المركزي . وينبغي - بعد هذا العرض الموجز - أن نناقش هذا الموضوع . . بشئ من التفصيل . ولحدائث مثل هذا الموضوع - وبخاصة على طلاب علم الإقتصاد الحديث وخبراء النظام المصرفي - فإنه من الضروري أن يركزوا إهتمامهم على جميع جوانبه ، حتى يمكنهم الوقوف على صلاحية مثل هذا النظام نظرياً وعملياً . والفقرات الآتية ستناقش بعض القضايا التالية : -

(١) أهمية القروض قصيرة الأجل لرجال الأعمال ، والوسائل الممكنة لتدبير هذه القروض فى إقتصاد لاربوي .

(ب) كيفة الوفاء بهذه الاحتياجات من حساب القروض .

(ج) الحواجز التى تمنح للبنوك لتقديم قروض لاربوية .

(د) وضع الحد الفاصل أو النسبة للقروض اللاربوية من حساب القروض .

(هـ) ضمانات سداد القروض .

(و) أسس تحديد أجل القروض الممنوحة .

(ز) الضوابط الخاصة بالمستفيدين من هذه القروض .

(ح) نفقات إدارة تشغيل هذه القروض .

(١) أهمية القروض قصيرة الأجل :

لأشك فى أن رجال الأعمال ، وكافة جميع أنواع المؤسسات ، سواء كانت صناعية أو تجارية أو

زراعية . . تحتاج - فى كثير من الأحيان - إلى مساعدة مالية قصيرة الأجل .

أما فى حالة المؤسسات الصناعية : فإن هذه الحاجة تنشأ خلال عملية الإنتاج ، وتبرز الحاجة إلى

تمويل إضافي لبضعة أيام ، أو بضعة أسابيع ، يمكن سدادها بعد بيع الإنتاج . وكذلك المستوردون . . كثيراً ما يحتاجون إلى تمويل فى الفترة ما بين إستيراد السلع وبيعها فى الأسواق ، وأيضاً حين تكون هناك حاجة لمقابلة مدفوعات ضرورية متعلقة بمقابلة نفقات نقل المنتجات إلى الأسواق وبيعها . . مثلاً ، فإن

- مدخراتهم . . إلا بعد فترة طويلة ، ولكنهم لا يرغبون فى تحمل المخاطرة بإيداعها فى حسابات المضاربة . وإذا كان هذا الافتراض صحيحاً ، فإن أموالاً أكثر مما هو عليه فى البنوك المعاصرة . . ستودع فى الحسابات الجارية .

هذه الإحتياجات فى النظام الاقتصادى الحديث تمول بالقروض قصيرة الأجل التى تقدمها البنوك التجارية . . .والتي تسترد عند الطلب ، ويبلغ أجلها يوماً ، أو عدة أيام ، أو عدة أسابيع . . .مقابل سعر فائدة محدد .

ولا يمكن مواجهة التمويل قصير الأجل عن طريق المشاركة أو المضاربة . . وذلك للأسباب الآتية :
 أولاً : لصعوبة الاحتفاظ بحساب ربح أو خسارة على رأس المال المستثمر لمدة قصيرة .
 ثانياً : أن رجل الأعمال ربما لا يقبل مشاركة تجعله يستغني عن جزء من أرباحه في المرحلة النهائية .
 وأخيراً : فإنه في حالة احتمال حدوث خسارة في المرحلة النهائية من الإنتاج ربما لا يكون من السهل توفير التمويل اللازم على أساس المشاركة .

ولا ينبغي حل هذه المشكلة بالطلب من رجال الأعمال الإحتفاظ - منذ بداية عملية الإنتاج - ببعض أموالهم كاحتياطي لمواجهة الاحتياجات قصيرة الأجل . إذ أن إحتفاظهم بجزء من إجمالي رأس مالهم المستثمر في المشروع لمدة طويلة لمواجهة الاحتياجات عند نهاية المشروع ، تؤدي إلى تخفيض حجم مشروعاتهم . وتبني مثل هذا الحل . . في مجال الاقتصاد الكلي ، سوف يؤدي إلى تخفيض حجم المشروعات . ومن ثم تخفيض معدلات التنمية الاقتصادية . ولابد من إيجاد صيغة مناسبة لمواجهة الاحتياجات الطارئة للتمويل . إذا أردنا تحقيق تنمية إقتصادية سليمة . وإزدهارا للمشروعات الاقتصادية . على ألا يؤدي ذلك إلى الحد من الاستثمارات طويلة الأجل ، ويمكن توفير الاحتياجات القابلة لمواجهة الاحتياجات الطارئة عن طريق القروض المقدمة من البنوك .

وعندما يحصل أي رجل أعمال على قرض من البنك . فإن البنك يستطيع أن يولد ودائع جديدة مساوية لقيمة هذا القرض المقدم له ^(٣) . وعند قيام رجال الأعمال بتسديد القرض للبنك بعد الإنتاج والتصرف في المنتجات . فإن ودائع البنك سوف تنخفض بقدر قيمة السداد نفسها ، أي . . الائتمان الذي تم توفيره بصورة مؤقتة . . . وقام بتقديم خدمات هامة جداً ، وخاصة تعويض العناصر التي أسهمت في الإنتاج قبل بيع المنتجات إلى المستهلك . وقبل أن تعود بفوائد إلى المنتج .

ويتم تقديم رأس المال قصير الأجل في الاقتصاديات المعاصرة القائمة على الفائدة ، بالطريقة المذكورة نفسها . إلا أن البنوك تتقاضى فوائد ربوية ، فهذه القروض وجدت بصورة مؤقتة وتتلاشى تلقائياً بسداد القروض المصرفية - وفي النظام المقترح : سيكون لهذه القروض نفس الطبيعة . وسوف لا يؤثر على طبيعة النقود المصرفية أن يقوم النظام المصرفي على أساس الربا ، أو على أساس المشاركة في الأرباح .

٣ - في هذه المرحلة من المفيد إستشارة مصدر مناسب لدراسة عملية توليد الائتمان بواسطة النظام المصرفي وفوائدها كخدمة إجتماعية. أنظر : كتاب النقود د. هـ. روبرتسون « الفصل الخامس » كيمبردج ، ١٩٥٦م .

(ب) كيفية الوفاء بهذه الإحتياجات من حساب القروض :

كما سبق أن أشار المؤلف : فإنه إذا إحتفظت البنوك التجارية بنسبة ثابتة (مثلاً ١٠٪) من الودائع الجارية ، فإنها تستطيع مواجهة طلبات المشروعات من الرصيد النقدي ، ومن الإيداعات اليومية الجديدة . ويعتمد ذلك على العادة المصرفية لدى الجمهور ، ففي المجتمعات المعاصرة يفضل الناس الإحتفاظ بمدخراتهم فى البنوك ، ويحتفظون بنسبة صغيرة من أموالهم - فى شكل نقد - لمواجهة مدفوعاتهم اليومية المتنوعة . ويحفظ الباقي فى الحسابات الجارية . وتسوى مدفوعاتهم الرئيسية عن طريق الشيكات لسهولة التعامل بها مع جميع الأطراف . وتودع هذه الشيكات فى الحسابات الجارية ، وتستخدم الشيكات فى تسوية المدفوعات ، ونظراً لتطور العادة المصرفية ، فإن جزءاً كبيراً من إجمالى الدخل فى المجتمع (٩٠٪ فرضاً) يظل أسيراً داخل البنوك التجارية ، فى حين يبقى جزء ضئيل منه نقداً سائلاً (١٠٪ فرضاً) .

والأفراد الذين يرغبون فى الحصول على مبالغ نقدية لمواجهة مدفوعاتهم الصغيرة ، فإنهم يسحبونها بشيكات من ودائعهم الخاصة . وتشكل إستعمال الشيكات عادة الأساس للأعمال المصرفية . ونتيجة لهذه العادة تمكنت البنوك التجارية من زيادة وسائل الدفع بصورة أكبر من الودائع الاولى . إذ تبقى نسبة من هذه الودائع ، كرسيد نقدي تبلغ العشر فى أمثلتنا ، فى حين تقوم البنوك بتقديم ائتمان جديد بالباقي . وعلى أساس هذه العادة ، إتبع البنوك التجارية طريقة تحتفظ بمقتضاها بجزء بسيط من المبالغ المودعة لديها من هذه الودائع كرسيد نقدي (يبلغ ١٠٪ على سبيل المثال) وتستخدم الجزء الأكبر المتبقى . ويتم توظيف النقود فى النظام المصرفي المعاصر على شكل قروض مقدمة بسعر فائدة ، أما الاقتصاد اللاربوي : فإن جزءاً من هذه الأرصدة يجب أن يستثمر على أساس المضاربة فى مشروعات مربحة ، على أن يستخدم جزء آخر فى تقديم قروض قصيرة الأجل بدون فائدة .

ويقوم رجال الأعمال بإيداع الأموال - التى إقترضوها من البنوك التجارية - إما على أساس المضاربة ، أو كقروض قصيرة بدون فوائد ، والتى تودع ثانية لدى البنوك التجارية . ذلك لتغلب العادة المصرفية التى تفرض عليهم إيداع الأموال لدى البنوك التجارية ، وتسوية معظم المدفوعات ، مثل تكلفة المواد الخام ، والرواتب ، وإيجار المباني . . . عن طريق الشيكات . ويقوم رجال الأعمال بالإيداع فى حسابات جارية أو فى حسابات القروض ليستفيدوا من تسهيلات تسوية مدفوعاتهم عن طريق الشيكات .

وكذلك . . فإن المتلقين للأموال من رجال الأعمال ، مثل : ملاك المباني ، والموظفين ، وموردي المواد الاولى والسلع نصف المصنعة ، والحرفيين ، والعمال . . سوف يودعون ما يتسلمون من مبالغ لدى البنوك .

وسوف لا يتعرض المؤلف - فى هذا الفصل - إلى مناقشة عملية توليد الائتمان وإستمرارها فى النظام المصرفي اللاربوي . إذ أن مناقشة ذلك ستم فى الفصل القادم ، وطبقاً للنظام المقترح . . . فإن البنك سوف يقوم بإستخدام الجزء الأكبر من هذه الودائع فى تقديم قروض وإستثمارات على أساس المضاربة ،

مما يولد ودائع أخرى من هذه القروض والاستثمارات ، وتستمر هذه العملية بالطريقة نفسها التي تتم بها في النظام المصرفي المعاصر .

(ج) الحوافز لتقديم القروض اللاربوية :

وتقدم القروض اللاربوية : أسلوب عملي ، وخدمة إجتماعية جلييلة . والأمريستلزم إصدار لائحة من قبل البنك المركزي تلزم جميع البنوك التجارية بتخصيص ٥٠٪ مثلاً من حساب القروض ، لتقديم قروض حسنة . فإن فعلت البنوك حق لها أن تستثمر ٤٠٪ من هذه الودائع - مثلاً - في مشروعات مربحة ، وتحتفظ بـ ١٠٪ المتبقية كرسيد نقدي .

والبنوك التي لاتقدم مثل هذا النوع من القروض ، لايسمح لها بالتمتع بميزة فتح حسابات بدون فوائد ، ومن ثم الحصول على المدخرات ورؤوس الأموال من الجمهور على هذا الأساس ، أي أن البنوك التي تقدم قروضاً لاربوية إلى الجمهور بنسبة ٥٠٪ ، هي التي يسمح لها بالاستفادة من وداائع الجمهور وفتح حسابات القروض .

وستكون مثل هذه اللائحة حافزاً قوياً لتقديم القروض اللاربوية . لأن البنوك يمكن أن تستخدم ٤٠٪ من هذه الودائع في مشروعات مربحة ، مما يدفعها إلى تقديم قروض لاربوية . فتوفير قروض لاربوية للمحتاجين لايسفر عن خسارة وسوف تسدد هذه القروض إلى البنوك ، لأن النظام المصرفي سوف ينظم على نحو يضمن للبنوك حقها في إستعادة القروض التي قدمتها ، وإمكان إستخدامها - كجزء من الودائع - للاستثمار في مشروعات مربحة على أساس المضاربة .

وينطوي الاستثمار في مؤسسات لاربوية على مخاطر ، أن البنوك في مثل هذا النظام ملتزمة باعادة هذه الأموال لأصحاب الودائع عند الطلب ، ولابد من أن تكون نقطة . ولايعني هذا أن تتفادى البنوك المخاطر التي تؤدي إلى خسارة ، وألا تقوم باستخدام مواردها ، بل يمكن أن تستخدم البنوك هذه الودائع في المشروعات ذات مخاطر قليلة ربما تدر عائداً أقل .

ومن المشاريع المربحة : تنظيم خدمات بأجر . يقوم بها البنك بنفسه ، ولاتواجه البنك صعوبات في إختيار المشروعات والمؤسسات التي تكون مخاطر الخسارة فيها أقل ، وذلك من خلال خبرته السابقة في التعامل مع هذه الأطراف عند تقديم الائتمان لها على أساس المضاربة .

ولقد بين المؤلف - في الفصل السابق - أن البنوك سوف تحصل على أموال ضخمة من المودعين في حسابات المضاربة ، والمشاركين مع البنك . ومن حملة الأسهم ، وسوف تستخدم البنوك جزءاً من الودائع في حسابات القرض بالإضافة إلى حسابات المضاربة . وذلك للمشاركة في الاستثمار في المشروعات ذات عائداً كبير ، وستصبح للبنوك خبرة في إختيار أفضل الاطراف الذين سوف تستثمر معهم على أساس المضاربة ، بحيث تبقى مخاطر الخسارة - في هذا العمل - مجرد حالة نادرة الحدوث ما أمكن . إن إستثمار أموال ضخمة - لا يعود جزء من عائدها إلى أصحاب هذه الأموال - يكون حافزاً للبنوك لتقديم جزء من حساب القروض لذوي الحاجات كائتمان دون أن تأخذ عليه فائدة .

ويتعهد البنك المركزي مقابل منح البنوك القروض اللاربوية ، منحها قروضاً عند الحاجة وبدون فائدة . ويعتمد حجم الائتمان المقدم من البنك المركزي بدون فائدة على حجم الائتمان المقدم من هذه البنوك إلى الأفراد ، ويقتصر تقديم هذا النوع من الائتمان على البنوك التجارية التي منحت قروضاً بدون فائدة فقط . ويقدم البنك المركزي إلى البنوك التجارية نسبة ١٠ إلى ٢٠٪ من القروض اللاربوية التي قدمتها البنوك . وتستطيع البنوك التجارية كذلك استخدام هذه القروض في مواجهة متطلبات السيولة ، وسداد المبالغ المطلوبة ، مما يدعم ثقة الجمهور في أن البنوك التجارية تستطيع مواجهة طلباتهم من السحب من حساب القروض عند الطلب . وهذه الثقة . مهمة لنجاح هذه البنوك . ويجب أن تحتفظ البنوك في الوقت نفسه بإحتياطي نقدي معقول ، وتسعى للوصول إلى إتفاقات مع رجال الأعمال وغيرهم . بشأن سداد القروض ، حتى لا تواجهها صعوبات في مقابلة إحتياجاتها النقدية . ومع تغير إتجاهات السوق . وتغير إحتياجات المواطنين النقدية ، ربما تواجه البنوك مواقف تعجز فيها عن الوفاء بإحتياجاتها النقدية . وفي هذه الحالة ، سيكون للتسهيلات التي يقدمها البنك المركزي للبنوك التجارية أثر طيب يعود عليها بالنماء ، يدفعها إلى تقديم قروض لاربوية . وسوف يناقش الفصل القادم هذا الموضوع بمزيد من التفصيل وهو عن دور البنك المركزي في هذا الصدد .

والحافز الثالث لتقديم القروض اللاربوية ، هو الرغبة في الإحتفاظ بعلاقات طيبة مع العملاء . ورفع سمعة البنك ، وبخاصة بالنسبة للمودعين والجمهور . لأنها تؤدي خدمة إجتماعية مهمة بتقديمها قروضاً لاربوية ، يحمل معنى أن هذه البنوك ليست مؤسسات تهدف إلى تحقيق الربح فقط . ولاشك في أن هذه النظرة من الجمهور . لها أهمية كبيرة في تدعيم النظام المصرفي وفعاليته . ويجب على البنوك أن تعمل على دعم هذه الثقة ، وأن تؤدي وظيفتها الإجتماعية بتقديم قروض لاربوية ، وهي مطمئنة تماماً أنها لا تتحمل مقابل هذه القروض أية خسائر .

ولاشك في أن المؤسسات والأشخاص الذين حصلوا على مثل هذه القروض ، سيحتفظون بعلاقات طيبة مع هذه البنوك ، وستزداد معاملاتهم معها ، مما يمكن هذه البنوك من تقديم المزيد من الخدمات . إذ لا يمكن حصر الفوائد التي سوف تتول إلى البنوك من تقديم مثل هذه القروض ، التي تقدم - في معظم الأحوال - إلى رجال الأعمال الذين أقاموا مشروعاتهم من رؤوس أموال مقدمة إليهم من البنوك على أساس المضاربة . ومنح هذه القروض يساعد على نماء المشروعات ، ونجاحها ، وزيادة أرباحها . وسوف يستفيد البنك ، ومن ثم تزيد أرباحه ، بموجب إتفاقية مشاركة الأرباح على أساس المضاربة . وكما ذكر من قبل : فإن البنوك ، عندما تقدم قروضاً قصيرة الأجل إلى المشروع ، ستحصل - بصورة غير مباشرة - على أرباح ، وسوف يكون لديها حافز لتقديم مزيد من القروض قصيرة الأجل بدون فائدة. وكذلك عندما يفكر رجال الأعمال في توسيع أعمالهم ، سيلجئون إلى هذا البنك لفتح حساباتهم والتعامل معه للحفاظ على هذه الصلة . ولا بد لكل شخص ، أو مؤسسة ، أن يحتفظ بودائع للسحب منها عند الطلب ، وفقاً لإحتياجات أعمالها ، ولا يداع الفوائض النقدية . وتقوم باستخدام الشيكات لمواجهة

إحتياجاتها اليومية ، وسوف يتعامل هؤلاء مع البنك الذي يمنحهم حق السحب على المكشوف . أو يقدم لهم قروضاً قصيرة الأجل عند الحاجة .

ويمكن أن يقدم البنك قروضاً لبعض الأشخاص أو المؤسسات الذين لا يتعاملون معه على أساس المضاربة أو المشاركة . ذلك أنهم ، وإن كانوا لا يتعاملون مع هذا البنك بالذات ، فلا بد من أنهم يتعاملون مع بنوك أخرى . وليس من المهم أن يتم التمويل على أساس المضاربة من بنك والحصول على القروض بدون فائدة من بنك آخر إذ أن تقديم القروض لرجال الأعمال سيطور المصالح المشتركة للبنوك . وسيكون حافزاً أساسياً للإقتراض بدون فائدة .

أما فيما يتعلق بتقديم المصارف التجارية قروضاً للمؤسسات الحكومية أو المستهلكين بجانب تقديم القروض إلى رجال الأعمال ، فهو موضوع يستحق إهتماماً خاصاً ، ويحتاج لمناقشة مفصلة . ومن المناسب الإشارة بإيجاز إلى أن البنوك تستطيع تقديم قروض بدون فائدة إلى المؤسسات والأشخاص الذين يحتفظون بحسابات جارية أو حسابات قروض . وسيكون لهذه القروض وضعية تشبه - إلى حد كبير - وضع السحب على المكشوف ، أو السحب مقابل هذه الحسابات . ويقدم البنك هذه التسهيلات لتشجيع الإيداع في حسابات القروض والتيسير على المتعاملين مع البنك بالسماح لهم - في بعض الأحيان - بسحب مبالغ إضافية . . تزيد على الإيداعات الفعلية ، وتؤدي إلى كسب الثقة ، والسمعة الطيبة . . للبنك .

ولتليخيص ما ذكر أعلاه : فإن هناك ثلاثة حوافز لنظام منح القروض اللاربوية بالنسبة للبنوك التجارية ؛ وهي :

- أولاً : تخصيص جزء من هذه الودائع في مشروعات مربحة .
- ثانياً : الحصول على قروض لاربوية من البنك المركزي للمحافظة على موقف السيولة .
- ثالثاً : السمعة الطيبة والثقة التي يستمتع بها البنوك في مجتمع رجال الأعمال والجمهور .

(د) تحديد النسبة بين حساب القروض . والقروض الواجب تقديمها :

لا يمكن تحديد نسبة دقيقة في هذا الصدد ، إلا في ضوء الخبرة العملية في ظل النظام المصرفي اللاربوي . ولابد من الأخذ في الحسبان مصالح رجال الأعمال والبنوك ، وذلك التقديرات الأخرى المتعلقة بالاقتصاد ككل .

وتحديد هذه النسبة يضمن توازن سير الاقتصاد لتحقيق الازدهار . ويجب ألا تكون النسبة التي سيتم تحديدها صغيرة بدرجة لا تمكن رجال الأعمال من مواجهة إحتياجاتهم الطارئة ويضطرهم إلى إستخدام جزء من رؤوس أموالهم المرصودة لاستثمارات طويلة الأجل ، الأمر الذي نخشى معه أن يؤدي إلى تخفيض النشاط الاقتصادي . كما لا ينبغي أيضاً أن تكون النسبة كبيرة جداً بدرجة تبقى للبنك جزءاً صغيراً من هذه الودائع لاستثماره في مشروعات الذي يجعل البنك راغباً . . عن الإحتفاظ بهذه الحسابات ، أو

رغباً عن تقديم القروض لذوى الحاجات . إذ أنه - لضمان نجاح النظام المقترح - لابد من أن تكون الحوافز لتقديم القروض اللاربوية قوية يمكن الاعتماد عليها .

ويرى المؤلف : أنه للوصول بالإقتصاد القومي إلى الأهداف العليا ، لابد من تحديد نسبة - منذ البداية - بالتشاور مع رجال المصارف وممثلي رجال الأعمال ، ويمكن تعديل هذه النسبة فيما بعد على ضوء التجارب العملية . متى دعت الحاجة إلى ذلك .

وسنعرض - فيما بعد - التفصيلات الخاصة بهذا الموضوع . ويمكن للبنك المركزي أن يعدل هذه النسبة . . . حسب ما يراه مناسباً . ويقترح المؤلف أن تكون هذه النسبة هي ٥٠٪ . ويطلق عليها فيما بعد « نسبة الإقراض » .

(هـ) التوازن بين العرض والطلب على الائتمان :

يتوقف إجمالي الائتمان اللاربوي على إجمالي الودائع بحسابات القروض « وطبقاً لنسبة الاقتراض المقترحة . فإن عرض الائتمان سيكون نصف هذه الودائع ، ويستطيع البنك المركزي زيادة وخفض الائتمان المصرفي عن طريق إجراء بعض التعديلات المناسبة في نسبة الاقتراض . ويعتمد الطلب على الائتمان - إلى حد كبير - على حجم الاستثمارات طويلة الأجل . والائتمان قصير الأجل هو لمواجهة الاحتياجات الطارئة لرجال الأعمال . وتعتمد هذه الاحتياجات كمية رأس المال المستثمر في المشروع . ويمكن للبنك المركزي إجراء الدراسات الاقتصادية اللازمة ، وعلى ضوء الخبرة العملية . . . يمكن تقدير احتياجات الائتمان لرجال الأعمال في وقت معين ، ويصبح هذا التقدير . . . دليلاً للبنك المركزي . . . يتمكن بموجبه إجراء بعض التعديلات في « نسبة الإقراض » إذا رغب في زيادة وتخفيض الائتمان لتحقيق التوازن بين عرض الائتمان والطلب عليه .

عند تقديم قروض - لاربوية قصيرة الأجل - إلى رجال الأعمال ، لابد من أخذ المصلحة العليا للاقتصاد في الحسبان ، وأن تعطى الأولوية للاستثمارات المربحة . وإذا كان الطلب على القروض أعلى من العرض . فإن تحديد أولوية لتوزيع هذه القروض تصبح حاجة ماسة . ويمكن استخدام حجم رأس المال المستثمر في المشروع كمؤشر لتقييم احتياجات أي مشروع من القروض . ولمعرفة نوعية القروض المطلوبة لكل صناعة ، لابد من إجراء الدراسات الاقتصادية والاحصائية . . . ويمكن تحديد أجل القروض عن طريق هذه الدراسات . ومن الأفضل أن يتم تقييم الاحتياجات عن طريق فريق يتكون من ممثلين لرجال الأعمال والخبراء في المجالات الاقتصادية تحت إشراف البنك المركزي .

وعند دراسة كل حالة ، لابد من أن يكون للبنك التجاري الحق في النظر في التفاصيل الخاصة بمركز طالب الائتمان ، مثل كمية رأس المال طويل الأجل المستثمر فعلاً ، وكمية القروض التي تم تديرها من مصادر أخرى . وربما يقوم البنك بمزيد من البحث ليتبين مقدرة طالب الائتمان على التسديد وإحتياجاته للقرض . وأحد المعايير لإعطاء الأولويات ربما تكون الضمانات التي يقدمها طالبوا القروض . ولابد من أن

يتفق على حد أدنى للضمانات التي تقدم مقابل القروض المطلوبة . بحيث يكون للبنك الحق في إعطاء أولوية لرجال الأعمال ذوي المراكز الأكثر ضماناً مقارنة مع الآخرين ، أو الذين دخل البنك معهم في مشاركة أو مضاربة . ولمنع سوء إستخدام السلطة من قبل البنك والتميز بين رجال الأعمال ، لابد من وضع قواعد تحكم منح القروض في بعض الأحوال ، بشكل يمكن أن يرفع بموجبها الذين لم تقبل طلباتهم دعوى ضد ما يرونه من تفرقة أو تمييز ويمكن معاقبة البنك إذا ثبت أن هناك خرقاً للقواعد . وإذا تلقى البنك عدداً من الطلبات مستوفية الشروط لا يستطيع تقديم القروض لها لقلّة الموارد المالية لديه ، ينبغي أن تعطى الأولوية - في هذه الحالة - للطلبات حسب إسبقيتها . وفي مثل هذه الحالات ، يمكن للبنك المركزي - عن طريق تعديل نسبة الإقراض - دعم البنوك لمواجهة الطلب الزائد على الائتمان ، ويبقى أمر التوزيع الأمثل للقروض بدون فوائد . والتوفيق بين عرض وطلب هذه القروض بحاجة إلى نظرة ثاقبة قبل الشروع في منح هذه القروض . ولابد من عمل دراسات تهدف إلى صياغة النظم والضوابط والإجراءات ، وذلك في ضوء التجربة العملية ، وتضمن تحقيق التوزيع الأمثل للقروض بدون فوائد والتوفيق بين عرض وطلب القروض . وربما تنبثق عنها طرق وإجراءات جديدة في هذا الصدد .

(و) أجل القروض بدون فوائد :

أشار المؤلف إلى أن تقديم القروض القصيرة الأجل المقدمة إلى رجال الأعمال على أساس المضاربة . . . أمر غير عملي . . . لما يصحب ذلك من صعوبات محاسبية . ومن الضروري تحديد مدة قصوى تقدم فيها هذه القروض . ويمكن أن تكون المدة أقصر من تلك الممنوحة للتمويل على أساس المضاربة ، إذ يمكن أن تكون ربع سنوية ، أو لمدة ثلاثة عشر أسبوعاً كحد أقصى . أما من يحتاجون إلى قروض لمدة تزيد على ثلاثة أشهر ، فيمكنهم الحصول على تمويل على أساس المضاربة . وإذا كان من الممكن تلبية إحتياجاتهم على أساس المشاركة أو المضاربة ، فلا يوجد ما يدعو لتقديم قروض لاربوية لهم من ودائع عامة الناس .

وإذا كانت أقل فترة لتوفير قروض على أساس المضاربة هي ثلاثة عشر أسبوعاً ، فإن أقصى مدة لسداد القروض بدون فوائد يجب أن تحدّد بعشرة أسابيع ، وفي الوقت نفسه يجب التأكيد على أنه لن يحصل أي فرد أو مؤسسة على قروض لأغراض يمكن تمويلها على أساس المضاربة . ويجب كذلك وضع الضوابط التي تمنع إستعمال هذه القروض لتلبية إحتياجات تزيد مدتها على ثلاثة أشهر ، وذلك بطلب قرض جديد أو طلب تأجيل سداد القرض الأول . وعلى البنك المركزي أن يقوم بالتدقيق والرقابة والإشراف على أنشطة البنوك التجارية في هذا المجال . وأن يضع قواعد مناسبة ولوائح في هذا الخصوص .

وبالنسبة لمسألة تحديد أقل مدة لسداد هذه القروض . فإنه لا يمكن تحديد مدة معينة . فبعض الإحتياجات يمكن تليتها خلال ساعات أو يوم واحد ، وبخاصة في بعض الحالات . أي عند تقديم

القروض إلى بنك آخر ، فإن القروض لمدة ٢٤ ساعة تكون لها أهمية كبيرة . ومثل هذه القروض لا تحمل فائدة ، وطول فترة السداد لاتعني مزيداً من الفوائد ، ولذلك . . فإنه قد تنشأ مشكلة التباطؤ ومحاولة إطالة فترة السداد دون عذر . وللحفاظ على مصلحة المجتمع ، لابد من التأكد من عدم حدوث مثل هذه الممارسات . وينبغي التأكد من أن هذه القروض تقدم في فترة يكون طالبوها في حاجة فعلية إليها ، وأن تسدد هذه القروض فوراً بعد ذلك . وينبغي تنمية هذا الاتجاه وأن توجد صحة إجتماعية في مجتمع رجال الأعمال ، حتى لا يعرضوا المصلحة العامة للخطر من خلال نزواتهم الخاصة ، وذلك بالملاحظة في سداد هذه القروض .

وينبغي كذلك أن تتأكد البنوك من الحاجة لهذه القروض حتى تتمكن من تحديد مدتها ، وعند إنتهائها يجوز للبنوك إلزام المقرضين على سدادها . ويمكن كذلك فرض بعض العقوبات في حالة تأخير سداد القروض ، مثل حرمانهم من الحصول على قروض جديدة لمدة معينة ، أو نشر أسمائهم في الصحف بقصد التشهير . . إلى آخر ما يشكل تهديداً لمركزهم .

ويمكن فرض بعض الغرامات عليهم . على ألا يأخذ البنك هذه الغرامات دخلاً له . ولكن يجب تحويلها إلى البنك المركزي للاتفاق منها على بعض الجوانب الاجتماعية .

ونأمل أن يحول تعاون رجال الأعمال المدركين للمصلحة العمومية وغيرهم من أفراد الجمهور دون فرض مثل هذه العقوبات . لأن وجود مثل هذه العقوبات في حد ذاته يكون رادعاً يمنع إرتكاب مثل هذه الممارسة . بل من شأنه أن يشجع رجال الأعمال على سلوك الطريق القويم .

(ز) الضمانات مقابل القروض :

والضمانات التي ينبغي تقديمها مقابل هذه القروض في النظام المصرفي المقترح ، هي الضمانات نفسها التي في النظام المصرفي الحالي . إذ يمكن إستعمال البضائع المصنعة . أو شبه المصنعة . أو البضائع التي في طور الإنتاج . أو التي في المخازن . أو المهياة للنقل . والمحاصيل الجاهزة . والأسهم التجارية . وشهادات الملكية ، والمصانع ، والأصول الثابتة . والسندات المودعة لدى البنوك . ورأس المال الذي تم تدبيره على أساس المضاربة . . إلخ . . كضمان لهذه القروض .

ويجب أن تكون للبنك سلطة تقديم القروض بضمانات شخصية . فالبنوك المعاصرة تقدم عدداً من القروض دون ضمان . لأنها تثق في موقف بعض الأشخاص أو المؤسسات . وفي النظام المقترح ستكون البنوك قادرة على تقديم قروض للأشخاص أو المؤسسات الذين دخل معهم البنك في إتفاق مشاركة أو مضاربة . أو الذين يتمتعون بثقة كاملة من البنك . وبصفة عامة . . يجب ألا تطلب البنوك ضمانات كبيرة تكبل النشاط التجاري والإقتصادي وتمنعه من التحرك بحرية .

إن تسديد القروض التي تقدمها البنوك أمر لابد منه . إذ أنها مسئولة عن إعادة جميع الودائع في حسابات القروض . وحتى لو فشل البعض في سداد هذه القروض . . فإن البنوك ستظل مسئولة عن سدادها أمام أصحاب حساب القروض . لذا . . يجب أن تعطى البنوك سلطة إستعادتها وفقاً للقانون .

ولو أدى ذلك إلى أن تلجأ إلى بيع الممتلكات المقدمة كضمان ممن لم يسددوا القروض ، بالقدر الذي تسترد به هذه القروض . وتتضمن قوانين البلاد الغربية الإجراءات الواجب إتخاذها لسداد القروض . فإذا أعلن المقرض إفلاسه . فإن المقرض - فى هذه الحالة - لا يستطيع ممارسة هذه الإجراءات . ويمكن أن ينشأ مثل هذا الموقف فى النظام المقترح . ويمكن أن نتسأل : ماذا يجب إتخاذها بواسطة البنك فى مثل هذه الحالة ؟

ولابد للبنك من أن يسترد جميع القروض المقدمة ، ليتمكن من توفير قروض بدون فوائد للجمهور . إذ أنه مما يتنافى العدالة أن يكون البنك مسئولاً عن إعادة جميع النقود المودعة فى حساب القروض ويتحمل خسارة لعدم تمكنه من إسترداد القروض المقدمة من حساب القروض ! وإذا رغب المجتمع فى أن تقدم البنوك قروضاً لأربوية . فعليه أن يوفر الحماية لسداد هذه القروض . وفى الحالات التى يعجز بعض الأفراد عن السداد ، فعلى المجتمع أن يتحمل مسؤولية سداد هذه القروض . . أو جزء منها . ويقترح المؤلف فى هذا الصدد سداد هذه القروض من أموال الزكاة ضمن مصاريفها المخصصة شرعاً وأن تتحمل الدولة سدادها . ويمكن أن تلجأ البنوك إلى البنك المركزي لاسترداد القروض التى أعلن أصحابها إفلاسهم . ويقوم البنك المركزي بسداد هذه القروض بعد التمهيص والتأكد والافتناع الكامل . ويمكن أن يسترد البنك المركزي ما دفعه من أموال . . سداداً لمثل هذه القروض . . من الدولة . . أي من بيت مال الزكاة .

وهذا الكتاب . . لا يتناول موضوع الزكاة أو استخداماتها بالتفصيل . إذ يمكن الرجوع إلى مصادر أوفى فى هذا المجال . والدولة الإسلامية تحملت مسؤولية سداد القروض للمعسرين فى العصور الماضية . والمساعدة فى سداد القروض تحقق العدالة الاجتماعية . وتمكن لنظام التكافل أن يلعب دوره . وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم ، ضمن مصاريف الزكاة الثمانية . وهي المبالغ التى يتم إنفاقها لمساعدة الغارمين الذين عجزوا عن سداد قروضهم لاعسارهم وهم بذلك يستحقون المساعدة شرعاً من الزكاة .

(ح) النفقات الخاصة بالإحتفاظ بحساب القروض :

لاشك فى أن فحص الطلبات . واتخاذ قرارات بشأنها ، والاحتفاظ بحسابات القروض . . . يستلزم أن يقوم البنك بتعيين عدد من الموظفين برواتب ، وأن يتحمل كذلك بعض النفقات الأخرى . ومن الطبيعي أن ينشأ سؤال : كيف نواجه هذه النفقات ؟ وهناك إجابتان عن هذا السؤال :

أولاً : يمكن أن يواجه البنك هذه النفقات عن طريق سحب جزء من أرباحه الناتجة من إستخدام جزء من هذه القروض . ويمكن إتباع هذه الطريقة خاصة عندما تكون نسبة الإقراض منخفضة . ويكون الجزء الأكبر من حسابات القروض مستخدماً فى مشروعات مربحة ، إلا أنه ليس من المؤكد أن تستخدم القروض فى مشروعات مربحة ، وكذلك الحصول على هذه الأرباح لا يخضع لجدول زمني محدد ، فى حين أن نفقات هذه الحسابات مؤكدة ولها جدول زمني محدد .

ثانياً : يمكن أن تتقاضى البنوك رسوماً من المقرضين ، وأن يقوم المقرضون بدفع مبلغ محدد على كل طلب بغض النظر عن قيمة القرض المطلوب ومدته ، وعند قبول الطلب : على الشخص أن يدفع رسماً إضافياً محدداً إلى البنك ، نظير الإجراءات الإدارية التي تتبع . والمعيار الحاسم لتحديد الرسوم . . يكون المصروفات الفعلية التي تتحملها البنوك في دراسة الطلبات وإتخاذ القرارات بشأنها والاحتفاظ بحساباتها حتى موعد سداد القروض . ويجب أن لا تكون هذه الرسوم مصدر دخل للبنك ، لأنها لمقابلة تكاليف الاحتفاظ بالحسابات المتعلقة بتقديم هذه القروض وإدارتها . ولكي تظل الرسوم في الحدود المعقولة لمقابلة المصروفات الإدارية ، فإن على البنك المركزي أن يتأكد من أن البنوك لم تجعل أجور هذه المصروفات الإدارية وسيلة للربح .

ولا غبار في ترك البنوك حرة في إتباع الأسلوب الأول ، ولا بد أن تتمتع البنوك بالاستقلال الكامل في إتخاذ أي إجراءات لفرض الرسوم ، على ألا تكون مصدراً للربح . وسوف يؤدي هذا إلى زيادة المنافسة بين البنوك ، ويجعلها تتقاضى رسوماً أقل ، ومن ثم يزداد عدد عملائها .
ومما سبق ذكره : يتضح أن النظام المصرفي اللاربوي يمكن أن يسير بصورة عملية ومناسبة ، وفي ظله يمكن مواجهة معظم إحتياجات رجال الأعمال على أساس المشاركة أو المضاربة ، بالإضافة إلى مواجهة الإحتياجات قصيرة الأجل . عن طريق توفير قروض بدون فائدة لأجل قصير .

مشكلة السندات (الكبيالة) :

السند (الكبيالة) هو الوثيقة التي يعلن فيها أحد الاطراف للطرف الآخر أنه سيتعهد بدفع قيمة السلع والخدمات المشتراة في موعد معين . ويتم إستخدامه داخل البلاد وخارجها بالنسبة للصادرات والواردات . ويتعرض المؤلف هنا فقط للسندات التي تجرى داخل البلاد .
ونفترض أن رجل أعمال أعطى سنداً لصاحب مصنع أو لتاجر . ويمكن للتاجر أن يستعيد المبلغ المذكور في التاريخ المحدد . وفي أحيان كثيرة يكون منفذ السند على تفاهم مع أحد البنوك بأن يتم الدفع في تاريخ محدد ، أو أن يتحمل البنك نفسه مسئولية السداد . وفي هذه الحالة . . فإن التاجر يقدم السند للبنك في زمن مناسب للحصول ، لكنه نادراً ما يحتفظ بالبائع بالسند حتى تاريخ الإستحقاق ، بل يحاول أن يحصله على الفور . فإذا ما تمكن من توفير ضمانات جديدة ، فإنه يحصل على النقد من أحد البنوك مقابل خصم هذا السند وهنا يمكن إجراء خصم من السند في وقت التنفيذ ، وبنسبة محددة ، وهذه النسبة عادة تساوي سعر الفائدة الساري أو ما يسمى بسعر الخصم . وعند إنقضاء مدة السند فإن المبلغ المذكور يدفع بالكامل للبنك ، في حين أن البنك كان قد دفع من قبل مبلغاً أقل ، ويساوي الفرق الفائدة التي حصل عليها البنك لنفترض أن البنك قد دفع مبلغ ٩٧٠ روية مقابل سند قيمته ١٠٠٠ روية مستحقة السداد بعد ثلاثة أشهر ، من الواضح أن البنك في هذه الحالة قد حصل على فائدة قدرها ١٢,٥٪ من مقدم السند وهذه إحدى الوسائل لتقديم قروض قصيرة الأجل ، وتقتضى مصلحة رجال الأعمال

إمكان التمتع بنحصر السندات حتى لا تتأثر أعمالهم بصورة عكسية ، لعدم توافر الائتان قصير الأجل . وفي المثال السابق : فإن صاحب السند سوف يقوم بدفع المبلغ المستحق عليه عند تحصيل السندات أو ربما يقوم بعمل ترتيبات أخرى ليتمكن من الاستمرار في أعماله .

وأصبحت السندات غير شائعة في الأونة الأخيرة ، إذ استبدلت بالقروض قصيرة الأجل^(٤) . ويفضل رجال الأعمال في ظل النظام المصرفي اللاربوي اللجوء إلى القروض ، بدلاً من التعامل بالسندات وبدلاً من سحب السندات فيقوم البائع بدفع تكلفة بضاعته نقداً ، وذلك بالحصول على تمويل قصير الأجل . . على أساس المضاربة ، ويقوم برد المبلغ للبنك ، عندما يتم بيع البضاعة ، مع نسبة الربح المتفق عليها . ولما كانت هذه الأموال مطلوبة لفترة قصيرة جداً تبلغ بضعة أسابيع على سبيل المثال ، فالتوقع أن تقبل البنوك نصيباً أصغر من الربح بالمقارنة مع التسهيلات ذات الأجل الطويل . وإذا ما واجه رجال الأعمال خسارة عند بيع البضاعة ، فإن البنك سوف يتحمل هذه الخسارة أما إذا كانت المخاطر عالية ، فالبنوك لا ترغب في تقديم مثل هذه التسهيلات ، وسوف تقدم هذه التسهيلات عندما تكون توقعات الربح عالية . وإذا نظرنا إلى هذه المشكلة . . من هذه الزاوية ، فربما لا يكون من الممكن تلبية الاحتياجات التمويلية لبعض رجال الأعمال عن طريق المضاربة ، ويمكن اللجوء إلى طريقة أخرى تتبع مع الإجراء السابق ، وهي الحصول على قرض من البنوك . ومن ثم يكون لدينا أسلوبان لمواجهة هذه الاحتياجات في الوقت نفسه . يؤدي إلى زيادة النشاط الإقتصادي . وستتم نفس الإجراءات المتبعة في تحصيل القروض في النظام المقترح . فسوف يقدم الشخص المسحوب له السند إلى البنوك ليحصل على نقد مقابله ، وينظر في هذه الطلبات مع طلبات القروض ، إذا رغب البنك دفع قيمة السند فعليه دفع كامل قيمته دون إستقطاعات ، وستكون طبيعة هذا المبلغ ، هي نفس طبيعة القرض المقدم . ويقوم البنك بتحصيل قيمة السند عند إنتهاء الفترة المحددة من صاحب السند ، سواء أكان رجل أعمال أم صاحب مصنع أم سواهما ، وتنتهي عندئذ مسؤولية الشخص المسحوب له السند المذكور بصفة نهائية . وإذا لم يحصل البنك على المبلغ المذكور من صاحب السند عند إنتهاء المدة المذكورة ، فإن الشخص المسحوب له السند يكون مسؤولاً عن دفعه ، حتى يقوم صاحب السند بدفع المبلغ المذكور بالكامل . وفي النظام المصرفي المعاصر ، فإن المسؤولية المالية للشخص المسحوب له السند مستمرة حتى يقوم صاحب السند بدفع المبلغ المذكور كاملاً .

تثور أسئلة كثيرة عن أنواع المشروعات التي ينبغي للبنك أن يعطيها أولوية على غيرها ، أو غيرها من الأسئلة ، وستكون مسؤولية البنك المركزي وضع القواعد المناسبة . فإذا رغب البنك المركزي في إحداث توسع في أي من المجالات الاقتصادية . ورغب في تقديم مزيد من التسهيلات لأصحاب المشروعات

ففي هذا المجال ، فيمكن أن يعطي تفضيلاً للسندات الخاصة بهذه المشروعات . وسوف يتعرض الفصل الخاص بالبنك المركزي لهذه المسألة .

وتختلف السندات المتعلقة بالإستيراد والتصدير بعض الشيء عن تلك الخاصة بالتجارة الداخلية . وهدفنا من هذا الكتاب ، هو تقديم صورة للعمل المصرفي اللاربوي في إطار إقتصاد لاربوي مغلق . لذلك . . فإن هذا الموضوع يقع خارج إهتمامات هذا الكتاب . وباختصار : إذا كان كل من البلدين لا يتعامل بالربا ، فلن تكون هنالك مشكلة . إنما تنشأ المشكلة في حالة ما إذا تمت السندات في بلدين : أحدهما يعمل بنظام ربوي ، والآخرى يتبع نظام لاربوي ، وهذه مشكلة جديدة ينبغي حلها على ضوء السياسات التي تتبعها ، وعلى ضوء علاقتنا المالية مع الدول ذات الإقتصاديات التقليدية ، وهذا الموضوع خارج عن إطار هذا الكتاب .

الفصل الخامس

عملية توليد الائتمان

ناقش الكاتب إلى هذا الحد الخصائص الرئيسية المتعلقة بعمل النظام المصرفي اللاربوية : أن يقوم قلة من الناس بإنشاء البنك على أساس المشاركة ، ويودع الجمهور مدخراتهم لدى البنك على أساس المضاربة ، أو في حسابات جارية أو حساب قروض مما يوفر أموالاً كبيرة للبنك يمكن استثمارها ، وسوف تخصص نسبة ١٠٪ من إجمالي هذه الودائع . كإحتياطي نقدي ، بالإضافة إلى نسبة ٥٠٪ من حساب القروض التي سوف تخصص لتقديم القروض الحسنة ، ويستثمر باقي حساب القروض مع حساب المضاربة لتقديم قروض إلى رجال الأعمال أو لشراء الأسهم التجارية أو لمقابلة تكاليف خدمات يحتاج إليها البنك . ويوزع الربح الناتج من استخدام الأموال بهذه الطريقة . . على أصحاب ودائع المضاربة بنسبة محدودة . ثم يوزع صافي الربح بين حملة أسهم المصرف كل حسب نسبة استهامة في رأس المال المستثمر . وبالإضافة إلى الربح الناتج من استخدام رأس المال ، فإن البنك يقدم للجمهور الحماية لمدخراته وسهولة التعامل عن طريق الحسابات الجارية ، ويوفر البنك التمويل لرجال الأعمال ، على أساس المشاركة ، أو يقدم لهم قروضاً قصيرة الأجل . وهذه القروض - بجانب تحقيقها ربحاً لحملة أسهم البنك - تحقق في الوقت ذاته منافع أخرى ذكرت من قبل .

طبيعة الائتمان المصرفي :

ويلعب النظام المصرفي دوراً هاماً في عملية تقديم الائتمان ، إذ يترتب عليها توليد نقود جديدة نتيجة نشاطه . ويمكن شرح هذه العملية على النحو التالي :

تقع مسئولية السيطرة على النظام النقدي في الاقتصاد الإسلامي المعاصر على الدولة ، إذ أن الدولة هي المسئولة عن إصدار العملات المعدنية والورقية ، ويجب أن تشي « لهذا الغرض مؤسسة خاصة ، ولا ينافيها في ذلك أي شخص آخر أو مؤسسة أخرى ، وسوف لا تتعرض هذه الدراسة إلى تفاصيل النظام النقدي في اقتصاد إسلامي ، إلا أنه يمكن القول أن هذا النظام لا يختلف كثيراً عن النظام النقدي الحالي . فالدولة الإسلامية المعاصرة . . يمكن أن تقوم بوضع القواعد واللوائح المتعلقة برأس المال والنقود مع الأخذ في الحسبان الوضع الاقتصادي للبلاد ، والظروف العملية ، وتقديرات أخرى في ضوء التجارب المعاصرة .

ففي الاقتصاديات التي يسمح فيها للبنوك التجارية بمزاولة أعمالها ، فإنه بجانب النقود التي تصدرها الدولة ، وهي العملات المعدنية والورقية ، فإن نشاط البنوك التجارية يولد نوعاً آخر من النقود تعرف بالنقود المصرفية ، ويعتمد هذه النقود على ميل الناس إلى الإدخار ، وإيداع جزء كبير من دخولهم ومدخراتهم لدى البنوك ، وسحب جزء قليل في شكل نقد . وزيادة على ذلك : فإن تسوية الحسابات بين أصحاب الودائع في البنوك تتم عن طريق الشيكات ولا تتم في الغالب نقداً . فالمدفوعات النقدية تتم فقط بالنسبة للنفقات الصغيرة ، أما المبالغ الكبيرة فتتم تسويتها عن طريق الشيكات . والشيك مستند يأمر بموجه صاحب الحساب البنك بدفع مبلغ محدد لشخص آخر . وغالباً لا يطلب هذا الشخص المبلغ المذكور من البنك نقداً ، لكنه يودع الشيك في حسابه في البنك . وينتج عن هذا انخفاض في حساب صاحب الشيك بقيمة المبلغ المسحوب ، وزيادة حساب الشخص المسحوب له الشيك بالقدر نفسه . وتم معظم التسويات النقدية بهذه الطريقة .

ويعود الجزء الأكبر من المبالغ المسحوبة نقداً . . إلى البنوك مرة ثانية . ذلك أن من تدفع لهم هذه المبالغ يقومون بإيداعها في حسابات جارية (أي حساب القروض) أو في حساب الإدخار (حساب المضاربة) .

وعندما يتعود الناس سحب جزء بسيط من ودائعهم من البنوك نقداً ، فإن البنوك تستطيع أن تستخدم جزءاً كبيراً من الودائع . . على أساس المضاربة ، أو في إقراض قصير الأجل . وعندما يستخدم البنك الودائع في أي من البديلين المذكورين ، فإن نقوداً مصرفية جديدة تتولد ، وهي النقود التي قدمت كقروض قصيرة الأجل ، أو أموال على أساس المضاربة . . إلى رجال الأعمال . وهذا التعامل . . . ليس له أثر على حقوق الملكية لأصحاب الودائع الأولية أو حقوقهم المتعلقة بتحويلها من شخص لآخر ، لأن هذه الحقوق آلت إليهم نتيجة اتفاق بينهم وبين البنك ^(١) . وفي الوقت نفسه ، فإن من يمنح قرضاً أو مالاً على أساس المضاربة ، فقد منح حق تملك هذه الأموال ، إذ يمكن للذين منحوا مثل هذه القروض إستخدامها في دفع رواتب الموظفين أو شراء تكاليف المواد الأولية أو سداد الإيجارات . كما يمكنهم دفع هذه المبالغ نقداً . . أو عن طريق شيكات . لأنهم قاموا بإيداع القرض كله لدى البنك . ويرجع تفضيلهم إيداع هذه المبالغ لدى البنك ، للعادة المصرفية التي تحتم الاحتفاظ بجزء صغير - في شكل نقد - لمقابلة المصروفات اليومية ، والجزء الأكبر . . في شكل ودائع بالبنك . وبعضهم يرغب في اتفاق هذه النقود بسرعة ويقوم بإيداعها في حسابات جارية .

أما الذين يرغبون في إدخارها لأجل مسمى ، فيودعونها في حساب المضاربة ، ونوجز القول فنقول : إن جزءاً كبيراً من الائتمان الذي توفره البنوك للمنشآت على شكل قروض ، أو على أساس

١ - هذا صحيح بالنسبة لكل من الودائع الجارية وودائع المضاربة أما بالنسبة لودائع المضاربة فقد تعهد مودعوها بالأسحبوا وداائعهم إلا بعد مدة معينة . وكما ذكر من قبل . . فإنه يمكنهم - في بعض الأحيان - أن يسحبوا نقودهم قبل إنتهاء المدة المتفق عليها .

المضاربة ، يعود مرة أخرى إلى البنوك ، وأن تداولته أيدٍ كثيرة^(٢) . ويرجع ذلك إلى ميل الأفراد إلى إيداع الدخول والمداخات في البنوك ، بدلاً من الإحتفاظ بها في شكل نقد ، وذلك لسهولة تسوية المدفوعات عن طريق الشيكات .

وتولد هذه النقود المصرفية زيادة في الحسابات الجارية وحسابات المضاربة بالبنك . وتصبح لدى البنوك مقدرة أكبر في تقديم قروض جديدة إلى رجال الأعمال ، إما كقروض لاربوية ، أو على أساس المضاربة . ولاشك أن عملية توليد النقود عملية طويلة ومستمرة لمقابلة الاحتياجات النقدية لأصحاب الودائع إذ لابد من أن تحتفظ البنوك برصيد نقدي ، ويترتب على ذلك أن تنتهي عملية توليد النقود عند نقطة معينة . والنقود المصرفية الجديدة تقدم كقروض أو أموال على أساس المضاربة . وتكون أقل من الودائع التي أودعت من قبل ، وذلك لما أحتفظ به البنك من رصيد نقدي ، نتيجة لذلك : فإن عملية توليد النقود تتناقص تدريجياً حتى تتوقف في النهاية ، وقبل نهايتها تحدث زيادة كبيرة في عرض النقود ، اعتماداً على نسبة الأرصدة النقدية التي ترغب البنوك في الإحتفاظ بها مقارنة بحجم الودائع الاولى ، وكلما إحتفظت البنوك بأرصدة نقدية كبيرة أدى ذلك إلى تقليص هذه الزيادة . أما إذا قامت البنوك بتقديم جزء كبير من الودائع إلى رجال الأعمال ، فإن معظم هذه المبالغ سوف تعود مرة أخرى الى ودائع البنوك ، وتصبح لدى البنوك مقدرة أخرى في منح ائتمان جديد في شكل قروض لاربوية أو تمويل على أساس المضاربة .

ويتم في كل دولة تداول جزء معين من النقود المصدرة في شكل عملات معدنية أو ورقية بين الناس . ويحفظ الجزء الآخر من هذه النقود في خزائن البنوك في شكل أرصدة نقدية ، ويحتفظ الجمهور كذلك بكمية من النقود لمواجهة النفقات اليومية الصغيرة ، كما تحتفظ البنوك ببعض الأرصدة النقدية لمواجهة الطوارئ ، أو لمواجهة طلبات النقد لأصحاب الودائع العادية ، ومع أن جزءاً كبيراً من الدخول والمداخات يحتفظ به لدى البنوك ، فإن كل هذه المبالغ . . لا تبقى نقداً ، إنما تقيد (ضمن الاموال المودعة) في دفاتر الأستاذ الخاصة بالبنك .

٢ - ونظام البنوك الحالي لتقديم قروض إلى صاحب المشروع هو أن يحول القرض لحسابه ، وإذا لم يكن لديه حساب فإنه يقوم بفتح حساب ويودع مبلغ القرض فيه . وفي بعض الأحيان تتم هذه العملية ، بحيث تسمح للمقرض سحب أقصى مبلغ ممكن ، غير أنه يحتفظ بنسبة بسيطة من الحساب ويقوم المقرض بسحب أي مبلغ يحتاجه ومن وقت إلى آخر عن طريق الشيكات لتسوية مدفوعاته . ومن هذه الزاوية . . فإن عملية فتح هذا الحساب الجديد تماثل عملية توليد نقود جديدة . ويمكن أن يجري نفس ما تم من قبل في المبالغ المقدمة على أساس المضاربة ، وقد ذكرت هذه الأمثلة لتوضيح أن المبالغ التي تدفع بواسطة البنوك كإئتمان عن طريق القروض أو المضاربة ، تعود إلى البنوك مرة أخرى نتيجة قيام من أنفقوها . . إيداعها مرة أخرى وتبقى النتيجة في كلتا الحالتين ثابتة ، وهي أن الائتمان المقدم من البنوك يبقى أسير النظام المصرفي .

ولما كان البنك على أتم إستعداد لمقابلة طلبات العملاء من النقد دون أدنى تأخير^(٣) ، فإن القيود في هذه الدفاتر ، تقوم بعمل النقود ، وهذا يعني أن نسبة صغيرة فقط من وسائل النقد ، سوف تتداول في شكل عملات معدنية وورقية ، ويبقى الجزء الأكبر كودائع أو قيودات في دفاتر البنوك التجارية ، إلى جانب الأرصدة الثانوية الأخرى ، التي يمكن أن تلجأ إليها البنوك التجارية عند الطوارئ . ولذلك فإن حجم الائتمان المصرفي يعتمد على حجم الأرصدة النقدية التي ترغب البنوك التجارية في الاحتفاظ بها . وبما أن حجم الأرصدة النقدية لدى البنوك تتغير ، فإن حجم الودائع الثانوية تتسع وتقلص ، وبانخفاض طلب الجمهور على النقد يمكن أن تأتي ودائع إضافية أخرى ، وعندها . . يمكن للبنوك التجارية أن تقوم بتوليد نقود جديدة تزيد عدة مرات على حجم الودائع الأولية .

عندما يزيد طلب الجمهور على النقود . . فإن العكس يحدث ، ويضطر البنك لمقابلة ذلك بزيادة أرسدته النقدية ، وينتج عن ذلك تخفيض كبير في حجم الائتمان ، ومن ثم في حجم النقود المولدة عن طريق البنوك . وهناك سبب آخر يمكن أن يؤدي إلى زيادة أو نقصان في كمية الأرصدة النقدية لدى البنوك التجارية ، وهو خاص بسياسات البنك المركزي . . كما هو سيبين في الفصل القادم . ودراسة وظائف البنك المركزي ، ستكشف لنا أن التوسع أو الانكماش في الائتمان الناتج من التغيرات في الطلب على النقود ، يمكن السيطرة عليهما . . إلى حد كبير . . عن طريق سياسات البنك المركزي . فإذا رغب البنك المركزي في الحد من هذه القبلات ، فإنه يقوم بإتخاذ الخطوات المناسبة التي تمكنه من السيطرة على كمية النقود .

وتبدل البنوك المركزية في الإقتصاد المعاصر جهدها للسيطرة على كمية النقود ، حتى لا تتغير وفق التغيرات المفاجئة لرغبات الجمهور . ومن المناسب : تأجيل دراسة هذه النقطة ، حتى تتم بعد دراسة وضع البنوك المركزية في النظام المصرفي ، وينظر الى عملية توليد النقود في هذه المرحلة بافتراض أن التقلبات في هذه العملية تنتج من التدفقات النقدية من وإلى البنوك التجارية . . نتيجة لرغبات الجمهور .

وتقوم البنوك التجارية حالياً - بجانب إحتفاظها بنسبة رصيد نقدي ثابت - بالاحتفاظ بأرصدة ثانوية يمكن تحويلها إلى نقد دون تأخير ، وتمثل هذه الأصول . . في القروض القابلة للدفع عند الطلب والشهادات الممتازة ، وهي بجانب ماتدره من أرباح . . تفي كذلك بمتطلبات السيولة ، عندما تدعو الحاجة إلى ذلك .

وتعرضنا في الجزء السابق إلى مناقشة موضوع الرصيد النقدي ، أما في الجزء التالي . . فسوف نشرح الأصول التي يمكن للبنوك التجارية أن تتخذها إحتياطاً ثانوياً في ظل إقتصاد^(٤) لا يقوم على الفائدة . وبما

٣ - طالما أن البنك يعمل في إطار القواعد واللوائح المذكورة أعلاه ، فيما يتعلق بسحب الأموال من ودائع المضاربة .

٤ - يرجع الرجوع إلى الفصل السادس الذي يناقش البنوك المركزية والفصل السابع الذي يناقش النظام المصرفي والمالية العامة .

أن طبيعة هذه الأصول لم تتحدد بعد ، فإن مناقشة هذا الموضوع ستم على تقدير أن الرصيد النقدي ،
يكفي لمواجهة طلب الجمهور على النقود من البنوك التجارية .

عملية توليد النقود :

لتوضيح عملية توليد النقود في النظام المصرفي اللاربوي فن المفيد أن نقدم بعض الأمثلة الحسابية التي
تقوم على أساس الافتراضات التالية : -

١ - سوف تحتفظ البنوك بنسبة ١٠٪ من إجمالي حسابي المضاربة والقروض . . رصيماً نقدياً . .
لمواجهة طلبات الجمهور على النقد . وهذه النسبة كافية لمواجهة هذه الطلبات .

٢ - سوف تودع المبالغ المسحوبة من البنك على أساس المضاربة مرة أخرى ، إما في حساب القرض
أو في حساب المضاربة .

لقد سبق أن شرحنا المبررات لهذه الافتراضات ، إلا أن المبالغ المسحوبة من البنوك - في الواقع -
لا تعود كاملة مرة أخرى في خزائنها ، وسيتم تداول جزء صغير من هذه المبالغ بين الناس على شكل نقد ،
إلا أننا لغرض التبسيط سنفترض أن كل المبالغ المسحوبة ستودع ثانية في النظام المصرفي . فإذا افترضنا أن
٢٠٪ سوف تبقى في أيدي الناس على شكل نقد وأن ٨٠٪ سوف تعود ثانية إلى الودائع بالبنوك ، فإن هذا
الافتراض يعقد الأمثلة الحسابية . ولا يؤدي تجاهله إلى تأثير على النتيجة النهائية .

٣ - لذلك فإننا سنفترض أن المبالغ المسحوبة ستعود كاملة إلى البنوك التجارية ، وأن النسبة بين
حسابي القروض والمضاربة التي حددت من قبل وهي ٦٠٪ من إجمالي الودائع ستكون في حساب
القروض و ٤٠٪ ستودع في حساب المضاربة^(٥) - ستظل ثابتة . . سواء زادت الودائع أم نقصت .
وسيكون تدفق الودائع الجديدة - حسب هذا الافتراض - بنفس النسبة ، وعندما تقوم البنوك
بتقديم القروض إلى رجال الأعمال ، فإن الودائع الثانوية الناتجة من هذه القروض ستودع بالنسبة نفسها
بين حسابي القروض والمضاربة . وكذلك المبالغ المسحوبة من البنك ستكون بالنسبة نفسها في كل من
الحسابين . وافتراضنا هذه النسبة بين حسابي القروض والمضاربة على أساس أنها تعكس عادات الجمهور
وإنتاجاته ، فإذا لم تتغير هذه العادات والاتجاهات ، فإن هذه النسبة لا تتغير ، ولا ينبغي هذا أن ثم
تغيرات مؤقته ستحدث في هذه النسبة ، ولكنها سوف تعود تلقائياً إلى الحالة المقترحة ، وتعتمد النسبة على
رغبات الجمهور في الإستهلاك والإدخار ، وتعكس النسبة كذلك الحاجة إلى تحقيق الربح وتوفير
الحماية .

٥ - كما سبق أن شرحنا : فإن رأس المال الذي قدمه المساهمون في إنشاء البنك ، ضم أيضاً إلى حساب المضاربة
لتفادي التعقيدات في إعداد حسابات البنك وتبسيط الأمثلة العددية . وإضافة رأس مال المساهمين في جانب الخصوم
تقتضي كذلك إضافة تكلفة مباني البنك وأثاثاته المعمرة الأخرى إلى جانب الأصول . إلا أننا لتفادي التعقيد لم نطرح هذا
الموضوع بشكل منفصل ، ولذلك . . فإننا نتجاهل رأس المال المقدم من قبل الشركاء والأصول الخاصة بالبنك .

ونسبة ال ٦٠٪ وال ٤٠٪ تجعل الأمثلة الحسابية أقل تعقيداً . إذ كان من الممكن أن نفترض نسبة أخرى لاستعمالها لحساب عملية توليد النقود ، إلا أننا خشنا أن تصبح الصورة أكثر تعقيداً ولا تؤدي إلى توضيح ما هو مبين في هذه الأمثلة .

٤ - وكما سبق أن افترضنا : فإن البنك يستخدم ٥٠٪ من الدائع لتقديم قروض لاربوية ، وبعد إستخراج نسبة الرصيد النقدي . . يستخدم بقية المبالغ المودعة للاستثمار على أساس المضاربة أو في شراء الأسهم ، أو في توفير بعض الخدمات المهمة . وإفترض المؤلف . . من أجل التوضيح . . أن الاستثمار الوحيد الذي يمكن أن يتم في هذا النظام ، يكون على أساس المضاربة ، أو شراء الأسهم ، أو توفير الخدمات . . وغير ذلك من الأعمال المربحة المدرجة في الاستثمارات على أساس المضاربة .

٥ - ويفترض كذلك أن تكون هناك بنوك متعددة في البلاد ، وأن ما تم تديره على أساس القروض أو المضاربة من قبل أحد البنوك . . لا يعود كله إلى نفس البنك ، ولكن أجزاء منه تعود إلى بنوك متعددة ، ونتيجة لذلك . . فإن البنوك تتلقى جزءاً من المبالغ التي قدمتها بالإضافة إلى جزء مقدم من بنوك أخرى . ومن ثم فإن الافتراض الثاني ، والمتعلق بأن المبالغ التي تم توفيرها بوساطة البنك - إما على أساس القرض أو المضاربة - سيتم إيداعها في النهاية بحساب البنك . . وهنا يمكن أن يكون صحيحاً إذا كان متعلقاً بالنظام المصرفي ككل ، وليس إذا أخذنا بنكاً واحداً بمفرده . ولتفادي هذا التعقيد فسوف يفترض بأن هناك بنكاً واحداً فقط في البلاد يتعامل مع جميع الأشخاص والهيئات ، والواقع يحتم وجود عدد كبير من البنوك . ويأخذ البنك الواحد مقام النظام المصرفي ككل في الأمثلة أدناه .

الأمثلة :-

سنبداً - أولاً - بإعداد ميزانيات جميع البنوك في البلاد في وقت محدد ، وتقييد المبالغ المودعة في حسابي القروض والمضاربة في جانب الأيسر . . لأنها تمثل جانباً من خصوم البنك الذي يظل مسئولاً عن إعادة هذه المبالغ إلى أصحابها .

أما أصول البنك . . فهي موضحة في الجانب الأيمن وهي : الرصيد النقدي والقروض اللاربوية المقدمة ، وكذلك التمويل المقدم على أساس المضاربة ، ويجب أن تتساوى الخصوم والأصول في الميزانية ^(٦) .

٦ - إنه ليست من مسئولية البنك أن يعيد جميع المبالغ التي أودعت في حساب المضاربة ، وبالمثل : فإنه من الممكن أيضاً ألا يتم إستعادة جميع المبالغ التي تم توفيرها على أساس المضاربة إلى البنوك . بل إنها تعود ناقصة أحياناً ، وإذا حدث إنخفاض في أصول البنك نتيجة لأية خسارة ، فإن نفس الإنخفاض سيتم أيضاً في خصوم البنك ، مما يحدث توازناً في الأصول والخصوم . وكما سبق أن شرحنا : إذ حدثت خسارة من جراء تقديم مبالغ على أساس المضاربة من حساب المضاربة ، فإن الخسارة سيحملها جميع أصحاب حساب المضاربة . أما إذا قدمت البنوك تمويلاً على أساس المضاربة من حساب القروض ، فإن مسئولية الخسارة - في هذه الحالة - ستقع على حملة الأسهم بالبنك . وعلى العكس . . إذا حقق البنك أرباحاً من الأموال المقدمة على أساس المضاربة ، فإن هذه الأرباح ستضاف في جانب الخصوم بعد إضافتها الى عائدات حملة الأسهم .

وفي الميزانية المبينة أدناه في الجدول رقم (٥ - ١) فإننا لم نوضح ما إستلمته البنوك من نقود متداولة بيد الجمهور بغرض تبسيط هذه الأمثلة ، وسوف نفترض في هذه المناقشة أن إجمالي عرض النقود يساوي إجمالي النقود ودائع البنك . أي أن النقود في ودائع البنوك هي جملة النقود المعروفة . وستجاهل في هذه المناقشة النقود المتداولة في يد الجمهور ، علماً بأن تداول جزء من النقود على شكل نقد في أيدي الجمهور لا يؤثر على النتائج التي ستتوصل إليها . أما إذا كانت هناك تقلبات في الطلب على النقود عندما يرغب الجمهور الاحتفاظ بأرصدة نقدية كبيرة أو صغيرة - فسيكون هناك بعض الأثر على عرض النقود . وسنوضح هذه المشكلة في الفقرات التالية : -

جدول رقم ٥ - ١
ميزانية البنك اللاربوي بالروبيات

الأصول		الخصوم	
استثمارات على	قروض لاربوية	ودائع	ودائع
أساس المضاربة	مقدمة	مضاربة	قروض
٦٠٪	٣٠٪	٤٠٪	٦٠٪
٦٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٦٠٠٠٠

يوضح لنا الجدول (١) ميزانية البنك اللاربوي ، في جانب الخصوم نرى أن مبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبية قد أودعت لدى البنك في بداية المدة المذكورة ؛ وتفاصيلها كالتالي :

أن مبلغ ٦٠,٠٠٠ روبية أودع في حساب القروض ومبلغ ٤٠,٠٠٠ روبية في حساب المضاربة وإحتفظ البنك بمبلغ ١٠,٠٠٠ روبية كإحتياطٍ نقدي . ويدفع مبلغ ٣٠,٠٠٠ روبية كقروض . والمبلغ الباقي وقدره ٦٠,٠٠٠ روبية قدمها البنك لرجال الأعمال كتمويل على أساس المضاربة . وهكذا نرى توازن جانبي الأصول والخصوم - في ميزانية البنك .

وإذا قام الجمهور بإيداع المزيد من النقد لدى البنك فإن ذلك سيخل التوازن في جانبي الخصوم والأصول ، وتتغير معه ميزانية البنك . وإذا افترضنا أن الجمهور أودع مبلغ ١,٠٠٠ روبية أي أن ٦٠٠ روبية ستودع في حساب القروض وأن مبلغ ٤٠٠ روبية ستودع في حساب المضاربة ، فإن البنك سيقوم بإضافة مبلغ ١٠٠ روبية إلى رصيده النقدي مقابل هذه الويعة الجديدة لمواجهة الطلبات النقدية لأصحاب الوديعة الجديدة .

وربما يرغب البنك في استخدام باقي المبلغ وهو ٩٠٠ روية ، على نحو يعطي فيه ٣٠٠ روية للراغبين في قروض نتيجة الزيادة في ودائع القروض البالغة ٦٠٠ روية ، ويرغب البنك في تقديم الباقي وهو ٦٠٠ روية إلى رجال الأعمال ، على أساس المضاربة ، ليتمكن من تحقيق بعض الأرباح . . على إفتراض أن هناك طلباً على أموال المضاربة ، ويستطيع البنك تقديم مبلغ ٦٠٠ روية وسوف تكون ميزانية البنك على النحو المبين في جدول رقم (٢) .

ويبين السطر الأول من الجدول ، أثر تدفق الودائع الجديدة البالغة ١,٠٠ روية على جانب الأصول في البنك ، ويتبين لنا أن كل الودائع الجديدة قد أضيفت باديء ذي بدء إلى الرصيد النقدي .
ويبين السطر الثاني - في الميزانية - استخدام البنك فائض الرصيد النقدي لديه . وفي السطر الثاني تركت خانة الخصوم خالية ، لأن ماتم قيده في السطر الأول سوف لا يقيد مرة أخرى في السطر الثاني .

جدول رقم ٥ - ٢

المرحلة الأولى : تدفق ودائع جديدة الى البنك « بالرويات »

الخصوم		الأصول		
ودائع	ودائع	رصيد	قروض مقدمة	استثمارات على
القروض	المضاربة	نقدي	للجمهور	أساس المضاربة
٦٠٠.٠٠٠	٤٠٠.٠٠٠	١١٠٠.٠٠٠	٣٠٠.٠٠٠	٦٠٠.٠٠٠
—	—	١٠١٠.٠٠٠	٣٠٣.٠٠٠	٦٠٦.٠٠٠

وكما سبق أن ذكر : فإن مبلغ الـ ٩٠٠ روية التي تلقاها رجال الأعمال من البنك كقرض أو على أساس المضاربة سيعود في النهاية إلى حساب البنك مرة أخرى وستودع ٦٠٪ من هذا المبلغ (أي ٥٤٠ روية) في حساب القروض و ٤٠٪ منه (أي ٣٦٠ روية) في حساب المضاربة . وهذا يعني أن مبلغ الـ ٩٠٠ روية قد أضيف إلى خصوم البنك . ولابد للبنك من الاحتفاظ برصيد نقدي مقابل هذه الودائع ، لذلك ستكون هناك زيادة في الأرصدة النقدية للبنك تبلغ ٩٠ روية فقط لمقابلة هذه المسئولية الجديدة . وسوف يستخدم البنك مبلغ ٨١٠ رويات في الإقراض . وبما أن هناك زيادة قدرها ٥٤٠ روية في حساب القروض ، فإذا افترضنا أن هناك طلباً على القروض من الجمهور فإن مبلغ ٢٧٠ روية سيقدم كقروض وسيقوم البنك بتقديم مبلغ قدره ٥٤٠ روية كذلك على أساس المضاربة للراغبين لاستثمارها . ويمكن إيضاح هذه الخطوات على النحو المبين في الجدول رقم (٣) .

جدول رقم ٥ - ٣
المرحلة الثانية : الزيادة في عروض النقود

الأصول		الخصوم	
الرصيد النقدي	القروض المقدمة	استثمارات على أساس المضاربة	ودائع القروض
١١٠٠٠.٠٠	٣٠٣٠٠.٠٠	٦٠٦٠٠.٠٠	٦١١٤٠.٠٠
١٠١٩٠.٠٠	٣٠٥٧٠.٠٠	٦١١٤٠.٠٠	٤٠٧٦٠.٠٠

والمعتاد يشير السطر الاول في جانب الخصوم والأصول إلى تدفق الودائع الجديدة . ويشير السطر الثاني في جانب الأصول إلى الموقف بعد الاستعمال . غير أن هذا يمثل مرحلة مؤقتة ، لأن هذه العملية التي سبق شرحها ستستمر ، تستمر معها كذلك زيادة حجم الحسابات المودعة في البنك . وبعبارة أخرى : فإن عملية توليد النقود . . ستستمر وتصل في النهاية الى مرحلة يبلغ فيها إجمالي الزيادة في حجم ودائع البنك ١٠٠٠٠٠ روية ، وسوف تتوقف عملية التوسع في عرض النقود وفي الميزانية الموحدة ، لأن موقف البنك سيكون على النحو الموضح في الجدول رقم (٤) .

جدول رقم ٥ - ٤
المرحلة الأخيرة : رصيد الزيادة في عرض النقود « بالروبيات »

الأصول		الخصوم	
الرصيد النقدي	القروض المقدمة للجمهور	الاستثمارات على أساس المضاربة	ودائع القروض
١١٠٠٠.٠٠	٣٣٠٠٠.٠٠	٦٦٠٠٠.٠٠	٦٦٠٠٠.٠٠
(١٠٠٠.٠٠)	(٣٠٠٠.٠٠)	(٦٠٠٠.٠٠)	(٤٠٠٠.٠٠)
		زيادة	

الأرقام الموضحة بين الأقواس في السطر الثاني ، توضح الزيادة التي تمت في جميع أنواع الودائع والأصول المختلفة ، مقارنة بما كانت عليه في بداية العملية . والآن . . نرى أنه قد تمت موازنة الميزانية ، ولا توجد ودائع فائضة يمكن استخدامها لتوليد ائتمان مصرفي جديد . وفي المراحل المتعددة التي مرت بها هذه العملية ، توصلنا إلى الميزانية الأخيرة الموضحة (في جدول رقم (٤) فقد شرحنا بالتفصيل مرحلتين فقط من الجدول السابق . أما جدول رقم (٥) فإنه يوضح بعض المراحل التي يمكن أن توضح للقاريء كيف تمت الزيادة في كمية النقود .

جدول رقم ٥ - ٥

مراحل بيان الزيادة في عرض النقود « بالرويات »

المراحل	الزيادة في ودائع البنك	الزيادة في الرصيد النقدي	القروض المقدمة والاستثمارات على أساس المضاربة
وصول الودائع الجديدة :			
المرحلة الأولى	١٠٠٠.٠٠	١٠٠.٠٠	٩٠٠.٠٠
» الثانية	٩٠٠.٠٠	٩٠.٠٠	٨١٠.٠٠
» الثالثة	٨١٠.٠٠	٨١.٠٠	٧٢٩.٠٠
» الرابعة	٧٢٠.٠٠	٧٣.٠٠	٦٥٦.٠٠
» الخامسة	٦٥٦.٠٠	٦٦.٠٠	٥٩٠.٠٠
» السادسة	٥٩٠.٠٠	٥٩.٠٠	٥٣١.٠٠
» السابعة	٣٥١.٠٠	٥٣.٠٠	٤٧٨.٠٠
» الثامنة	٤٧٨.٠٠	٤٨.٠٠	٤٣٠.٠٠
» التاسعة	٤٣٠.٠٠	٤٣.٠٠	٣٨٧.٠٠
» العاشرة	٣٨٧.٠٠	٣٩.٠٠	٣٤٧.٠٠
إجمالي جميع المراحل	١٠٠٠٠.٠٠	١٠٠٠.٠٠	٩٠٠٠.٠٠

ويبين كل سطر من جدول رقم (٥) أعلاه أنه نتيجة لزيادة ودائع البنك ، فإن البنك يحتفظ فقط بعشر ١/١٠ هذه الودائع كرصيد نقدي ويستخدم تسعة الأعشار الباقية ٩/١٠ على النحو الذي شرحناه من قبل .

ونتيجة لاستخدام البنك الودائع في المرحلة الأولى يزيد كل من حسابي المضاربة والقروض ثم يزيد الرصيد النقدي - تبعاً لذلك - بصورة مستمرة وتبين الأعمدة المختلفة في الجدول (رقم ٥) أن كل زيادة جديدة هي أقل من سابقتها ، أي أن كمية الزيادة تتناقص قيمتها من مرحلة إلى أخرى . ففي المرحلة الأولى كانت الزيادة تساوي ١,٠٠٠ روبية في حين أنها بلغت مبلغاً قدره ٣٧٨ روبية فقط في المرحلة العاشرة .

ولذلك . . . فلا بد من أن نصل إلى مرحلة يكون حجم الزيادة فيها صفرًا ، وأن إجمالي الزيادة في المراحل العشر هو مبلغ ٦,٥٠٠ روبية ، إلا أنه عند إستكمال جميع المراحل يصبح إجمالي الزيادة مبلغ ١٠,٠٠٠ روبية^(٧) .

ويستحق العمود الخاص بـ (الزيادة في الرصيد النقدي) في جدول رقم (٥) إهتماماً خاصاً ؛ فإن العرف المصرفي يقتضي أن يحتفظ البنك بنسبة ١٠٪ من حجم خصوماته كاحتياطي نقدي مقابل الزيادة في ودائعه .

ولذلك . . . كل قيد جديد في هذا العمود ، سيكون أقل بمقدار عشر ١/١٠ الحساب الذي قبله ، وبما أن جملة المبلغ في هذا العمود هي تسعة أعشار ٩/١٠ المرحلة السابقة ، فإن الزيادة في الرصيد النقدي سوف تستمر في التناقص لتصل إلى مرحلة تصبح فيها صفرًا ، وفي هذا العمود يبلغ إجمالي الرصيد النقدي حتى المرحلة العاشرة ٦٥٢ روبية في حين يبلغ إجمالي الرصيد النقدي لجميع المراحل ١,٠٠٠ روبية . وبين العمود الأخير في الجدول رقم (٥) كمية الزيادة في القروض المقدمة من البنك كقروض لاربية أو على أساس المضاربة ، وذلك نتيجة لتدفق الودائع الجديدة . وحجم الزيادة في كل مرحلة أقل من سابقتها ، إلى أن تصل الزيادة صفرًا ، حيث تبلغ حجم القروض التي تولدت - نتيجة هذه العملية - مبلغ ٩,٠٠٠ روبية ، وهذه هي نفس المرحلة التي تصل فيها الزيادة في الرصيد النقدي مقابل الودائع الجديدة صفرًا . وفي هذه المرحلة يتوقف التوسع في عرض النقود - لأن هذا التوسع يعتمد على تدفق الودائع الجديدة إلى البنك ، أي أنه في المرحلة الأخيرة . . . عندما يستخدم البنك كل الفوائض النقدية لديه ، وعندما لا يكون لديه فائض فإنه لا يستطيع توليد نقود . وتبين لنا دراسة فقرة إجمالي جميع المراحل أن مبلغ الـ ١,٠٠٠ روبية الذي أودعه الجمهور في البنك ، قد ضم بالكامل في الرصيد النقدي ، وتسبب في زيادة عرض النقود بما قيمته ٩,٠٠٠ روبية . . . أودعت في حسابي القروض والمضاربة بأسماء الكثيرين من أصحاب هذه الودائع ، وهؤلاء يستطيعون ممارسة حقهم في الملكية بإجراء مسحوبات من هذه الودائع ، وهذا المبلغ (٩٠٠٠ روبية) وهو نقود مصرفية لم تكن موجودة من قبل ، فقد ظهرت إلى الوجود نتيجة العمليات المصرفية التي نشأت من وصول ودائع جديدة في وقت توافرت فيه الرغبة لدى قطاع الأعمال إلى الائتمان .

٧ - طبقاً للمتوالية الهندسية فإن $1 + \frac{9}{10} + \frac{9}{10} \left(\frac{9}{10} \right) + \frac{9}{10} \left(\frac{9}{10} \right)^2 + \dots = 10$

لقد كان إجمالي عرض النقود ١٠٠,٠٠٠ روية قبل بداية هذه العملية ، ثم أصبح الآن ١١٠,٠٠٠ روية . ومن هذا المبلغ . . فإن مبلغ ١٠٠٠ روية . . أودعها الجمهور نقداً . أما مبلغ الـ ٩,٠٠٠ روية فتولدت من أعمال البنك .

وهذه النقود الجديدة تأخذ شكل ودائع مصرفية . فالودائع المصرفية هي نقود ، ويستطيع كل صاحب حساب أن يسحب نقوداً من حسابه ويلتزم البنك بدفع ما يطلبه . وكذلك يمكن لصاحب الحساب أن يأمر بتحويل هذه المبالغ بشيك إلى الآخرين . . ويلزم البنك بالوفاء بذلك^(٨) ، وكل ودیعة جديدة . . هي نقود جديدة . وكل زيادة قدرها ١٠,٠٠٠ روية في الواقع لدى البنك تعني كذلك زيادة مماثلة في عرض النقود قدرها ١٠,٠٠٠ روية .

لقد شرحنا فيما سبق : كيف تتم عملية توليد النقود المصرفية ، وأن توليد الائتمان يتم عندما يتلقى البنك ودائع جديدة . ولما كان الهدف الأساسي للبنك تحقيق الربح . . فإنه بعد أن يضع نسبة كرسيد نقدي لمواجهة طلب الجمهور على النقد . يقوم باستثمار بقية الودائع وتوفرها إلى رجال الأعمال ، ونتيجة لهذا الاستثمار . . تتم عملية توليد النقود التي شرحناها من قبل .

ومن المناسب أن نؤكد هنا أنه إذا أجرينا تعديلاً على الافتراضات ، فلن يكون هناك أثر على النتائج التي توصلنا إليها لتبسيط الأمثلة الحسابية ، فقد كان إفتراضنا أولاً هو وجود نسبة ١٠٪ كرسيد نقدي لكل ودیعة بالبنك ، فإذا إفترضنا وجود نسبة واحد إلى خمسة (١ : ٥) بين الرصيد النقدي والودائع التي في البنوك ، أو واحد إلى عشرين (١ : ٢٠) ، فإن ذلك سيغير فقط الأرقام المقيدة في الأعمدة المختلفة التي بالجدول السابقة ، غير أنه لا يؤثر على أصل العملية ، ولا على طريقة احتسابها . فإذا كان الرصيد النقدي هو ٥٪ فقط من إجمالي ودائع البنك ، فإن عرض النقود سيزيد ليبلغ ٢٠,٠٠٠ روية نتيجة لتدفق ودیعة أولية قدرها ١٠٠٠ روية ، وإذا كان الرصيد النقدي ٢٠٪ من إجمالي ودائع البنك فإن عرض النقود سيزيد ليبلغ ٥٠٠٠ روية فقط أي أن العملية ستظل مستمرة وستتولد نقود جديدة ويزيد تبعاً لذلك عرض النقود .

وإذا إفترضنا أن البنك سوف يحتفظ برصيد نقدي مختلف لودائع القروض وودائع المضاربة ، فإن ذلك لا يؤثر على النتائج التي توصلنا إليها . ولنفترض أن ١٠٪ هي نسبة الرصيد النقدي لحساب القروض . وأن ٥٪ وضعت كنسبة رصيد نقدي مقابل حساب المضاربة ، فإن الرصيد النقدي الابتدائي

٨ - ولا يسمح بالسحب فوراً من حسابات المضاربة عن طريق الشيكات . ومن ثم فلا بد من إعطاء إعلان عند إجراء هذه المسحوبات ، ولذلك . . فإننا نعد فقط حساب القروض جزءاً من النقود ، وفي مثل هذه الحالات . . فإن عملية توليد النقود التي سبق شرحها في الأمثلة السابقة . . سوف لا تتغير . ويمكن أن نقول : إن إجمالي عرض النقود قد إتسع من ٦٠,٠٠٠ روية إلى ٦٦,٠٠٠ روية . والطريقة الأخرى : هي أن تنظم البنوك أعمالها على نحو يسمح فيه بأن يدفع لأصحاب حساب المضاربة كذلك عند الطلب . . ولذلك فإنه يمكن تجاهل الفرق بين حسابي القروض والمضاربة . وإتبعنا هذا الأسلوب في التحليل السابق . وربما الأفضل نظرياً أن نأخذ حساب القروض فقط كنقود .

لدى البنك سيكون ٨,٠٠٠ روية وتدفع ودائع جديدة تبلغ ١,٠٠٠ روية سيسفر عنه زيادة في عرض النقود تبلغ ١٢,٥٠٠ روية . وفيما عدا هذا التغير الكمي في عرض النقود ، فإنه لن يكون هناك آثار على طبيعة عملية توليد النقود ، ولا على عرض النقود . والافتراض الآخر : هو أن القروض المقدمة على سبيل القرض أو المضاربة ، ستعود بكاملها إلى ودائع البنك . والآن . . إذا استبعدنا هذا الافتراض وإفترضنا أن $\frac{1}{9}$ من المبالغ المقدمة تظل في أيدي الناس ، حيث أن $\frac{8}{9}$ فقط تودع في البنك ، فإن كل زيادة في إجمالي ودائع البنك في المراحل المختلفة التي شرحناها ستكون $\frac{4}{5}$ الزيادة التي قبلها ، وستبلغ الزيادة في عرض النقود ٥,٠٠٠ روية فقط ، وبالإضافة إلى ذلك : ستكون هناك زيادة قدرها ٥٠٠ روية فقط في الرصيد النقدي . ومن الودائع الجديدة البالغة ١,٠٠٠ روية ستبقى في التداول مبلغ ٥٠٠ روية فقط . وجدول رقم (٦) يوضح تفاصيل هذه العملية ، والتي تشرح الموقف في بعض المراحل على ضوء الافتراضات الجديدة .

جدول رقم ٥ - ٦

بعض المراحل لعملية توليد النقود على ضوء الافتراضات الجديدة « بالرويات »

المراحل	الزيادة في ودائع البنك	الزيادة في الرصيد النقدي	الزيادة في المبالغ المدة للقروض أو المضاربة	الزيادة في النقد المتداول في يد الجمهور
الأولى تدفق ودائع جديدة :	١٠٠٠	١٠٠	٩٠٠	—
الثانية	٨٠٠	٨٠	٧٢٠	١٠٠
الثالثة	٦٤٠	٥١	٥٧٠	٦١
الرابعة	٥١٢	٤١	٤٦١	٤٨
الخامسة	٤١٠	٠٠	٣٦٩	٠٠
إجمالي المراحل	٥٠٠٠	٥٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠

ومن دراسة الجدول السابق ، نؤكد أن عملية توليد النقود لا تقوم فقط على افتراض أن جميع المبالغ سوف تودع مرة أخرى ، إذ يكفي أن يعود جزء من الودائع إلى البنك . ويمكن الافتراض في ظل تطور العادة المصرفية ، أن الجزء الأكبر من المبالغ المقرضة سوف تعود مرة أخرى كودائع إلى البنك في النهاية . كما أن الاحتفاظ بجزء من هذه المبالغ في يد الجمهور يؤثر على نسبة الزيادة في عرض النقود ، وفي تدفق

ودائع جديدة . أما الافتراض الثالث والرابع فليس لهما علاقة مباشرة بالعملية المذكورة ، لأن هذه العملية تعتمد على التغير في إجمالي حجم الودائع . . . وليس على النسبة بين حسابي القروض والمضاربة . فإذا اختلفت نسبة الاحتياطي في مقابل كل من الحسابين ، وتغيرت النسبة بين هذين الحسابين في المراحل المتوسطة ، فستتغير النتائج في الجدول رقم (٦) بصورة كبيرة . وحتى بعد هذا التغير ، فإن عملية الزيادة في كمية النقود ستستمر ، وستكون كما سبق شرحه ، فإذا افترضنا أن ثلث حساب القروض . . . قد اقرضت بدلا من النصف ، فسينتج عن ذلك زيادة في الأموال التي يتم توفيرها على أساس المضاربة ، وستستمر عملية التوسع في عرض النقود ، وكذلك عملية توليد النقود المصرفية ، دون تأثير .

نخلص من المناقشات السابقة . . . بأن عملية توليد النقود المصرفية في ظل النظام المصرفي اللاربوي ، سوف تخضع لنفس الأسباب والعوامل التي تحكم سلوكها في النظام المصرفي المعاصر . وغالبا ما يقوم الجمهور بإيداع نقودهم لدى البنك ، وسحب جزء صغير منها . . . نقداً ، لأن تسوية معظم المسحوبات تتم عن طريق الشيكات ، وتقوم البنوك باستخدام كل المبالغ المودعة . . . سوى الرصيد النقدي الذي تحفظه لمواجهة طلب الجمهور على النقد . وعملية توليد النقود لا تعتمد بالضرورة على تقاضي الفائدة أو على المشاركة في الأرباح أو دفع نسبة محدودة من الأرباح لأصحاب الودائع ، وهي خلاصة هامة إنتهت إليها هذه المناقشة . ومع أنها حقيقة بسيطة ، إلا أن إبرازها ضروري ، حتى يعلم الجميع بأنه لا صحة للرأي القائل : إذا منعت الفائدة فلا يمكن للنظام المصرفي أن يعيشه ، وأن الائتمان المصرفي سيتوقف ، وسيصبح النظام الاقتصادي كله ضحية للقيود والاختناقات غير العادية .

إلغاء الائتمان المصرفي وتخفيض عرض النقود :

إن التوسع في الأعمال المصرفية يحدث نتيجة تدفق الودائع الجديدة التي تولد نقوداً جديدة . كذلك تقلص الأعمال المصرفية إذا قام أصحاب الودائع بسحب مبالغ من ودائعهم ، أي إذا زاد طلبهم على النقود . وإذا بقيت المبالغ المسحوبة في يد الجمهور ولم تودع في حسابات البنك فإن ذلك يؤدي إلى تقلص العمل المصرفي ، ويسفر عن إنكماش في عرض النقود ، وإنخفاض في الائتمان المصرفي . . . نتيجة إنخفاض الودائع لدى البنك .

وإفترضنا من قبل ، أن نسبة الرصيد النقدي هي واحد إلى عشرة (١/٥) من جملة ودائع البنك . ونفترض أنه عندما يستعيد البنك المبالغ المقدمة منه قروضا أو على أساس المضاربة من رجال الأعمال ، فإن ذلك يؤدي إلى تقلص الودائع بنفس النسبة ، إذ عندما يتوقف هؤلاء عن العمل ، أو عندما يجرون تخفيضاً في حجم أعمالهم ، فسوف ينتج عن ذلك تخفيض في دخل بعض أفراد المجتمع . أما الأفراد الذين ستخفيض دخولهم أو سيتوقفون عن العمل ؛ أمثال (العمال ، وأصحاب المحلات التجارية ، والموظفون ، وملاك المنازل) سيضطرون بدورهم إلى سحب ودائعهم من البنوك لمواجهة عجوزاتهم المالية ، أي أن الدورة - في النهاية - ستصيب رجال الأعمال ، ومن ثم ودائعهم في البنوك .

والإفتراض هنا : أن الانكماش فى ودائع البنك سيتساوى مع النقود التى تم سحبها ، وهو لئفادى التعقيدات فى الأمثلة الحسابية . ومن المحتمل أن يكون النقص فى ودائع البنك أقل من المبالغ المسحوبة . إلا أن هذا لا يؤثر على عرض النقود .

وسبق أن أشرنا إلى نسبة بين حسابى القروض والمضاربة ، وسوف تستمر هذه النسبة فى حالة إنخفاض الودائع المصرفية . فعندما يقوم البنك بسحب الأموال التى قدمها إلى رجال الأعمال ، فإن رجال الأعمال إما أن يقوموا بتعطيل أعمالهم ، أو بخفض حجمها وهذا يحدث إنخفاضاً فى دخول كثير من الأفراد ويضطرهم إلى الانفاق من مدخراتهم . وسوف تتأثر ودائع رجال الأعمال بالبنوك نتيجة لانخفاض العائد من مشروعاتهم ونفترض « بغرض التبسيط » أن إجمالى الإنخفاض فى جملة حسابات البنك سيتمثل فى شكل انخفاض فى حساب القروض بنسبة ٦٠٪ وحساب المضاربة بنسبة ٤٠٪ . ويمكن تجاهل النسبة فيما بعد أنها لا تؤثر على كل من الحسابين بالرصيد النقدى .

لنفرض أنه تم سحب مبلغ ١,٠٠٠ روبية من حسابى القروض والمضاربة بالبنك ، وقام البنك بدفع هذا المبلغ نقداً نتيجة لزيادة طلب الجمهور على النقد ، وسوف لا يعود هذا المبلغ إلى البنك مرة أخرى ، وسينخفض - نتيجة لذلك - الرصيد النقدى للبنك بما قيمته ١,٠٠٠ روبية ، وستنخفض - تبعاً لذلك - ودائع البنك أيضاً بما قيمته ١,٠٠٠ روبية ، ويرغب البنك فى تخفيض الرصيد النقدى لديه بما قيمته ١٠٠ روبية فقط فى مقابل إنخفاض ١,٠٠٠ روبية من ودائع البنك ، إلا أن الانخفاض غير المقصود الذى بلغ ٩٠٠ روبية سيدفع البنك إلى إتخاذ إجراءات تؤدي إلى الحصول على سيولة نقدية . وسوف يضطر البنك إلى إستدعاء بعض من أصوله المستخدمة فى قروض ، أو تلك التى قدمها على أساس المضاربة ، (أو فى شراء الأسهم) . وبما أن الانخفاض فى حساب القروض بلغت قيمته ٦٠٠ روبية ، فإن البنك سيستعيد قروضاً تبلغ قيمتها ٣٠٠ روبية فقط ، أما الباقي الذى يحتاجه (وقدره ٦٠٠ روبية) فيمكن للبنك الحصول عليه باستعادة الأموال المقدمة على أساس المضاربة (أو عن طريق بيع الأسهم) ، ومهما كانت الطريقة التى ستتيح لسحب الأموال فإنه لابد من أن تأتى فى النهاية من رجال الأعمال .

وعندما يقوم رجال الأعمال بسداد مبلغ ٩٠٠ روبية إلى البنك ، ويتم سحب مبلغ ٩٠٠ روبية إضافية من ودائع البنك ، فإن إنخفاضاً غير مرغوب فيه قدره ٨١٠ روبيات ، سيتم فى ودائع للبنك . ولواجهة هذا العجز : فإن البنك سيقوم بسحب مبلغ وقدره ٨١٠ روبيات من رجال الأعمال . وستستمر عملية سحب الودائع من البنك فى كل مرحلة ، وسيكون هناك إنخفاض يعادل تسعة أعشار المرحلة التى قبلها ، وتأخذ الودائع فى الانخفاض تدريجياً حتى تصل إلى صفر فى نهاية المطاف ، وعندها سيبلغ إجمالى الإنخفاض ١٠,٠٠٠ روبية فى ودائع البنك ، أما الرصيد النقدى الذى لدى البنك ، والذي إنخفض إلى ٩٠٠ روبية بعد دفع ١,٠٠٠ روبية إلى الجمهور ، فإنه سيكون كافياً لمواجهة مجموع الودائع المصرفية ، وهكذا سيكون هناك - مرة أخرى - توازن فى حساب البنك . وفيما يلي جدول رقم (٧) وهو بيان مقتضب لميزانية البنك توضح موقفه فى الفترتين موضوع الدراسة :-

جدول رقم (٧)

ميزانية البنك في الفترتين قبل وبعد السحب لودائع — بالروبيات

الأصول		الخصوم	
إحتياطي نقدي	قروض مقدمة لجمهور	ودائع القروض	ودائع المضاربة
١٠ر.٠٠٠	٣٠ر.٠٠٠	٦٠ر.٠٠٠	٤٠ر.٠٠٠
٩ر.٠٠٠	٢٧ر.٠٠٠	٥٤ر.٠٠٠	٣٦ر.٠٠٠

ولتجنب الإطالة ، لم نقدم تفاصيل عن كل مرحلة ويمكن بسهولة إستخراج مراحل الانخفاض المرحلي كما شرحنا في جدول رقم (٥) وهي في هذه الحالة تسير في إتجاه عكسي لما كانت عليه في طريقة التوسع المرحلية في ودائع البنك ، ويعني ذلك - باختصار - أنه إذا وجد البنك أن رصيده النقدي أقل مما يجب ، فإنه يقوم بسحب بعض المبالغ من القروض اللاربوية والأموال التي قدمها على أساس المضاربة . وهذه المبالغ المسحوبة تسبب نقصاً في ودائع البنك ، ونتيجة لذلك : فإن البنك لايتلقى ودائع جديدة . ويؤدي النقص في ودائعه إلى أن يجري تعديلاً في أرصده النقدي بنسبة واحد الى عشرة (١ : ١٠) من ودائعه الجديدة . وفي المثال السابق . فإن إنخفاض ودائع البنك بـ ١٠,٠٠٠ روبية تتضمن كذلك مبلغ الـ ١,٠٠٠ روبية التي تم تحويلها إلى أيدي الجمهور من ودائع البنك إلى نقد . وقد تلاشت كل الودائع التي تولدت عن هذه الودائع ، وقام المصرف بسحب مبلغ ٩,٠٠٠ روبية من رجال الأعمال . ويعنى هذا أن تلاشي الودائع مماثل لتلاشي النقود المصرفية . أما الزيادة في الأرصدة النقدية لدى عملاء البنك ، فإنها ستكون موجودة في مكان ما ، في شكل عمله ورقية ، أو غير ذلك . إلا أن مبلغ الـ ٩,٠٠٠ روبية ، التي ولدها البنك من خلال التوسع في أعماله ، إنتهت نتيجة لانكماش أعماله هذه المرة .

وعندما يقوم البنك بسحب مبالغ مقدمة كقروض . . أو على أساس المضاربة ، فإذا كانت المبالغ المسحوبة من الودائع أقل من المبالغ التي سحبها البنك ، فإن الإنخفاض المرحلي سوف يكون أقل من المبلغ المبين في الأمثلة السابقة أعلاه . وكذلك إجمالي الانخفاض . . سيكون أقل نسبياً . وعلى سبيل المثال : إذا كانت المبالغ المسحوبة من الودائع هي $\frac{1}{4}$ من الأموال التي قام البنك بسحبها ، فإن إجمالي

النقص في عرض النقود سوف يكون ٥,٠٠٠ روبية ، ويمكن شرح تفاصيل هذه النتيجة بتطبيق القواعد التي سبق ذكرها عند الحديث عن عملية التوسع في عرض النقود .
ويترتب على ذلك . . أن عملية إنكماش عرض الائتمان لا تقوم على أساس أن الانخفاض في ودائع البنك يجب أن يطابق المبالغ التي قام البنك باستدعائها . وبالمثل . . فإن تغيير أي من الافتراضات لا يؤدي إلى تغيير النتيجة التي ذكرناها ، والتي هي أن تخفيض الودائع النقدية يسبب تلاشي أو خفض الائتمان المصرفي وأن النسب المختلفة بين الرصيد النقدي وجملة الودائع بالبنك أو بين حسابي القروض والمضاربة أو حساب القروض والقروض المقدمة ، لا تؤثر على النتيجة النهائية .

لقد تبين الآن كيف تتم عملية توليد النقود واختفائها نتيجة للزيادة أو النقصان في النشاط المصرفي . وعرفنا أن التوسع أو الانكماش في النشاط المصرفي يعتمد اعتماداً كبيراً على طلب الجمهور للتنفيذ ، وكذلك على سياسة البنك المركزي . وأن توليد النقود أو إلغائها ليس من سلطة البنوك التجارية وحدها . وهناك أسباب حقيقية تحد من مقدرة البنك في توسيع الائتمان . . وهي تقع خارج نطاق هذه الدراسة ، إلا أن الذي لاشك فيه : أن البنوك التجارية يمكنها أن تلعب دوراً نشيطاً في توليد وإزالة النقود المصرفية في حدود القيود والضوابط التي يفرضها البنك المركزي . ويزيد هذا الدور نشاطاً عندما يحتفظ البنك بأرصدة نقدية أكبر مما تمليه الحاجة الفعلية . فن الناحية النظرية والعملية فإن وجود إحتياجات نقدية ثانوية - يمكن تحويلها إلى نقد فوراً - تحد من التقلبات في النشاط المصرفي . ولا يضطر البنك إلى سحب المبالغ المقدمة إلى عملائه فيؤثر بالتالي على عملية إنكماش النقود المصرفية . ويمكنه - في هذه الحالة - استخدام الودائع الجديدة لتقوية الإحتياجات النقدية لديه .

الربح والخسارة في العمل المصرفي وعملية توليد النقود :

إن عملية التوسع في الائتمان ، بسبب زيادة الودائع لدى البنك ، أو إنكماش الائتمان بسبب زيادة طلب الجمهور على النقد ، لا يتأثر بالافتراض السائد . . وهو أن البنوك إنما تهدف لتحقيق الربح - وتحقق البنوك أرباحاً في النظام المصرفي المقترح ، عندما يحقق رجال الأعمال أرباحاً من إستثماراتهم ، ويتقدمون بطلب الائتمان لتحقيق مزيد من الأرباح . ونتيجة لتحقيق مزيد من الأرباح . . فإن البنوك تتلقى ودائع جديدة ، يترتب عليها زيادة النشاط المصرفي ، ومن ثم . . زيادة عرض النقود المصرفية .

وعندما تكون هناك زيادة في طلب على الائتمان ، نتيجة زيادة عائد رأس المال في الإقتصاد ، فإن على البنك المركزي - في هذه الحالة - أن يعمل على زيادة عرض النقود ، حتى يكون هناك زيادة مماثلة في عرض النقود مع عرض السلع ، وذلك لمنع هبوط أسعار السلع والخدمات . وإذا إستمر إنخفاض الأسعار لمدة طويلة ، فإن ذلك سوف يؤدي إلى إنخفاض وتلاشي نشاط رجال الأعمال في النهاية ، أو ربما يؤدي إلى تقاعس رجال الأعمال . ومن ثم إنخفاض مستوى العمالة والدخل والإنتاج .

أما إذا إستفادت البنوك من بعض الخطوات التي إتخذها البنك المركزي . . وحققت ربحاً ، فإن صاحبت ذلك زيادة في طلب الجمهور على النقد ، وإضطرت هذه البنوك إلى زيادة رصيدها النقدي لمواجهة هذا الطلب ، فلاستطيع - في هذه الحالة - توسيع نشاطها ، على الرغم من زيادة الطلب على الائتمان . وستضطر البنوك - في هذه الحالة - إلى سحب المبالغ المقدمة إلى رجال الأعمال ، وهذا يؤدي في النهاية . . إلى نقص في عرض النقود . وإتخاذ البنوك مثل هذا الإجراء سيؤدي إلى إنخفاض عرض النقود . وإذا إستمر ذلك لمدة طويلة ، فإن النشاط الإقتصادي سينخفض لدرجة تسبب البطالة ، وإنخفاضاً في الدخل ، ونقصاً في الطلب الفعال ، كما يسبب أيضاً خسائر رجال الأعمال مما يسفر عنه خسارة للبنوك . ولتحقيق الربح للجهاز المصرفي ، فإن من الضروري أن تواكب الزيادة في الانتاجية ، والتوسع في نشاط القطاع الخاص . . زيادة كذلك في عرض النقود . وإتخاذ مثل هذه التدابير . . هو من صميم إختصاصات البنك المركزي . وليس من المعقول أن يتخذ البنك المركزي - في أي بلد من البلدان - سياسات خاطئة تسفر عن مثل هذا الموقف الذي سبق شرحه . وهذا ليس مقام مناقشة هذا الأمر ، إذ أنه يقع خارج نطاق هذه الدراسة . وهدفنا من هذه الدراسة هوتبيان أثر الزيادة أو النقصان في الودائع النقدية . فالأولى : ستسفر عن توسع في عرض النقود . والثانية : ستسفر عن نقص في عرض النقود . أما أن تحقق البنوك أرباحاً من ذلك أم لا . . فهو أمر لا يهمننا هنا . فالخالة ، التي تعاني منها جميع البنوك خسارة ، يمكن أن تحدث - فقط - عندما يخسر جميع رجال الأعمال . ومن الممكن أن يعاني بعض رجال الأعمال خسارة ، نتيجة لبعض القرارات الخاطئة . أن خسارة جميع رجال الأعمال . . لا تحدث إلا في ظل كساد إقتصادي حاد ، وتقع مسئولية علاجه على السياسات المالية والنقدية التي سوف نتعرض لها في فصل تالي . ويمكن للبنك المركزي - في هذه الحالة - أن يقوم باتخاذ سياسات تهدف إلى توسيع الائتمان المصرفي ، أو أن تتخذ الحكومة سياسات « عن طريق الميزانية العامة » لمنع حدوث كساد ، وذلك باللجوء إلى التمويل بالعجز .

وعندما يعاني رجال الأعمال خسائر ، فإن الطلب على الائتمان سينخفض ، وفي مثل هذه الحالة : إذا قام البنك بتلقي ودائع جديدة ، فلن يتمكن من توليد نقود جديدة ، وذلك لغياب الطلب على الائتمان . أما إذا حدث نقص في تدفق الودائع الجديدة ، بدرجة كبيرة ، فسيحدث إنخفاض بمعدل كبير كذلك في عرض النقود ، ويمكن أن يحدث ذلك نتيجة فشل البنك المركزي في إتخاذ السياسات الصحيحة .

وفي حالة مواجهة رجال الأعمال خسائر ، فإن هذه الخسائر ستمنع البنوك من توسيع الائتمان ، أي تحدد من إمكان توليد نقود مصرفية جديدة ، وهذا لا يتناقض مع ما إنتهت إليه مناقشتنا السابقة ، لأن عملية توليد النقود تعتمد على طلب رجال الأعمال للائتمان ، ونقص الطلب على الائتمان هنا هو نتيجة الخسائر التي واجهها رجال الأعمال .

« الفصل السادس »

البنك المركزي

دور البنك المركزي ووظائفه :

لابد من أن يكون البنك المركزي تحت إشراف الدولة ، ليتمكن من إدارة النشاط الاقتصادي ، والإشراف على البنوك التجارية . . وتوجيهها . . وفق السياسات النقدية والتجارية والمالية للدولة . ويهدف إلى تحقيق الربح ، بل عليه أن يسعى للحفاظ على المصلحة العامة . وستكون وظائف البنك المركزي - في ظل نظام لاربوي - هي الوظائف نفسها التي يؤديها في ظل مذاهب الإقتصاد الربوي ، إذ سيقوم بوظيفة إصدار النقود ^(١) ، وسيكون البنك المركزي هو بنك الدولة ، وتقوم مؤسسات الدولة بفتح حساباتها فيه ^(٢) ، ويقوم كذلك بعقد الصفقات مع الدول الأجنبية ^(٣) ، وبكل الأمور النقدية الناتجة عن المعاملات مع هذه الدول . وسيقوم البنك المركزي بوظيفة بنك البنوك التجارية ، كما تقوم البنوك التجارية أيضاً بهذه الوظيفة للأفراد ورجال الأعمال ، والتي ستقوم بفتح حسابات مع البنك المركزي للإقتراض منه عند الضرورة .

١ - هذه ليست وظيفة أساسية للبنك المركزي - ويمكن للحكومة أن تقوم بهذه الوظيفة مباشرة ، إلا أنه في الإقتصاد المعاصر أوكلت هذه الوظيفة للبنك المركزي لسهولة قيامه بها . وسلطات البنك المركزي في إصدار النقود تكون وفق القوانين واللوائح التي يصدرها الجهاز التشريعي . ولم تعرض الصفحات القادمة لهذه الوظيفة ، ولم نناقش كذلك اللوائح والقوانين التي تحكم هذا الإصدار . لعدم أهمية ذلك في دراسة العلاقة بين البنوك التجارية والبنك المركزي ، ولأن مناقشة هذا الأمر ستجرنا إلى مناقشة موضوع النقود والمالية العامة التي تقع خارج نطاق الدراسة .

٢ - ليس من المهم أن تحتفظ مؤسسات الدولة بحساباتها فقط في البنك المركزي ، ويمكن أن تحتفظ بها في البنوك التجارية . . كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية . إلا أن الافتراض بأن الدولة يجب أن تودع حساباتها في البنك المركزي ، وأن تقتصر منه عند اللزوم ، سيؤثر كثيراً على دور ووظائف البنك المركزي ، وبخاصة وظيفة إصدار النقود . ولقد إقترحنا أن يكون لدى الحكومة حساب في البنك المركزي . . كما هو الحال في بريطانيا . وقد تفادينا هنا نقاش الفرق بين الأسلوبين « الأمريكي والبريطاني » لأن الفرق ليس له أثر إيجابي في العلاقة بين البنك المركزي والبنوك التجارية ، وهذه العلاقة هي موضوع دراستنا .

٣ - إن هذه الوظيفة للبنك المركزي لم توضح هنا . وسنفترض هنا أننا نتعامل مع إقتصاد مغلق ، وأنه لا توجد علاقات مالية مع دول أخرى ، وذلك لسهولة التحليل . أما التجارة الدولية ومعاملاتها في ظل المصاريف اللاربوية ، فيمكن دراستها على نحو مستقل .

ويراقب البنك المركزي الاتجاه العام للنشاط التجاري والعمالة ومستويات الدخل والأسعار . ويتخذ الخطوات اللازمة للمحافظة على استقرارها في المستوى المطلوب . كما يتخذ التدابير المناسبة لتوجيه الإستثمار إلى أوجه الصناعة والتنمية الاقتصادية ، حيث ينبغي توجيه المزيد من الإستثمارات ، متوخياً المصالح العليا للمواطنين . . على أن يبدل البنك المركزي جهوداً للتوفيق بين طلب وعرض الائتمان وأن يتوخى في التخطيط طلب الجمهور وحاجة البنوك التجارية للنقد . وأن يجري دائماً التعديلات المناسبة في عرض النقود . وأن يكون على إستعداد لمد البنوك التجارية بالنقد عند الحاجة وتنظيم أنشطتها وفقاً لاحتياجات الجمهور . ويعمل على مواجهة الاحتياجات المالية للدولة كما هو محدد في سلطاته وإختصاصاته ، التي تشمل - على سبيل المثال - توفير القروض الطارئة للدولة ، وتقديم القروض للجمهور ورجال الأعمال والبنوك . . . نيابة عن الدولة - إما على أساس القرض أو المشاركة أو المضاربة - وذلك بتوفير المال اللازم . وأن يعمل على المحافظة على إستقرار أسعار أسهم الدولة من الزيادة الحادة أو الانخفاض الحاد الذي يمكن أن يسود في أسواقها^(٤) ، وأن يراقب سعر العملة في الداخل وسعر تعادلها في الخارج ، ويحافظ على إستقرارها ومنع حدوث التقلبات التي تضر بمصالح الدولة .

إن نصائح وتوجيهات البنك المركزي . . هي العامل الرئيسي في تشجيع البنوك التجارية لصياغة سياساتها حسب المصالح العليا للمجتمع وفقاً لمبادئ البنك المعلنة . وسيكون البنك المركزي مسئولاً عن نشر المعلومات الضرورية بما في ذلك البيانات الإحصائية عن النشاط المصرفي . وسيوجه نشر هذه المعلومات إلى البنوك والمنشآت ، حتى يكونوا على بينة من الطرق والأساليب الحديثة في وسائل التمويل ومجالات الإستثمار الممكنة ، وكذلك ستشير إلى مجالات التجارة والصناعة التي يمكن توجيه رؤوس الأموال المستثمرة - من حسابي القروض أو المضاربة - إليها ، والتي يمكن أن تعود بعائد مجز أو توجيه رؤوس الأموال لهذه المجالات . ويمكن كذلك أن يوجه البنك المركزي البنوك التجارية إلى الإستثمارات الأخرى ذات الفائدة للاقتصاد القومي . أو تلك التي يمكن أن تضر بالمصالح العليا . ولا يشجع البنك المركزي تبديد الموارد القومية فيها^(٥) .

ومن المتوقع - في كثير من الحالات - أن ينشر البنك المركزي المعلومات التي تعكس رغباته والسياسات التي يرغب أن تتبعها البنوك التجارية والتي تنشر على ضوء المناقشات المشتركة ، وتكون كافية لتهتدي بها هذه البنوك . وفي بعض الأحيان . . إذا إقتضت المصلحة العامة ؛ يمكن أن يتبع البنك المركزي أسلوب الإلزام . . بدلاً من التوجيه الأدي ؛ ويمكن - في هذه الحالة - أن تكون التوجيهات أوامراً أو لوائح منظمة . وفي الحالات العادية يسعى المسؤولون في البنوك التجارية والبنك المركزي للوصول إلى قناعة مشتركة لقرار مقبول لكل الأطراف . إلا أن أوامر البنك المركزي تكون نهائية وملزمة في الحالات

٤ - إن موضوع التحويل الحكومي والأسهم التي تصدرها الدولة ستم مناقشته بصورة مفصلة في الفصل القادم .

٥ - التحليل التفصيلي لهذه الوظيفة المهمة من وظائف البنك المركزي لاتقع ضمن إطار المناقشة الحالية .

التي ينشأ فيها أي خلاف . أما سلطات البنك المركزي على البنوك التجارية فإنها تحدد بوساطة الجهاز التشريعي في الدولة ، والذي يحدد الظروف والكيفية التي يصدر بها البنك المركزي توجيهاته للبنوك التجارية ، وهذه التوجيهات . . يجب أن تبني على أسس . وبالرغم مما يملكه البنك المركزي من صلاحيات لتوفير المناخ الملائم الذي يضمن للبنوك التجارية أن تعمل بحرية ، يجب أن تمنح هذه البنوك التسهيلات الملائمة للعمل لتتمكن من تحقيق الأرباح ، ولابد من توافر الثقة عند التعامل بين البنك المركزي والبنوك التجارية .

اللوائح الأساسية :

ليس من الممكن أن نشرح جميع التفاصيل المتعلقة بالموضوعات التي تعرضنا لها في هذا المقام ، ولكن يمكننا أن نتعرض بشيء من التفصيل لبعض القضايا الأساسية الحرجة ، الخاصة بالعلاقة بين البنك المركزي والبنوك التجارية . وسنوضح كيف يمكن أن يحقق البنك المركزي السيطرة على النقود وعلى النظام المصرفي . أولاً : يجب أن تكون القوانين التي يسنها البنك المركزي واضحة وسهلة الفهم منذ البداية ، حتى يمكن تحقيق الأهداف العامة ، وبخاصة ما يتعلق بمقدرة البنك المركزي في إحداث توسع أو إنكماش في عرض النقود . كما يجب أن يكون للبنك المركزي صلاحية إصدار التعديلات اللازمة ، وسوف تضمن هذه اللوائح تحقيق الثقة ، وتضمن للجمهور حقوقه ، إذ أن رقابة ورعاية البنك المركزي للبنوك التجارية يجعل من اليسير عليها أن تفي باتفاقاتها المعقودة مع الجمهور ، وهذه اللوائح هي :-

١ - تلتزم البنوك التجارية بالاحتفاظ بنسبة من ودائعها من حسابات القروض والمضاربة . . في شكل نقد ، وتسمى هذه النسبة « بين جملة الودائع وجملة الأرصدة النقدية » نسبة الإحتياط النقدي . . وهي نسبة ١٠٪ . ويمكن أن تعني البنوك أو فروعها المنشأة في مناطق لا يوجد للبنك المركزي فروع فيها . . من توريد هذه النسبة للبنك المركزي ، ويمكن أن تلزم بالاحتفاظ بهذه النسبة في ودائعها . ولاشك في أن هذا الأسلوب متبع في النظام المصرفي الحالي ، إذ تلتزم البنوك بالاحتفاظ بنسبة إحتياطي نقدي لدى البنك المركزي .

ولا يقصد بهذا الأسلوب أن تحتفظ البنوك التجارية دوماً بهذه النسبة ، ويكفي أن تحتفظ بنسبة ١٠٪ من مجموع ودائع البنك كمتوسط خلال الأسبوع ، وكذلك يكفي أن يكون الإحتياط المودع لدى البنك المركزي مثلاً نصف النسبة المقترحة خلال الأسبوع .

وكما أشرنا . . فإن كل بنك سيقوم بفتح حساب لدى البنك المركزي ، ويجب أن يقوم بإيداع نصف نسبة الإحتياط النقدي في هذا الحساب . أما بالنسبة لفوائض البنوك التجارية والنقدية ، فيمكن أن تودعها في حساباتها بالبنك المركزي ، بجانب الإحتياط النقدي القانوني ويحق للبنوك التجارية أن تسحب هذه الفوائض النقدية متى شاءت ، أو تقوم بتحويلها إلى بنوك أو مؤسسات أخرى . ويمكن للبنوك التجارية أن تستعمل الإحتياط النقدي القانوني ، إذا ما كان المتوسط اليومي لهذه الإحتياطيات

منسجماً مع اللوائح ، ولا تكون النسبة مثلاً خلال الأسبوع أقل من النسبة القانونية . ويمكن للبنك أن يستعمل الاحتياط القانوني ، عند الحاجة إلى إعادة المبالغ إلى مودعيها . نتيجة انتهاء أعماله ، أو الحاجة الماسة لمقابلة التزاماته .

وبناء على اللائحة : فإن ٥٪ من جملة الودائع كافية لتوفير احتياط نقدي ، وذلك على افتراض أنه في ظل الظروف العادية ، تكون نسبة الاحتياط النقدي هذه ، بجانب الأرصدة النقدية المحتفظ بها في خزائن البنوك التجارية . تكفي لمواجهة طلبات الجمهور من النقد^(٦) ، وسوف تتم معظم المسحوبات من الناحية العملية من حساب القروض . أما المسحوبات من حساب المضاربة ، فسوف تكون بصفة عامة ضئيلة . ويتم بناءً على إشعار للبنوك يجعلها تتخذ الخطوات المناسبة لتوفير النقد اللازم لمواجهة هذه الالتزامات .

ولا يشكل السحب من ودائع المضاربة عقبة ، إذ أن معظم المسحوبات منها يتم في نهاية ربع السنة . عند قفل ومراجعة الحسابات . وعندها سنجد ودائع مضاربة جديدة تندفق على البنوك .
وسترد بعض الأموال التي قدمها البنك سالفاً إلى رجال الأعمال على أساس المضاربة .
٢ - لقد إقترحنا من قبل أن البنوك التجارية ملزمة بأن تقوم بإقراض نسبة من ودائع القروض . . على أن تكون هذه النسبة هي ٥٠٪ . وأطلقنا عليها « نسبة الإقراض »

ولا يشترط أن تتبع كل البنوك هذه النسبة بصورة محددة . إذ يمكن لبعضها أن تقرض نسبة أعلى . . لا تحصل على فوائد منها . لذلك فليس من المتوقع أن تقوم البنوك التجارية بإقراض نسبة أعلى من نسبة الإقراض . وبما أن هذه القروض المؤقتة يستلزم تقديمها ضمانات تحكم إعادتها ، فإنه يحتمل بالرغم من أنها لا تحمل فائدة - أن يكون الطلب عليها قليلاً ، وأن يفضل رجال الأعمال أموال المضاربة عليها . وينبغي مراقبة تنفيذ هذه اللائحة من خلال مراقبة النسبة بين ودائع القروض والقروض المقدمة منها يومياً . ولا يشترط أن تراعى النسبة حرفياً كل يوم .

٣ - إذا كانت البنوك التجارية في حاجة إلى نقد . . بالإضافة إلى مواردها . . لمواجهة طلبات الجمهور من النقد ، فيمكن أن تبرز شهادات القروض - التي قدمتها للجمهور - للبنك المركزي ، لتحصل مقابل هذه الشهادات على قروض منه وهذه القروض مؤقتة وتحدد بنسبة معينة من القروض التي قامت البنوك بتقديمها من حساب القروض . وهذه النسبة التي بين القروض المقدمة من البنك المركزي إلى البنوك التجارية . . والقروض المقدمة بوساطة البنوك التجارية ، سنطلق عليها « نسبة الإقراض » . ونقترح أن تكون هذه النسبة ٢٥٪ ، على ألا يسمح بهذا الإقراض إلا في حالات الطلب غير العادي على النقود ، وليس يسمح في الحالات التي تحتاج البنوك التجارية لمزيد من النقد لمقابلة الزيادة في نسبة

٦ - إفتراضنا في الفصل السابق أن البنوك ستحتفظ بنسبة ١٠٪ من مجموع ودائعها كإحتياطي ، وأنها تستطيع مواجهة طلبات الجمهور من النقد . وذكرنا هنا أن ٥٪ من هذه النسبة سوف تودع في البنك المركزي كما سيتبين من مناقشتها القادمة . وعند الضرورة : فإنه يلزم توفير سيولة بجانب هذه الأرصدة النقدية من البنك المركزي .

الاحتياط النقدي بوساطة البنك المركزي . وتقدم هذه القروض لمدة قصيرة (أسبوع أو أسبوعين أو ثلاثة أسابيع) ، ويمكن زيادتها إذا كان الطلب على النقود غير عادي . وتقلبات الطلب على النقود لدى الجمهور في معظمها مؤقتة ولفترة قصيرة ، أما عندما تكون هناك زيادة دائمة في الطلب على النقود ، فإن على البنك المركزي أن يعالج هذه الحالة بتقديم المزيد من النقد للنظام المصرفي ككل ، مقابل شرائه الأسهم من البنك . . كما هو مبين أدناه .

■ - ويملك البنك المركزي سلطة تعديل نسبة الإقراض مقابل الكمبيالات التجارية بغرض التأثير على الائتمان ، وتوسيع الائتمان لبعض القطاعات وإخضاعها لسيطرته . فيمكن - مثلاً - تحديد نسبة الإقراض في قطاع الزراعة بـ ٣٠٪ مقابل ٢٠٪ لتجارة القطن .

٥ - سيكون للبنك المركزي سلطة شراء وبيع الأسهم . وسنوضح فيما يلي أدناه : كيف يمكن للبنك المركزي أن يسيطر على أنشطة البنوك التجارية وذلك بسن القوانين واللوائح وإجراء التعديلات عليها وأن يعمل على توفير الائتمان فيمكن إجراء تعديل نسبة الاحتياط ، ليتمكن من السيطرة على مقدرة البنوك التجارية في توليد الائتمان ، ويمكن أن يحدث توسعاً أو إنكماشاً في كمية النقود عن طريق التأثير على سيولة البنوك التجارية ، ويمكن للبنك المركزي مواجهة زيادة الطلب على النقود من الجمهور بتعديل نسبة الإقراض مع التغيرات في الطلب على النقود ، أو يمكن استعمال نسبة القراض للحد من التوسع . . ولإحداث إنكماش في عرض النقود . أو يمكن تعديل نسب الإقراض وإحتساب نسبة مختلفة للأوراق التجارية المختلفة أو للقروض المقدمة لأنشطة اقتصادية مختلفة ، بهدف توجيه الائتمان لأنشطة معينة دون أخرى ، ويمكن تحقيق نفس الغرض عن طريق تقديم أموال المضاربة ، بإعطاء الأولوية لبعض الأنشطة الاقتصادية أو الصناعية ، ولتوجيه الاستثمار في الاقتصاد ككل للأوجه المرغوب فيها . ويمكن أن يستخدم البنك المركزي شراء الأسهم التجارية وسيلة لتزويد البنوك التجارية بالنقود عند زيادة الطلب على الائتمان أو بيعها لامتناس السيولة الزائدة لديها ، ويتمكن بذلك من السيطرة على مقدرة البنوك التجارية في عملية توليد النقود . وفي الدول النامية : يمكن أن يهدف البنك المركزي إلى توسيع كمية النقود ليتوازن مع الطلب المتزايد للنقود الذي يفرض على البنوك التجارية الاحتفاظ بنسبة عالية من الرصيد النقدي ، ويمكن أن تستعمل التعديلات - في نسبة الإقراض - لإيجاد التوازن في الائتمان بين الأجل القصير والأجل الطويل . وسوف نتعرض لهذه النقاط بالتفصيل في الفقرات التالية بضرب بعض الأمثلة . يجب أن نذكر هنا : أن الأرقام التي إقترحناها لنسب الإقراض والرصيد النقدي في الفقرات السابقة ، إنما كانت إفتراضات نظرية يمكن أن تختلف مع الواقع ، إلا أن معرفة النسب الصحيحة ، يتم فقط . . عندما تمارس المصارف اللاربوية أنشطتها . وإنما ضربت الأمثلة الإفتراضية لتوضيح المبدأ العام في ظل هذه القوانين .

ولابد من أن نشير هنا إلى أن الخطوات التي تتخذ لزيادة عرض النقود ، أقل فعالية من تلك التي تتخذ للحد من التوسع في عرض النقود . وتنصرف - هذه الحالة - على المصارف الربوية والمصارف

الارابوية . إذ أن معدل الفائدة ليس هو العامل الوحيد في توسيع عرض النقود أو تقليصه . والخطوات التي يتخذها البنك المركزي لزيادة الائتمان تجعل البنوك التجارية قادرة على توليد نقود جديدة . وحتى تتم عملية توليد النقود لابد من أن يكون هناك طلب جديد على الائتمان من قبل رجال الأعمال . فإذا كان هذا الطلب ضعيفاً ، فإن عملية توليد الائتمان تكون ضعيفة ، وعلى النقيض . . فإن الخطوات التي تتخذ للحد من الائتمان ستكون فعالة لأنها ستدفع البنوك التجارية لسحب الأموال التي قدمتها لرجال الأعمال . ولاستطيع البنوك التجارية أن تتحمل النتائج الناجمة من تقلص الائتمان ، وبخاصة . . إذا ما استمر لفترة طويلة . ولذلك : فإن إحداث تقلص في الائتمان أسهل من إحداث توسع لمحاربة الكساد الاقتصادي . ولابد من أن نؤكد أن الإجراءات النقدية - في كل الأحوال - قاصرة عن معالجة الكساد والتضخم . ولجعل هذه الإجراءات أكثر فعالية . . لابد من مساعدتها ببعض السياسات المالية .

وتعد عملية التوسع أو الانخفاض في النقود المصرفية ، مبنية على انخفاض أو زيادة نسبة الأرصدة النقدية لدى البنوك التجارية . وتسعى البنوك التجارية دائماً لإيجاد توازن بين ودائعها وأرصدها النقدية باتخاذ الإجراءات المناسبة لتخفيض أو زيادة هذه الأرصدة . . لتواكب حجم ودائعها . . وتحافظ على النسب المقررة بينها . وينبغي أن يتخذ البنك المركزي السياسات المناسبة ، فإذا رغب البنك المركزي في زيادة الائتمان . فإنه يعتمد إلى تخفيض نسبة الإحتياط النقدي ، ويمد يد العون بتقديم السيولة لها . أما إذا رغب في إحداث إنكماش في الائتمان ، فإنه يتخذ عكس هذه الإجراءات . وسوف نقوم بدراسة نسبة الإحتياط النقدي ونسبة الإقتراض وآثار تعديل هاتين النسبتين على الائتمان المصرفي في الفقرات التالية :

تعديل نسبة الإحتياط النقدي :

إن الدارس لتاريخ البنوك المعاصرة ، يرى أن الدافع من وراء وضع ضوابط تحديد الإحتياط النقدي . هو حماية عملاء البنك وتوفير النقد لهم عند الطلب . إلا أن وجود هذه الضوابط مكن البنك المركزي من الإشراف على البنوك التجارية والسيطرة على كمية النقود . وسننظر إلى هذه الضوابط كأدوات عملية مهمة لسياسة البنك المركزي .

ويمكن للمرء أن يتساءل : ماهي المعايير التي تحدد نسب الرصيد النقدي للبنوك التجارية في أي بلد من البلدان ؟ . إننا لانستطيع تقديم إجابة مفصلة في هذا المقام . ولكن يكفي أن نقول : إن هذه النسبة تعتمد على عادات الناس ورغباتهم . . هل هم يفضلون الإحتفاظ بنقودهم كودائع في البنك أو في خزائهم الخاصة ؟ . ولاخرج من إفتراض أن هذه العادات لاتتغير في الأجل القصير . ويمكن حصر النقاش لأسباب عملية في التغيرات التي تحدث في نسبة الإحتياط النقدي المحددة أو السائدة . وهذه التعديلات - كما ذكرنا من قبل - يتخذها البنك المركزي للتأثير على الأرصدة النقدية لدى البنوك التجارية ، ومن ثم على عرض النقود .

أما إذا رغب البنك المركزي في الحد من الائتمان ، فإنه يزيد نسبة الإحتياط النقدي القانوني ، فتضطر البنوك التجارية لزيادة أرصدها النقدية ^(٧) ويجبرها على بيع الأسهم أو سحب جزء من المبالغ المقرضة لرجال الأعمال . لأن البنوك التجارية - في مثل هذه الأحوال - لا تستطيع أن تحصل على قروض من البنك المركزي ، ونتيجة لبيع الأسهم وسحب المبالغ التي قدمتها البنوك التجارية فسيكون هناك إنخفاض في حجم الودائع . . يؤدي إلى تقليص عملية توليد الائتمان .

وإذا رغب البنك المركزي في توسيع الائتمان ، فإنه يخفض نسبة الإحتياط النقدي . . فتجد البنوك التجارية بحوزتها فوائض نقدية ليست بحاجة إليها . وربما تقوم بشراء أسهم أو تقدم الأموال إلى رجال الأعمال على أساس المضاربة . . للتخلص من هذه الأرصدة النقدية . . ولتحقيق أرباح من هذه الأرصدة الفائضة ^(٨) . ومع التوسع في عرض النقود : فإن ودائع البنوك التجارية تتوسع . . وتبدأ عملية توليد النقود . ويمكن شرح هذه العملية بالإستعانة ببعض الأمثلة الحسابية المقدمة في جدول رقم (١) الذي يشرح عملية تقلص الائتمان . ونفترض أن نسبة الإحتياط النقدي كانت ١٠٪ والبنك المركزي قرر رفع هذه النسبة إلى ١١٪ والبنوك التجارية ملزمة بأن تودع نصف الإحتياط النقدي في البنك المركزي ، إلا أننا لم نجد التقسيم في الجدول لانه لا يؤثر على النتائج التي ستوصل إليها من خلال هذه الأمثلة . وأوضحنا في السطر الثاني للأرقام في الجدول رقم (١) أثر زيادة نسبة الإحتياط النقدي في إحداث تقلص في الائتمان ^(٩) .

٧ - الافتراض هنا : أن البنوك ليس لديها رصيد نقدي فائض ، وأنها تملك رصيداً نقدياً يعادل فقط ما هو مقرر في نسبة الإحتياط النقدي ، ولاشك أن سياسة الحد من الائتمان عادة تتبع في الأوقات التي يكون هناك طلب كبير على الاقتراض . فلذلك : فإنه يمكننا الافتراض بأن البنوك التجارية تسعى للاستفادة من هذه الفرص ، بأن تستعمل مواردها إلى أقصى حد ممكن في التمويل على أساس المضاربة أو على أساس القرض ، مما يقلل من الأرصدة النقدية التي لديها . ولابد من أن نذكر أنه إذا لم يكن لدى البنوك التجارية إرصدة نقدية فائضة ، فإنها تحتاج - في هذه الحالة - موارد جديدة ، أو أن تسحب من رجال الأعمال ما قدمته من مبالغ لمقابلة نسبة الإحتياط النقدي الجديدة العالية . إلا أن مقدرة البنوك التجارية في فعل ذلك محدودة ، لأن البنك المركزي له أن يرفع النسب إلى أعلى حد ليتأكد من فعالية سياسته . مما يجبر البنوك التجارية لسحب المبالغ المقدمة .

٨ - الافتراض هنا : هو أن هنالك طلباً على الائتمان من رجال الأعمال ، وإذا كان هناك كساد في السوق فستجد البنوك - في هذه الحالة - مشقة في الحصول على مجالات تدرجاً من استثمار أرصدها النقدية الفائضة . ولابد من أن نذكر أنه في نظام إقتصاد يتعامل بالربا ، فإن الطلب على الائتمان من البنوك سيستمر مادام معدل الربح المتوقع من الاستثمار أعلى من معدل الفائدة السائدة . أما نظم الإقتصاد اللاربوي : فإن البنوك شريكة في أرباح المشروعات . ولا تتلقى فوائد ثابتة من القروض المقدمة مهما كانت الفائدة من المشروع . وهذا يعني أن الطلب على أموال المضاربة سيستمر مادام معدل الربح المتوقع من الاستثمار الذي يحصل عليه رجل الأعمال يساوي المعدل المتوقع من استثماره في المجالات الأخرى ، أما الطلب على القروض فهو يعتمد على عرض أموال المضاربة ، ويتحرك في نفس اتجاهها في نظامنا المقترح .

٩ - ولغرض التبسيط : فإن الأرقام التي أقل من ١,٠٠٠ قد إستبعدت لأن عرض النقود مثلاً كان يجب أن يكون ٩٠,٩٠٩ روبيات ، كما أن الأرقام المبينة أعلى بقليل مما ينبغي أن تكون عليه .

جدول رقم ٦ - ١

أثر زيادة نسبة الاحتياطي النقدي في ميزانية البنوك التجارية « بالروبية »

المرحلة	الأصول			الخصوم		مجمع عروض النقود
	الرصيد النقدي	القروض المقدمة للجمهور	الأموال المقدمة على أساس المضاربة	ودائع القروض	ودائع المضاربة	
١	١٠٠.٠٠٠	٣٠.٠٠٠	٦٠.٠٠٠	٦٠.٠٠٠	٤٠.٠٠٠	١٠٠.٠٠٠
٢	١٠٠.٠٠٠	٢٧.٠٠٠	٥٣.٠٠٠	٥٤.٠٠٠	٣٦.٠٠٠	٩٠.٠٠٠

والفرق بين المرحلة الأولى والثانية أنه بزيادة الرصيد النقدي ١,٠٠٠ روبية لمقابلة نسبة الاحتياطي النقدي الجديدة ، فإن البنوك التجارية مضطرة لمقابلتها بالسحب من القروض المقدمة للجمهور ومن القروض المقدمة على أساس المضاربة . ويمكن للبنوك أن تلجأ إلى وسائل عدة فتستخدم أيا منها أو جميعها حتى يمكنها القيام ببيع الأسهم أو سحب بعض القروض المقدمة للجمهور أو الإمتناع عن إعادة جدولته القروض المقدمة على أساس المضاربة حين إنقضاء أجلها . وعندما يتم سحب مبلغ ١,٠٠٠ روبية من البنك فسيكون هناك إنخفاض مماثل في جملة المبالغ المودعة ، ومن ثم سيكون الانخفاض في الودائع البنك بحاجة إلى مبلغ ٨١٠ روبيات لمواجهة نسبة الإحتياط النقدي الجديد . . وليس ١,٠٠٠ روبية . وستكرر هذه العملية ويقوم البنك بسحب مبالغ متناقصة في كل مرة . . حتى يتم سحب جميع المبالغ الزائدة ، مما يحدث إنخفاضا في إجمالي عرض النقود قدره ١٠,٠٠٠ روبية . . . والسطر الثاني في الجدول (١) يوضح البيان التفصيلي لذلك . إذ أن البنك سؤى ميزانيته وتمكن من مواجهة نسبة الاحتياط النقدي الجديدة . وخلاصة هذه العملية توضح أنه من أجل مقابلة نسبة الاحتياط النقدي فإن البنوك التجارية تسعى للحصول على نقود جديدة بالسحب من أموالها التي قدمتها إلى رجال الأعمال ، وعندما يقرر البنك المركزي زيادة نسبة الاحتياط النقدي ، فإن البنوك تسعى للحصول على أرصدة نقدية جديدة ، وبدلاً من أن تحصل على هذه الزيادة فإن ودائعها سوف تنخفض بالقدر الذي تستطيع به مقابلة نسبة الاحتياط النقدي الجديد .

أما جانب الخصوم في السطر الثاني من الجدول رقم (١) فإنه يوضح أن النسبة نفسها التي بين حسابي القروض والمضاربة لا تزال قائمة كما كانت عند بداية العملية ، لأن مسحوبات البنك تتم على أساس ٦٠٪ إلى ٤٠٪ بين حسابي القروض والمضاربة كما افترضنا بالفصل السابق وعندما يبيع البنك

الأسهم . . فإن بعض مشتريها سيقومون بشرائها بالسحب من ودائعهم في حسابات القروض ، أو يلجأون إلى استعمال مدخراتهم التي في حسابات المضاربة لشراء الأسهم ، أي أنهم سيقومون بالسحب من حساب المضاربة . وبهذه الصورة فإن البنك يقوم بسحب المبالغ المقدمة على أساس المضاربة أو كقروض من رجال الأعمال ، مما يؤدي إلى تقلص النشاط الاقتصادي ، ومن ثم إلى تقلص الدخول . . الأمر الذي يؤثر على تدفق حسابي القروض والمضاربة . وكما أوضحنا - في الفصل السابق - فإنه حتى في حالة ثبات النسبة فإن الأثر على كمية النقود سيكون كما هو .

ولقد ظل الرصيد النقدي في عمود الأصول في السطر الثاني على ما كان عليه في السطر الأول للأسباب التي ذكرناها . وربما « ونحن بصدد دراسة طلب الجمهور على النقود في نقطة من الزمن محدودة » كانت البنوك التجارية في هذه النقطة لم تتلق نقوداً جديدة من البنك المركزي . . الذي لم يسحب جزءاً من أرصدها النقدية عن طريق بيع الأسهم ، مما لا يترتب عليه زيادة أو نقصان في الأرصدة النقدية لدى البنوك التجارية . والقروض المقدمة للجمهور هي نصف جملة المبالغ المودعة في حسابات القروض . . كما هو مقرر وفق اللوائح . والبنوك التجارية ملزمة باسترداد المبالغ التي وفرتها كقروض بموجب هذه اللوائح ، فاستردت من هذه المبالغ القدر الذي يبرره انخفاض حساب القروض . ونتيجة لذلك : فإن الأموال المقدمة على أساس المضاربة ستكون أقل من قبل ، بل إن نسبة الانخفاض فيها ستكون أكبر من نسبة الانخفاض في المبالغ المقدمة على أساس القروض ، لأن البنك التجاري . . عندما يحاول الاحتفاظ برصيد نقدي كبير ، فإن ذلك يؤثر على الجزء المستثمر في مشاريع استثمارية من حساب القروض . والمبالغ التي وفرت على أساس المضاربة هي ٦٠٪ من جملة الودائع ، والرصيد الباقي هو ٤٠٪ . . خصص منه ٣٠٪ كقروض و ١٠٪ كرصيد نقدي . وبعد تعديل نسبة الاحتياط النقدي . . فإن نسبة ٥٩٪ من المبالغ ستستعمل قرضاً على أساس المضاربة . ونستخلص من ذلك : أن الزيادة في نسبة الاحتياط النقدي تعني انخفاضاً في كمية النقود وانخفاضاً في الحجم المطلق والحجم النسبي للاستثمارات المرجحة للبنك .

وبالمقارنة بين السطر الأول والثاني نرى أن الزيادة في نسبة الاحتياط النقدي تؤدي إلى انخفاض مبلغ ١٠,٠٠٠ روبية في كمية النقود ، أي أن النقود المصرفية قد انخفضت ١٠,٠٠٠ روبية ، أو على قول آخر ، إن الودائع المصرفية قد انخفضت أيضاً ١٠,٠٠٠ روبية . أما إذا قرر البنك المركزي تخفيض النسبة من ١٠٪ إلى ٩٪ ، فإنه سيكون هناك توسع في الائتمان ، وشرح هذه العملية مبين في الجدول رقم (٢) . فالسطر الأول - كما شرحنا في الحالة السابقة - يوضح ميزانية البنك عندما كانت نسبة الرصيد النقدي ١٠٪ ، والسطر الثاني يوضح نهاية العملية المرحلية التي أدت إلى توسع الائتمان عندما بلغ الرصيد النقدي ٩٪^(١) .

١٠ - المبالغ في السطر الثاني أقل مما ينبغي أن تكون عليه إذا ما تم حسابها بدقة ، ومثال ذلك فإن جملة كمية عرض النقود هي ١١٠,٠٠٠ روبية في حين أن الرقم الدقيق هو ١١١,١١١ روبية ، وهكذا في بقية الأرقام . وقد تم ذلك لتبسيط المسألة للقارئ ، وهذا لا يؤثر على النتائج النهائية التي توصلنا لها .

جدول رقم ٦ - ٢

يوضح ميزانية البنك في حالة تخفيض الرصيد النقدي « بالروبية »

إجمالي عرض النقد	الخصوم		الأصول		
	ودائع المضاربة	ودائع القروض	المبالغ المقدمة على أساس المضاربة	المبالغ المقرضة	الرصيد النقدي
١٠٠.٠٠٠	٤٠.٠٠٠	٦٠.٠٠٠	٦٠.٠٠٠	٣٠.٠٠٠	١٠.٠٠٠
١١٠.٠٠٠	٤٤.٠٠٠	٦٦.٠٠٠	٦٧.٠٠٠	٣٣.٠٠٠	١٠.٠٠٠

عندما تكون نسبة الرصيد النقدي ٩٪ فسيجد البنك أن رصيده النقدي قد زاد بمبلغ ١٠٠٠ روبية وسوف يسعى لاستثمار هذه الزيادة في مشروع مربح . وإذا افترضنا أن هناك طلباً على أموال المضاربة ، فإن البنك سيتمكن من تقديم هذه الأموال ، ويتج عن تقديمها زيادة في الأرصدة النقدية لدى رجال الأعمال الذين يقومون بإيداع هذه المبالغ في حساباتهم بالبنك . ويمكن أن تتم هذه العملية إذا قام البنك - بدلاً من ذلك - بشراء أسهم ١٠.٠٠٠ روبية ، وعند تسلم أصحاب الأسهم لهذه المبالغ سيقومون بإيداعها حساباتهم بالبنك . ويقوم البنك ، من ثم ، باستعمال مبلغ ٩١٠ روبية في تمويل جديد ، ويحتفظ بمبلغ ٩٠ روبية رصيدة نقداً مقابل الوديعة الجديدة التي تؤدي مرة أخرى إلى زيادة الودائع المصرفية . وإذا استمر الطلب على الأموال . كما هو ، فإن العملية ستستمر . كما سيستمر البنك في توليد نقود مصرفية بصورة متناقصة ، حتى تصل إلى نقطة لا تستطيع معها توليد أية نقود جديدة . وعند هذه النقطة ستتوقف عملية الزيادة في ودائع البنك ، وستبلغ الزيادة في جملة ودائع البنك ١٠.٠٠٠ روبية ، والرصيد النقدي في خزائن البنك الآن هو مبلغ ١٠.٠٠٠ روبية ، أي ٩٪ من جملة الودائع الجديدة وهي ١١٠.٠٠٠ روبية . ومن ثم يكون البنك قد تمكن من إستعادة توازن الميزانية ، كما تمكن من مقابلة نسبة الاحتياط النقدي الجديد . ونلاحظ ما ذكرناه في أن تخفيض نسبة الاحتياط النقدي دفعت البنوك « بعد أن توفرت لديها أرصدة نقدية جديدة وبرز طلب على الائتمان من رجال الأعمال » إلى زيادة الائتمان ، مما أدى إلى زيادة مضاعفة في الودائع . وسوف تتوقف هذه العملية عندما تستوعب جميع هذه الزيادة من الأرصدة النقدية التي نتجت عن تخفيض نسبة الإحتياط النقدي .

السطر الثاني من الجدول يوضح أن نفس النسبة التي كانت في السطر الأول ، بين حساب القروض وحساب المضاربة ، لا تزال قائمة . ونتج هذا من إفتراضنا بأن الودائع الجديدة تودع بنسبة ٤٠٪ إلى ٦٠٪

بين الحسابين . وحتى إذا تغيرت النسبة بين الحسابين ، فإن عملية التوسع في النقود المصرفية ستظل كما كانت عليه ، وسيظل الرصيد النقدي ١٠,٠٠٠ روية لأننا أخذنا طلب الجمهور على النقود في نقطة زمنية معينة ، ولم تكن هناك زيادة أو انخفاض في الأرصدة النقدية للبنك نتيجة للخطوات التي إتخذها البنك المركزي . ولذا . فإن الرقم لم يتغير ، ونسبة الرصيد النقدي الآن هي ٩٪ من جملة المبالغ المودعة في حسابات القروض والحسابات التجارية . ونتيجة لهذا التعديل . . حدثت زيادة في المبالغ المقدمة على أساس المضاربة أكبر من نسبة الزيادة في حساب القروض . أي أن تخفيض نسبة الاحتياط النقدي جعل للبنوك التجارية مقدرة أكبر في الاستثمار في مشروعات مربحة . ونتيجة لزيادة الائتمان الناتجة من هذه العملية ، تستطيع البنوك التجارية تحقيق أرباح كبيرة .

ويمكننا أن نستنتج أنه في ظل إقتصاد لاربوي يمكن أن يزيد البنك المركزي أو يخفض عرض النقود ، بتخفيض أو زيادة نسبة الاحتياط النقدي . . أي أن البنك المركزي يمكنه - بوصفه مسيطراً على نسبة الاحتياط النقدي - أن ينظم بفعالية عرض النقود .

٢ - تعديل نسبة الاقتراض :

يحتفظ الناس - في العادة - بنسبة من أموالهم كنقد ويقومون بإيداع الباقي في البنوك ، وتختلف هذه النسبة باختلاف عادات الناس ، ودرجة تطور النظام المصرفي ، بالإضافة إلى عوامل أخرى . ويمكن أن تتغير النسبة تغيراً مؤقتاً نتيجة عوامل طارئة ؛ إذ يمكن أن ترتفع في أوقات المناسبات العامة ، أو عندما يتحسن الجو مثلاً فتكثر التزهة ويحتاج الأفراد إلى مزيد من النقد ، وتحتاج المؤسسات في بعض أوقات الشهر لمزيد من النقد لدفع الرواتب والأجور ، وهذه الزيادة في الطلب على النقود يمكن تقديرها على ضوء التجارب الماضية والحاضرة .

وفي بعض الأحيان . . فإن التغيرات في الظروف السياسية والاقتصادية ، أو التغيرات المتوقعة ، يمكن أن تؤثر على رغبات الجمهور ، ويؤدي ذلك إلى زيادة طلبهم على النقود . ومن العسير تقدير التغيرات التي تحدث في هذا الطلب . . أي رغبة الناس في الاحتفاظ بكمية قليلة أو كثيرة من النقود عما كانوا عليه في الماضي . ويقوم البنك المركزي بمواجهة التغيرات الحادة والمزمنة في الطلب على النقود . . إرتفاعاً أو إنخفاضاً ؛ إذ أنه يقوم بشراء أو بيع الأسهم . . وسوف نقوم بشرح ذلك فيما بعد . وسيكون تركيزنا هنا على الحالات التي تحدث فيها زيادة مؤقتة في الطلب على النقود وما يترتب على ذلك من آثار . ولاشك في أن مقابلة طلب الجمهور على النقد مهمة للحفاظ على نقدهم في البنوك ، وكذلك لإدارة النظام المصرفي بنجاح .

وقد سبق الإشارة إلى أن البنوك التجارية تحتفظ بكمية قليلة من المبالغ المودعة في شكل نقد . وافترضنا أنها تبلغ عشر الودائع أما التسعة أعشار الباقية فإن البنوك تحتفظ بها ، في الواقع ، في شكل قيودات بدفاتها . وفي ظل الظروف العادية ، فإن الودائع المتدفقة يومياً بالإضافة إلى الرصيد النقدي . . تمكن البنك من مقابلة متطلبات الجمهور اليومية من النقد . أما إذا تصارعت معدلات السحب من ودايع

البنك بصورة أكبر بكثير مما هو الحال في الظروف العادية ، فإن الأرصدة النقدية وتدفع الودائع الجديدة تعجز عن مقابلتها ، وفي مثل هذه الحالة . . لابد من توافر مصادر أخرى تمد البنوك التجارية بالنقد . ولاشك في أن البنوك التجارية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - تحتفظ ببعض أصولها . . على نحو يمكن تحويلها بسهولة ودون تأخير إلى نقد . كما يمكن أن تأخذ هذه الأصول شكل قروض واجبه السداد عند الطلب ، أو تلك التي تكون على وشك إنقضاء مدة سدادها أو الأسهم التي يمكن بيعها دون خسارة . ويمكن أيضاً أن تتخذ الدولة مثل هذه الإجراءات لمواجهة الحالات المؤقتة التي لا تستطيع كل البنوك إتخاذها في نفس الوقت . فإذا قامت جميع البنوك مثلاً باستدعاء القروض واجبه السداد عند الطلب ، أو قامت ببيع الأسهم ، فإن الجمهور ربما يعجز عن رد القروض أو شراء الأسهم ، أو ربما لا يكون راعياً في شرائه في مثل هذه الحالة التي تتمثل فيها زيادة في الطلب على النقود ، لمد البنوك بالنقد . ولاشك في أن مثل هذا الاجراء سيؤدي إلى انخفاض في حجم ودائع البنوك ، وكل جهد تبذله البنوك التجارية للحصول على النقد سترتب عليه انخفاض في عرض النقود .

ولاستطيع البنوك مجتمعة ، مقابلة مثل هذه الحالة ، إلا إذا قام البنك المركزي بإمدادها بالمزيد من النقد . ولابد من أن تصاغ اللوائح المتعلقة بتقديم القروض على نحو تمكن البنك المركزي من مساعدة البنوك التجارية في حالات الطلب الزائدة على النقد ، حتى لا يؤدي ذلك إلى إنهاؤها ، أو يحدث تقلصاً حاداً في عرض النقود . وإذا فشل البنك المركزي في القيام بهذه الوظيفة ، فسوف يتأرجح عرض النقود - زيادة ونقصاناً - وفقاً للتغيرات التي تحدث في طلب الجمهور على النقد . ولاشك في أن ذلك يؤدي إلى تأثيرات كبيرة على الإقتصاد القومي ، ومن غير المعقول - في مثل هذه الحالة - ترك إدارة عرض النقود تتقلب وفقاً لأهواء الجمهور ، بل يجب أن ينظم البنك المركزي إدارة عرض النقود من خلال سلطاته في الرقابة على البنوك التجارية . وإذا قام البنك المركزي بتقديم قروض للبنوك التجارية ، فسيوفر الحماية للجمهور والثقة في إيداع مدخراتهم لدى البنوك التجارية . أما بالنسبة للاقتصاد الكلي : فإن ذلك لا يعني زيادة كمية النقود ، بل إن بعض النقود التي كانت في شكل ودائع بالبنوك التجارية ، ستتحول إلى نقود ورقية ومعنوية لا تؤثر على كمية النقود المعروضة ، لأن النقود التي قدمها البنك المركزي للبنوك التجارية ستتحول عن طريقها إلى الجمهور . . أي أن ودائع البنوك ستتخفض بقدر المبالغ المقدمة ، وإنخفاض جملة ودائع البنك ربما توجي انخفاض في كمية النقود ، إلا أنه في الواقع سوف لا يكون هناك إنخفاض ، لأن المبالغ التي سحبت من ودائع البنوك تعادل المبالغ التي يبد الجمهور . وعلى البنك المركزي أن يمد يد العون للبنوك التجارية بالقدر الذي يفي بالطلب الزائد على النقود في ضوء القوانين المنظمة للإقتراض . ويجب ألا تستغل البنوك هذه التسهيلات كوسيلة لتوفير نقود إضافية في المجتمع ، ويمكن على البنك المركزي أن يقوم بالمراقبة الدقيقة لحسابات البنوك التجارية . وعليه في الجانب الآخر ، أن يتخذ التدابير اللازمة بموجب قوانين القروض السارية بوضع الحد الذي يمكن أن تسحبه البنوك التجارية من القروض لمقابلة الطلب على النقد من الجمهور ، كذلك ويجب . . أن يعمل على توفير

كل الإمكانات للجمهور لسحب أية كمية من النقد من ودائعه في البنوك . والبنك المركزي وهو يملك سلطة إصدار النقود ، سوف لا يجد صعوبة في تنفيذ المهمة ، وربما لا يكون هناك خطر من نشوء تضخم نتيجة قيام البنك المركزي بتوفير هذه النقود للبنوك التجارية طالما أن هذه النقود سوف لا تكون مصدراً لتوليد الائتمان .

وسوف تكون القروض المقدمة بطريق البنك المركزي لفترة مؤقتة ، وسيتم سحبها متى عاد الطلب على النقد إلى حالته الطبيعية . وإذا استدعت ظروف مماثلة زيادة نسبة لظروف طلب غير عادي على النقد ، فيمكن إعادة نسبة الاقتراض إلى ما كانت عليه إذا عادت الأمور إلى مجاريها . وبهذه الصورة يمكن للبنك المركزي مساعدة البنوك التجارية في أن تحافظ على سيولتها وتحصل على ثقة الجمهور .

وفي الحالات الطارئة : يمكن أن تستخدم نسبة الاقتراض للحد من التوسع في زيادة عرض النقود أو تخفيض عرض النقود إذا دعت الضرورة ، ويمكن أن تتخذ هذه الخطوة إذا صاحبت الزيادة في الطلب على النقود موجة تضخمية . فلنفترض أن البنوك التجارية سحبت القروض المسموح لها أن تسحبها وفق القوانين ، إلا أن حاجة الجمهور للنقد لم تلَبَّ بالكامل . ورفض البنك المركزي زيادة نسبة الاقتراض أو لجأ إلى تخفيضها . . فإن البنوك التجارية ستلجأ إلى بيع الأسهم أو إستعادة القروض التي قدمتها إلى رجال الأعمال . وستكون النتيجة الحتمية في هذه الحالة هو انخفاض عرض النقود ، إذ سوف لا يتوقف الأثر الناجم عن سحب المبالغ المقدمة إلى رجال الأعمال ، بل سيؤدي ذلك إلى انخفاض ودائع هذه البنوك ، ومن ثم انخفاض كمية القروض التي يقدمها البنك المركزي . ولكن يستطيع البنك المركزي - في مثل هذه الحالة - تخفيض عرض النقود دون أن يلجأ إلى تخفيض نسبة الاحتياط ، وسوف تكون هذه . . خير وسيلة فعالة عند ظروف الطلب غير العادي على النقد .

ولضمان نجاح النظام المصرفي في أداء مهامه ، من الضروري أن تكون البنوك التجارية قادرة على الحصول على قروض عند الحاجة . ومصدر هذه القروض هو البنك المركزي . وعلى البنوك - في النظام المصرفي الربوي المعاصر - التقدم إلى البنك المركزي لهذا الغرض مباشرة ، أو إلى سوق الأوراق المالية لبيع الأوراق المالية قصيرة الأجل ، مثل سندات الخزنة ، أو السندات التجارية ^(١١) ، ويكون البنك المركزي على إستعداد لمد البنوك التجارية بالنقد اللازم . وفي الحالات التي يرغب فيها الحد من

١١ - هذا الإجراء أكثر وضوحاً في المملكة المتحدة ، لأن بعض المؤسسات تقوم ببيع وشراء سندات الخزنة ، وبعضها يتعامل في السندات التجارية . وتتحصل هذه المؤسسات على المال اللازم من البنوك التجارية وتتعهد بالدفع عند الطلب . ويكون البنك المركزي على أستعداد لشراء هذه السندات من هذه المؤسسات ، أو إمدادها بالنقد اللازم . ويتحصل نظير ذلك على نسبة فائدة أو سعر خصم . وعندما ترغب البنوك في الحصول على نقد ، فإنها تلجأ إلى هذه المؤسسات ، ويلجأ الوسطاء في هذه السندات إلى البنك المركزي ليقوم بإعادة خصم السندات التي بأيديهم فيتمكنوا من سداد ديونهم . وفي الولايات المتحدة يمكن للبنوك التجارية أن تشتري سندات البنك المركزي أو الحكومة الفدرالية مباشرة ، وفي فرنسا وألمانيا يمكن للبنوك أن تقتصر من البنك المركزي مباشرة مقابل سعر فائدة .

الإقتراض ، عليه أن يرفع سعر الفائدة . وزيادة سعر الفائدة على هذه القروض ستؤدي إلى رفع أسعار الفائدة السائدة في السوق . فينخفض الطلب على القروض من البنوك التجارية . وبالعكس إذا رغب البنك المركزي في توسيع الائتمان ، فعليه أن يجعل الائتمان أقل تكلفة وميسراً ويلجأ إلى تخفيض سعر الفائدة . أما بالنسبة لنظامنا المقترح فيمكن للبنك المركزي أن يلجأ إلى زيادة أو تخفيض كمية القروض التي تستحقها البنوك التجارية وقت الحاجة . وسوف لا يؤثر هذا على الشروط السائدة التي تحكم توفير الأموال لطالبيها ، لأن هذه الأموال تقدم على أساس المشاركة في الربح . . وليس على أساس سعر فائدة ثابت . ولأسباب متعددة « لا يمكن شرحها في هذا المقام » فإن سعر البنك أو سعر الفائدة الذي يتقاضاه البنك المركزي على قروضه . . فشل في العصر الحاضر في إحداث تأثير محسوس في كمية أو سرعة تداول الأموال المستثمرة . فإذا فاقت الأرباح سعر الفائدة ، فإن زيادة سعر الفائدة بـ ١٪ أو ٢٪ لا تؤثر في الطلب على رؤس الأموال . ولهذا تلجأ كثير من الدول لوضع سقف للحد الأقصى للقروض ، أو تضع ضوابط وشروطاً للقروض الممنوحة التي يجب أن تقتيد بها البنوك التجارية . ومثل هذه الإجراءات ، يمكن إستخدامها في نظامنا المقترح لتنظيم الإقتراض .

وتهدف السياسة النقدية المحافظة على التوازن بين عرض النقود والطلب عليها للوفاء بحاجة النشاط الإقتصادي ، ولاشأن للسياسة النقدية في معدل الربح اللازم كل مشروع اقتصادي لمواصلة نشاطه أو لإجراء إستثمارات جديدة ، إذ أن هذا . . أمر يتخذ رجال الأعمال قراراتهم بشأنه حسبما يرون . إن من نتائج إجراء تعديلات في عرض النقود عن طريق التعديلات في سعر الفائدة منع أو إعاقه الإستثمارات التي لا تحقق أرباحاً أعلى من أسعار الفائدة . وهذا يمثل تدخلاً غير ضروري ولاشأن للسياسة النقدية فيه . ونظامنا المقترح لا يحوي هذه الآثار الضارة ، لأنه نظام لا يقوم على الفائدة .

٣ - الاستعمال التفضيلي لنسبة الإقتراض :

إن عدم وجود فائدة على القروض سيغري كل بنك على أن يسعى إلى سحب أقصى كمية من القروض من البنك المركزي ، لأن هذه القروض تمكن البنوك من الحصول على سيولة ، وتعد سلاحاً فعالاً في يد البنك المركزي يشجع به تدفق الاستثمارات في صناعة معينة . فيمكن مثلاً أن يعلن البنك المركزي بأنه يعطي القروض على أساس ٥٠٪ من المبالغ المستثمرة في صناعة معينة ، أو مقابل كمبيالات مخصومة لهذه الصناعة ، في حين تكون النسبة الممنوحة لغيرها هي ٢٥٪ وسوف ترغب في هذه الحالة تقديم القروض لرجال الأعمال العاملين في هذه الصناعة ، وعلى العكس إذا أراد البنك المركزي عدم تشجيع تدفق الائتمان إلى صناعة أخرى فإنه يضع نسبة أقل من النسبة السائدة كأن تكون نسبة الإقتراض هي ١٥٪ من مجموع القروض المقدمة لهذه الصناعة . وكما ذكرنا لا بد من تقديم التسهيلات للبنوك التجارية لتمكين من تقديم القروض إلى رجال الأعمال بصفة عامة ، وإذا أراد البنك المركزي تشجيع صناعة دون أخرى ، فإنه يقوم بوضع نسب تجعل تقديم قروض أكثر لصناعة معينة ممكنة .

ولاريب فى أن سهولة حصول بعض الصناعات على قروض ، سوف يشجع تدفق الأموال المستثمرة إلى هذه الصناعات . وهذه القروض - وإن كانت قروضاً قصيرة الأجل - إلا أن سهولة الحصول عليها فى صناعة معينة سوف يشجع تدفق الاستثمارات طويلة الأجل ، أي الأموال المستثمرة على أساس المضاربة أو الشراكة ، وتوافر القروض قصيرة الأجل من شأنه أيضاً أن يضمن الربح لهذه المشروعات ، وإذا كان الحصول على قروض قصيرة الأجل أمراً صعباً فى صناعة معينة ، فإن الاستثمارات طويلة الأجل فى هذه الصناعة سوف تنخفض .

ويمكن تطبيق نفس المبدأ ، الذي ذكر سابقاً عند مناقشة القروض ، فى حجم الكمبيالات التجارية . إذ أن تحويل الكمبيالات التجارية إلى نقد بوساطة بنوك . . . يماثل فى الواقع الحصول على قروض من البنوك التجارية . وهذه البنوك ستقوم بتحويل الكمبيالات إلى نقد يمكن الحصول عليه بموجب اللوائح المنظمة للاقتراض مقابل هذه الكمبيالات من البنك المركزي . ويمكن أن يضع البنك المركزي نسباً مختلفة للاقتراض لكل نوع من أنواع الكمبيالات وذلك لتشجيع تدفق الائتمان لبعض الأنشطة ، وعدم تشجيعه فى البعض الآخر .

وسوف يكون استعمال نسبة الاقتراض على نحو تفضيلي . . . سلاحاً فعالاً لزيادة أو تخفيض الائتمان فى قطاعات معينة من الاقتصاد . وتسعى السياسة النقدية فى الاقتصاد المعاصر إلى تحقيق هذا الهدف ، بوضع أسعار فائدة مختلفة لحسم كل نوع من أنواع الكمبيالات فى الأنشطة الاقتصادية المختلفة . . . حسب مقتضيات الظروف السائدة^(١٢) .

وإذا لم يرغب البنك المركزي فى تقديم قروض إضافية لصناعة معينة ، فيمكنه أن يعلن أن نسبة الاقتراض لهذه الصناعة هي صفر بعد تاريخ معين . . . أي أن يتمتع البنك من تقديم أية قروض لهذه الصناعة ، وسوف لا يكون هناك حافز للبنوك لتقديم ائتمان لمثل هذه الصناعة .

وفى مقابل نسبة الصفر للاقتراض ، يمكن أن تصل نسبة الاقتراض ١٠٠٪ فى الصناعات التى تتبنى الدولة تشجيعها ، أو تريد تطويرها ، بمعدلات مرتفعة . . . أي مقابل كل مبلغ تقرضه البنوك فإن البنك المركزي يقرضها مبلغاً مساوياً المبلغ الذى اقرضته لهذه الصناعة ، وسوف تستفيد هذه الصناعة من المبالغ المقرضة . وبالرغم من عدم تحديد عرض القروض قصيرة الأجل ، إلا أن الطلب عليها محدود بأموال المضاربة المستعملة فى هذه الصناعات . ولاشك أنه كلما زاد توافر رؤوس الأموال طويلة الأجل على أساس المضاربة لهذه الصناعة ، زاد الطلب على القروض قصيرة الأجل .

ومن الجدير بالذكر . . . أنه إذا فشل البنك المركزي فى تحقيق أهدافه (أي فى الحد من الائتمان أو توجيهه إلى صناعة معينة) فإنه يمكن أن يصدر تعليمات معينة للبنوك التجارية . . . وهو إجراء يلجأ إليه البنك المركزي فى الحالات غير العادية .

كما يمكن إستعمال المعاملة التفضيلية ، فى حالة القروض المقدمة للجهات الحكومية أو المستهلكين ، وذلك باستخدام نسبة الاقتراض كما سيناقدش فى فصول لاحقة .

٤ - شراء وبيع الأسهم :

إن نظام الاقتراض الذى سبق شرحه ، يوضح أن عرض مزيد من النقود إلى البنوك . . يتوقف على طلب البنوك للائتمان ، ولقد سبقت الإشارة إلى أنه بموجب نظام الاقتراض ، فإن تقديم البنك المركزى للقروض فى الأحوال العادية سوف لا يترتب عليه تغيير إجمالى فى كمية من النقود ، وفى حالات الضرورة : يمكن أن يتخذ البنك المركزى تدابير أكثر وأقوى ، لجعل سياسته أكثر فعالية فى توفير كمية كبيرة من السيولة للبنوك . . فى حالة رغبته فى زيادة الائتمان ، أو الحد منه . . بامتصاص سيولتها . . إذا رغب فى العكس - أما فى النظام الربوى فإن البنك المركزى يحقق ذلك عن طريق شراء وبيع الأوراق المالية قصيرة الأجل التى تصدرها الدولة وتحمل فائدة محددة . ولاسبيل للتعامل بمثل هذه الأوراق . . فى نظام لايقوم على الربا ، ويمكن إيجاد بديل آخر : وهو أن يقوم البنك المركزى ببيع وشراء الأسهم التجارية التى تصدرها الدولة « وستناول الفصل القادم شرحاً لطبيعة هذه الأسهم » وفى هذا المقام سنشرح كيف يستطيع البنك المركزى جعل بيع وشراء الأسهم التجارية أداة للسيطرة على الائتمان .

ويمكن للدولة أن تصدر الأسهم على أساس الشراكة . ومعظم هذه الأسهم مملوكة للبنوك التجارية والمؤسسات التجارية الأخرى والجمهور . فإذا قرر البنك المركزى شراء هذه الأسهم ، فيمكن شراؤها بسعر الأسهم فى السوق أو بسعر أعلى . ويدفع قيمة هذه الأسهم نقداً . وسيقوم مستلموا هذه المبالغ بإيداعها فى البنوك ، وتم عملية توليد الائتمان عندما تتسلم البنوك التجارية هذ الودائع . وإذا كان هناك طلب على الائتمان من قبل رجال الأعمال ، فإن حجم الودائع التى تتولد ستكبر كثيراً حجم الموارد التى وفرها البنك المركزى ، وهكذا تصبح عملية شراء الأسهم بواسطة البنك المركزى أداة فعالة لإجراء توسع فى كمية النقود ، لأن عملية الشراء يترتب عليها إمداد البنوك التجارية بودائع جديدة .

وفى حالة شراء البنك المركزى هذه الأسهم من الحكومة مباشرة ، فستحقق النتيجة نفسها ، لأن الحكومة ستستخدم هذه المبالغ فى الإنفاق العام ، فيترتب على هذا الإنفاق زيادة الدخول فى شكل أجور ومرتبات أو إيجارات تودع - مرة أخرى - فى البنوك التجارية .

إن احتفاظ البنك المركزى فى خزائنه دائماً بكمية من الأسهم لبيعها عند الحاجة سيكون أداة لإحداث تقلص فى كمية النقود ، فبيع هذه الأسهم بسعر السوق أو أقل إلى البنوك والمؤسسات التجارية الأخرى التى هي دائماً على إستعداد لشراؤها بالأسعار المعقولة . وتقوم البنوك التجارية والمشترون الآخرون بسداد قيمتها نقداً ، ويؤدي ذلك إلى إنخفاض مباشر فى الأرصدة السائلة لدى البنوك التجارية . وإذا كان شخص آخر ، غير بنك ، فإن التأثير سيكون غير مباشر ، لأنه سيسحب قيمة الأسهم من حسابه ويدفعها إلى البنك المركزى ، أو يقوم بتحويل قيمة هذه الأسهم بتحرير شيك ، وتبدأ عند ذلك عملية إنخفاض

في كمية النقود . وإذا لم يكن لدى البنوك التجارية أرصدة نقدية زائدة ، فإن الانخفاض سيكون أكبر بكثير من قيمة المبالغ التي سحبها البنك المركزي . وهكذا يمكن أن يكون بيع الأسهم أداة يستعملها البنك المركزي لتخفيض كمية النقود عن طريق تخفيض الأرصدة النقدية لدى البنوك التجارية .

وكما سنرى في الفصل القادم أن السعر السوقي للأسهم التي تصدرها الدولة ، يعتمد على التوقعات الخاصة بفائدة أرباح هذه الأسهم . . . ولأبأس من بعض التقلبات المتعلقة بأسعار هذه الأسهم ، إلا أن المصلحة العامة تقتضي حماية الأسهم من المضاربات غير المؤسسة على مؤشرات السوق ، أو التقلبات غير العادية في قيمتها التي تتولد عن هذه المضاربات . ويمكن أن يتخذ البنك المركزي الإجراءات المناسبة في الوقت المناسب للحد من هذه التقلبات . . . بشراء أو بيع الأسهم . ويجب أن تطلع الحكومة البنك المركزي بأنشطة المؤسسات العامة التي تديرها ، وتطلع به بتقديرات أرباحها وخسائرها . كما يجب أن تبنى هذه التقديرات على أساس بيانات صحيحة عن أنشطة هذه المؤسسات ، ويراقب البنك المركزي على ضوءها سوق أسهم المؤسسات الحكومية ، فإذا أحس بأن سعر أسهم بعض المؤسسات قد انخفض لدرجة أكبر مما ينبغي على ضوء التقديرات المتوقعة ، فعليه أن يشتري أسهم هذه المؤسسات مما يسفر عنه زيادة الطلب على هذه الأسهم . . . ويحمي أسعار هذه الأسهم . وإذا زادت أسعار الأسهم زيادة كبيرة ، فيتدخل كبائع لهذه الأسهم بسعر السوق . . . ليحافظ على ذلك السعر . وينبغي أن يعمل البنك المركزي على المحافظة على أسعار هذه الأسهم من التقلبات الحادة حتى يطمئن ممتلكوها ، من الأشخاص والبنوك التجارية ، على أنها ستحقق لهم بعض الأرباح ، ويسهل على الحكومة كذلك تعبئة موارد مالية من الجمهور عن طريق هذه الأسهم التي تقوم على أساس المشاركة في الربح .

ولابد من أن يصاحب تطور وتوسيع التجارة . . . زيادة مطردة في وسائل الدفع بتوفير زيادة مستمرة في كمية النقود للبنوك التجارية . وشراء الأسهم الحكومية بواسطة البنك المركزي سيكون مصدراً لتوفير السيولة للبنوك التجارية في النظام المقترح . وعلى الأمد الطويل يمكن أن يعمل البنك المركزي على تحقيق زيادة مستمرة في الأرصدة النقدية لدى البنوك التجارية ، بأن يكون معدل شراء الأسهم أكبر من معدل بيعها . وأما نحو القطاع العام المطرد وإصدار أسهم جديدة بواسطة الحكومة في الأمد الطويل ، سوف يعتمد على حدوث زيادة مستمرة في المعروض من الأسهم .

وهناك ثلاثة أهداف وراء بيع وشراء الأسهم . . . نلخصها فيما يلي : -
أولاً : عرض كميات جديدة من النقود للبنوك لضمان نمو مطرد لعرض النقود في الأمد الطويل .

ثانياً : ضمان استقرار أسعار أسهم المؤسسات الحكومية وحمايتها من التقلبات الحادة .

ثالثاً : إحداث توسع أو تقلص في عرض النقود ، بضخ مزيد من النقود أو سحبها من النظام الاقتصادي ، وهذه الأهداف الثلاثة ، ربما لا تسير في تناسق مع بعضها البعض . إذ يستلزم في بعض

الأحيان شراء الأسهم لتحقيق أحد الأهداف ، وفي نفس الوقت لابد من بيع الأسهم لتحقيق هدف آخر . وينبغي للبنك المركزي - في مثل هذه الحالة - حل هذا التعارض ، بأن يضع هذه الأهداف الثلاثة نصب عينه ، ويستخدم بجانب شراء أو بيع الأسهم تعديل نسبة الاحتياط النقدي أو نسبة الاقتراض ، وعند الضرورة يمكن أن يتخذ خطوات أخرى لإزالة التعارض .

وإذا افترضنا أن أسعار الأسهم في السوق أخذت في الانخفاض لأسباب غير موضوعية ، قام البنك المركزي بإتخاذ خطوات لشراء الأسهم بغرض المحافظة على أسعارها ، ولم يرم بذلك إلى إحداث توسع في كمية النقود . فيجب في مثل هذه الحالة زيادة نسبة الاحتياط القانوني بجانب شراء الأسهم حتى لا تؤدي النقود (التي تسلمتها البنوك التجارية ، نتيجة قيام البنك المركزي بشراء الأسهم) إلى التوسع في كمية النقود . وإذا رغب البنك المركزي في إحداث إنخفاض في كمية النقود ، فينبغي أن يعتمد إلى زيادة نسبة الاحتياط النقدي على نحو يجعل البنوك التجارية - بالرغم من تسلمها نقوداً جديدة - تستدعي بعض أرصدها لمواجهة هذه الحالة .

ولتحقيق استقرار في أسعار الأسهم والحد من التوسع في كمية النقود في الوقت نفسه ، لابد من وضع الهدفين في الحسبان ومعالجتهما في وقت واحد على النحو الذي ذكرناه من قبل . وتوفير السبيلة للبنوك التجارية بعد هدفاً طويل الأجل يمكن تحقيقه دون عناء مع المحافظة على المصالح قصيرة الأجل . ويمكن زيادة النقد في الاقتصاد بواسطة الحكومة دون اللجوء إلى شراء الأسهم بواسطة البنك المركزي ، لأن هذه الوسيلة ليست الوحيدة لتحقيق ذلك ^(١٣) .

ولابد من أن نذكر ، أن البنك المركزي يجب أن يعتمد على استعمال نسبة الاحتياط النقدي إذا رغب في إحداث توسع أو تقلص في كمية النقود أكثر من إعتاده على بيع وشراء الأسهم . ويستعمل السلاح الأخير في الحالات التي لا تكون التعديلات في نسبة الاحتياط النقدي كافية لتحقيق هذا الهدف ، أو عندما يلزم تحقيق هذا الهدف خلال فترة قصيرة جداً للتغلب على موجة تضخمية غير عادية . وهناك إعتقاد متزايد في الآونة الأخيرة على استعمال نسبة الاحتياط النقدي للسيطرة على كمية النقود أكثر من الاعتماد على بيع وشراء سندات في كثير من الدول . فبعض الدول المتقدمة مثل استراليا ونيوزيلنده تقوم بمثل هذه الخطوات ^(١٤) .

١٣ - إذا قابلت الحكومة هذا النقص بالاستدانة من البنك المركزي فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة كمية النقود في الاقتصاد .

14. Commission on Money and Credit-Monetary Management. pp. 95, 104, 115, 119 R.S. Sayes - Central Banking pp. 112, 120. Peter G. Fousek, Central Banking, p. 53.

وأسباب قيام البنك المركزي بشراء وبيع الأسهم التي تصدرها المؤسسات الحكومية بجانب الأسهم التجارية المتوافرة في السوق . هي : (أولاً) أن البنك المركزي يتعامل في الأسهم الأكثر استقراراً في السوق . وأسعار الاسهم الحكومية هي التي يمكن الاعتماد عليها لما تتمتع به الدولة من مقدرة إدارية . وكذلك ما يتعلق بسياستها التي يمكن أن تضمن استقرار أرباح مشروعات القطاع العام . . . التي سوف نتعرض لها فيما بعد . (ثانياً) أن البنك المركزي لا يملك معياراً دقيقاً يستطيع أن يختار أو يرفض به الأسهم التي تصدرها المؤسسات التجارية . فيمكن أن يتحقق أرباح كبيرة لهذه المؤسسات من شراء البنك المركزي لهذه الأسهم . ومن ثم يصبح من السهل على هذه المؤسسات إصدار أسهم جديدة . والحصول على رأس مال إضافي . ولابد من معاملة تفضيلية لبعض المؤسسات الخاصة في بعض الأحيان . على أن يكون ذلك بناءً على معيار إقتصادي . وإذا قام البنك المركزي ببيع كمية كبيرة من أسهم لبعض المؤسسات . فإن ذلك سيؤدي إلى انخفاض في أسعار أسهمها ، مما يعوق مقدرة هذه المؤسسات في الحصول على رأس مال جديد . ولا يوجد ما يدعو للتعامل في أسهم المؤسسات الخاصة . إذ ربما يؤدي هذا . إلى ضرر لمؤسسة يكون أداؤها المالي ممتازاً أو العكس صحيح . ويعني الاقتراح القاضي بأن يشتري البنك المركزي أسهماً أكثر مما يبيع في الأمد الطويل ، أنه يستطيع توفير مزيد من رأس المال للاستثمار للحكومة . الأمر الذي يحقق المصلحة العامة للمجتمع ككل . وسوف لا يتبع إعتراضاً من أي مواطن لأية معاملة تفضيلية لمؤسسات القطاع العام . بالإضافة إلى ذلك . هناك مبررات إقتصادية في دول تسعى لتحقيق الرفاهية . . تحتم إعطاء الصناعات العاملة في القطاع العام معاملة تفضيلية .

٥ - التعديلات في نسبة الإقراض :

يمكن لرجال الأعمال والمؤسسات الحصول على رأس المال للاستثمارات طويلة الأجل . إما على أساس المضاربة أو المشاركة في الأرباح كما أوضحنا في ظل النظام المصرفي المقترح (١٥) . وتحتاج المشروعات إلى رأس مال لضمان سير المشروع بكفاءة في الأمد القصير . ويمكن أن تتوافر على أساس المضاربة أو المشاركة في الأرباح أو مقابلتها عن طريق القروض قصيرة الأمد . وأحد الاقتراحات العملية : أن تقدم القروض قصيرة الأجل على أساس المبالغ المستثمرة لفترة طويلة الأمد . ولاشك أن نسب المبالغ المقرضة على أساس القرض والمبالغ المتوافرة عن طريق الاسهم أو على أساس المضاربة في القطاعات . . . مختلفة . إلا أنه من الممكن إيجاد متوسط للنسبة بين هذين التمويلين بالنسبة للاقتصاد ككل . إذ أن هذه النسبة تعتمد على عوامل أخرى ، مثل أساليب الإنتاج أو المعدات الخاصة بتخزين السلع وسرعة بيع السلع النهائية وعدم تعرض السلع إلى تغييرات فجائية . وعلى البنك المركزي أن يوجد نسبة على أساس التجارب السائدة حالياً . . توفر لرجال الأعمال كمية معقولة من القروض ، وإذا رأي

البنك المركزي إختلافا خطيرا فى التوازن بين رأس المال طويل الأمد والقروض قصيرة الأجل يمكن أن يؤدي إلى أزمة تعاني من جرائها المؤسسات . فلابد من مواجهة هذه الحالة بتعديل نسبة الإقراض . وإذا إختلفت النسبة بحيث صار عرض القروض قصيرة الأجل . . أقل من رأس المال المتوافر فى الأمد الطويل . ولم تلب إحتياجات رجال الأعمال قصيرة الأجل . فإن ذلك يؤدي إلى كساد النشاط الاقتصادي . وربما يلجئ رجال الأعمال على ضوء إحتياجاتهم الملحة إلى جزء من رؤوس أموالهم المستثمرة فى الأمد الطويل . ليقابلوا بها هذه الإحتياجات الملحة ، مما يضر بالمصلحة العامة ، لأنه لا يتفق والاستخدام الأمثل لهذه الأموال ، إذ أن هذه المبالغ ستوفر لفترة ثلاثة أشهر ، والحاجة إليها تكون أحيانا لمدة أسابيع قليلة . ويمكن للبنك المركزي - فى مثل هذه الحالة - أن يقوم بزيادة نسبة الإقراض ، فيؤدي إلى زيادة المعروض من القروض . وربما يحدث من جراء ذلك نقص مائل فى المبالغ المعروضة على أساس المضاربة . وحيث أن مدة القروض أقصر من المبالغ المقدمة على أساس المضاربة ، فإن ذلك يؤدي إلى ربح أعلى . . . نتيجة إستخدام هذه المبالغ على هذا النحو .

والمؤشر الذي يدل على إنخفاض حجم المعروض من المبالغ . ومن ثم ضرورة زيادة نسبة الإقراض : هو عدم مقدرة البنوك التجارية مقابلة الطلب على هذه القروض . ورفض حتى ما تحتسبه مهما ، فتضطر البنوك للإعتذار عن طلبات كثيرة . والعكس صحيح عندما يكون الطلب على هذه القروض قليلا ، وتكون الطلبات أقل من المبالغ التى يمكن أن تقرض ، وستقوم البنوك التجارية - فى هذه الحالة - بمنح كل طالب قرض . وإن كانت حاجته غير ضرورية . وهذا ينبه إلى أن نسبة الإقراض أكبر مما يجب وينذر بضرورة تخفيضها . وسوف يؤدي تخفيض نسبة الإقراض - فى هذه الحالة - إلى زيادة المبالغ المستثمرة فى الأمد الطويل فى الاقتصاد وتخفيض النسبة . بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى ترشيد إستخدام القروض بوساطة المشروعات .

لقد إقترح المؤلف سن القوانين التى تلزم البنوك التجارية بمنح قروض غير ربوية قصيرة الأجل تمثل نسبة محددة من حساب القروض وذلك بمنحها لمن يرغب سواء من الجمهور أو الحكومة . وبدون هذه القوانين سوف لا تقدم البنوك على منح مثل هذه القروض . والمبدأ الذي يحكم تحديد نسبة الإقراض هو مقابلة الإحتياجات الملحة لمثل هذه القروض قصيرة الأجل ، ثم يأتي بعد ذلك إستخدام معظم ما تبقى منها فى حساب القروض فى الإستثمارات المربحة . وسيضع البنك المركزي التعديلات اللازمة فى نسبة الإقراض . لضمان توفير إحتياجات القروض لرجال الأعمال والمستهلكين والمنشآت والحكومة .

إن التعديل فى نسبة الإقراض لا يؤثر فى إجمالى عرض النقود أو فى إجمالى الودائع المصرفية . لكن لو استبعدنا المستهلكين والحكومة ، كما فعلنا حتى الآن ، فإن هذا التعديل لا يؤثر كذلك على مجموع المبالغ المتاحة لرجال الأعمال .

غير أنه يؤثر على نسبة المبالغ الممنوحة على أساس القرض الى المبالغ الممنوحة على أساس المضاربة . كما يتضح من البيان التالى :

إن السطر الأول من الجدول رقم (٣) يوضح الموقف الشامل لميزانية البنك عندما تكون نسبة الإقراض ٥٠٪. والسطر الثاني يوضح زيادة نسبة الإقراض بـ ٢٠.٥٪ (أي ٥٢.٥٪) والسطر الثالث يوضح أثر تخفيض النسبة بـ ٢٠.٥٪ (أي ٤٧.٥٪) .

جدول رقم ٦ - ٣
تأثيرات تعديلات نسبة الأقرض « بالروية »

نسبة الاقراض	الأصول			الخصوم	
	الاحتياطي النقدي	القروض المقدمة	الأموال المقدمة على أساس المضاربة	ودائع القروض	ودائع المضاربة
٥٠٪	١٠.٠٠٠	٣٠.٠٠٠	٦٠.٠٠٠	٦٠.٠٠٠	٤٠.٠٠٠
٥٢.٥٪	١٠.٠٠٠	٣١.٥٠٠	٥٨.٥٠٠	٦٠.٠٠٠	٤٠.٠٠٠
٤٧.٥٪	١٠.٠٠٠	٢٨.٥٠٠	٦١.٥٠٠	٦٠.٠٠٠	٤٠.٠٠٠

إن تعديل نسبة الإقراض لا يؤثر في حساب القروض أو حساب المضاربة ولا الرصيد النقدي . إنما يؤثر فقط على القروض المقدمة ، أو القروض المقدمة على أساس المضاربة . والمقارنة بين السطر الأول والثاني توضح لنا أن زيادة نسبة الإقراض بـ ٢٠.٥٪ تؤدي إلى تخفيض المبالغ المقدمة على أساس المضاربة بـ ١,٥٠٠ روية ، في حين يوضح السطر الثاني أثر تخفيض نسبة الإقراض . إذ أن القروض المقدمة ستخفض بمبلغ ١,٥٠٠ روية في حين أنها ستزيد المبالغ المقدمة على أساس المضاربة بالقدر نفسه .
لقد رأينا - من قبل - عند مناقشة اللوائح المنظمة للاقتراض : أن المبالغ التي يقرضها البنك المركزي للبنوك التجارية ، تعتمد على كمية القروض التي تقدمها البنوك التجارية للراغبين في الائتمان ، وبالضرورة : فإن أي تعديل في نسبة الإقراض سيؤثر على الاقتراض الذي يسمح به البنك المركزي . وإذا لم يرغب البنك المركزي في تعديل الكميات التي يقرضها ، فإنه ينبغي - في هذه الحالة - تعديل نسبة الاقتراض في نفس الوقت الذي جرى فيه تعديل لنسبة الإقراض . أما إذا كان التعديل في نسبة الإقراض ضئيلاً ، والموقف السائد لا يستلزم تعديل نسبة الإقراض ، فلا داعي لاتخاذ هذه الخطوات في مثل هذه الحالة .

٦ - استعمال أدوات أخرى متنوعة : -

ينبغي للبنك المركزي « لتحقيق الأهداف التي يسعى إليها عن طريق السياسة النقدية والوسائل الأخرى اللازمة إتباعها » أن يتخذ وسائل متعددة . . . في آن واحد معاً في أغلب الأحيان . . . لتحقيق هدف معين . مثال ذلك : إذا أراد البنك المركزي محاربة تضخم حاد ، فيلزمه أن يلجأ للحد من كمية النقود ، أو زيادة نسبة الاحتياط النقدي ، أو تخفيض نسبة الاقتراض للصناعات التي تتمتع بنسب نمو عالية « أبيع الأسهم . . . ويمكن إتخاذ جميع هذه الاجراءات في وقت واحد . وبالمثل : عندما يرغب البنك المركزي في محاربة الكساد ، فيلزمه أن يلجأ إلى تخفيض نسبة الاحتياط النقدي ، أو زيادة نسبة الإقتراض لصناعات معينة . أو شراء الأسهم . ومن حقه أن يتخذ جميع هذه الإجراءات في نفس الوقت . ويمكن ضرب العديد من الأمثلة التي توضح أن أهداف السياسات المتعلقة بعرض النقود ، أو النسبة بين القروض وأموال المضاربة وأسعار الأسهم . يمكن تحقيق توازن بينها . . . بفعالية . وذلك باستعمال أدوات متنوعة في وقت واحد .

والنتيجة التي توصلنا إليها : هي أنه - بالرغم من تحريم الفائدة - فإن البنك المركزي « في نظامنا المقترح » يمكن أن يؤدي كل الوظائف العادية التي ينبغي على البنك المركزي القيام بها ، وللسياسة النقدية - في ظل هذا الاقتصاد- فوائد يمكن صياغتها على نحو مرن . تواجه به الظروف المتقلبة . ويتم إنشاء البنك المركزي في النظام المقترح برأس مال حكومي ، وتغطي مصاريف تكاليف إدارته من الأرباح التي يحققها من بيع الأسهم الحكومية . وهذه الأرباح ليست مضمونة بشكل قطعي . إذ ربما لا تفي بجميع هذه التكاليف . إذن لا بد من إتخاذ أحد أسلوبين : إما عد البنك المركزي جهازاً يقوم بأداء خدمة إجتماعية لا بد منها ، وتحمل نفقاته الخزنة العامة . . كشأن سائر الخدمات الاجتماعية الأخرى التي لا بد من توفير موارد مالية لها ، وإما أن تتحمل البنوك التجارية تكاليف إدارة البنك المركزي . ويمكن أن يتم فرض رسم حسب نسبة رأس المال العامل للبنوك التجارية على كل البنوك . أو أن يخصص جزء من دخل هذه البنوك لهذا الغرض .

والمبدأ المفضل عند المؤلف : هو أن تتحمل الدولة نفقات البنك المركزي . ويمكن لها أن تفرض ضريبة خاصة على المعاملات المصرفية تخصصها لتقويل نفقات إدارته .

الفصل السابع

النظام المصرفي والمالية العامة

لم يتعرض الهيكل المقترح للنظام المصرفي اللاربوي في الفصول السابقة لعلاقة هذا النظام بالمالية العامة . فبدون وصف دقيق للأهداف التي يسعى لتحقيقها والوسائل التي يتخذها للحصول على موارد مالية . وبدون وصف دقيق كذلك للنفقات العامة للدولة الإسلامية ، يصبح وصف النظام المالي ناقصاً . ولابد من مناقشة تفصيلية لهذا الامر . ولا يمكن أن تتم مناقشته فقط ضمن مناقشة النظام المصرفي اللاربوي ، إذ أن هناك قضيتين من قضايا المالية العامة ، ترتبطان بقضايا النقود والبنوك . ولابد من طرحهما في هذا المجال وهما : إمكان حصول الدولة على القروض ، أو حصولها على الأموال . . على أساس المضاربة .

وتخضع سياسات البنك المركزي النقدية للأهداف العليا لهذه الدولة . وتصاغ على ضوء هذه الأهداف . وتصبح أعمال البنك المركزي وتنظيماته أكثر تعقيداً عند دراستها في إطار تحقيق السياسة الاقتصادية للدولة . وبخاصة في مجال تحقيق الأهداف الكبيرة . وسيكون من الممكن - بعد مناقشة القضيتين المذكورتين في الفقرة السابقة - تحديد بعض المسؤوليات والوظائف الجديدة التي سيقوم بها البنك المركزي .

ولارب أن الدولة الإسلامية مؤسسة ذات أهداف . وإتفاقها العام يهدف إلى تحقيق هذه الأهداف . ولابد من توافر الموارد المالية . وباختصار نقول : إن الدولة الإسلامية - شأنها شأن الدول المعاصرة الأخرى - ستستعمل الوسائل المتبعة في تعبئة الموارد المالية : كالضرائب ، وأرباح المشروعات العامة . والحصول على رؤوس الأموال عن طريق المضاربة أو المشاركة . ونذكر - بإختصار - حاجة الدول الإسلامية للموارد المالية ، وضرورة إكتشاف موارد جديدة .

وناقش المؤلف المسؤوليات الاقتصادية للدولة الإسلامية التي تمثل العامل الحاسم لتحديد هذه المشكلة في أعمال أخرى ^(١) ، وخلاصة ما توصل إليه المؤلف في تلك المناقشة : أن الدولة الإسلامية يجب عليها أن تقوم بتأمين الحاجات الأساسية لجميع رعاياها . . إلى الحد المعقول . فعليها أن تعمل على تأمين : الغذاء ، واللباس ، والسكن ، والعناية الطبية ، والتعليم . . لكل فرد . وأن تعمل على المحافظة على

١ - المسؤوليات الاقتصادية للدولة الإسلامية في كتاب نظرية الملكية في الإسلام (الاردية) المجلد الأول . عام

حياة المواطنين وشرفهم وممتلكاتهم ، وأن تمنعهم من أي اعتداء . ويجب أن تقوم الدولة الإسلامية بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية حتى تقوى على القيام بواجباتها الأخرى ، كما يجب عليها أن تعمل على تحقيق عدالة توزيع الثروة والدخل في المجتمع . وهي : بوصفها دولة تقوم على الشورى . . . تسعى لتوفير الحاجات العامة ، التي تزايد بصورة مستمرة كما نشاهد في الدول المعاصرة .

والتنمية الاقتصادية هدف تسعى دولة الرفاهية الحديثة إلى تحقيقه ، وعلى الدولة الإسلامية أن تسعى إلى تحقيقه بصورة أقوى ، لأن أهداف الدولة مرتبطة بالتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وهي ضرورية لتحقيق الاستقرار الاجتماعي . وتسعى الدولة الإسلامية إلى تعميق القيم الروحية والأخلاقية ، وإلى بذل الخير وإجتثاث الرذيلة لتنمية شخصية الفرد وحماية ضميره وحرته ، وحمايته من الاستغلال . . لإقامة مجتمع نظيف ومنظم . وستستخدم الدولة النظام المصرفي ، والمالية العامة ، كوسائل لتحقيق هذه الأهداف . ولم تضع الشريعة الإسلامية قيوداً على الدولة في تعبئة مواردها ، فيمكنها أن تستخدم وسائل كثيرة حسب ظروفها^(٢) . ويكتفي المؤلف بشرح استخدام الدولة أسلوباً للتمويل عن طريق القروض ، وبإمكانها الحصول على قروض من الجمهور . . أو أموال ، إما على أساس المضاربة أو الشراكة دون أساليب التمويل المعروفة .

النفقات والإيرادات العامة :

هناك بعض النفقات العامة للدولة . مثل نفقات : الإدارة المدنية ، والقضاء ، والهيئة التشريعية ، والمحافظة على الأمن والنظام . . . وهي النفقات العادية ، أو نفقات الدفاع التي يجب تمويلها من الموارد الضريبية . وكذلك توفير الخدمات الاجتماعية الأساسية ، مثل التعليم والصحة . ويجب توفير الحاجات الأساسية للناس من العشر والزكاة . وكذلك نفقات الدعوة إلى الإسلام عن طريق أجهزة الراديو والتلفاز والأفلام . والدعوة إلى الفضيلة ومحاربة الرذيلة . . . يجب تلبية من الأموال التي تجبى تحت ظل أوامر الشريعة ، ومن المصادر الإضافية .

وتحتاج التنمية الاقتصادية إلى موارد مالية ضخمة ، لا يمكن أن تأتي من الموارد الضريبية ، بالرغم من أهميتها كمورد من موارد الإيرادات . إنما يمكن الحصول عليها من ممتلكات الدولة ، أو من غلة وأرباح المؤسسات التجارية والصناعية التابعة للدولة . إلا أنه في ظل الدولة الحديثة ، وبخاصة الدول النامية ، فإن الإيرادات من هذه المصادر - في العادة - لا تكفي لتغطية هذه النفقات ، ويصبح من الضروري تعبئة بعض المدخرات الخاصة . . عن طريق المضاربة أو المشاركة ، أو عن طريق القروض . وذلك لتمويل المشاريع التنموية .

وفي إطار التخطيط للتنمية الاقتصادية ، لابد من توجيه عناصر الإنتاج ، مثل : الأرض والأيدي العاملة وأدوات الإنتاج . . . إلخ . . وتحويلها من إنتاج السلع الاستهلاكية إلى إنتاج السلع الرأسمالية أو السلع المعمرة ، وبخاصة في الصناعات الأساسية التي تقوم بإنتاج الآلات الصناعية وأدوات الإنتاج

التي يمكن أن تقوم بإنتاج السلع الاستهلاكية . فتعبئة الموارد المالية من الجمهور عن طريق المضاربة أو الضرائب تؤدي إلى انخفاض القوة الشرائية . ومن ثم فإن الطلب على السلع الاستهلاكية ينخفض ، مما يؤدي إلى الاستغناء عن بعض عناصر الانتاج يمكن استغلالها في المشروعات التنموية . ولابد من اتخاذ هذه الإجراءات لمنع إستغلال معظم الموارد في إنتاج السلع الاستهلاكية التي تؤدي إلى عدم توافر الموارد المالية وتعيق تحقيق تنمية اقتصادية شاملة في البلاد . ويجب على الدولة الإسلامية أن تتخذ جميع التدابير لتحقيق التنمية الاجتماعية التي هي من المسؤوليات الرئيسية للدولة الإسلامية . وفي حالات الحرب لابد لخزانة من مقابلة نفقات الدفاع . وفي مثل هذه الظروف تحتاج الدولة إلى دعم المواطنين « بالتبرع أو إقراض الدولة » لأن فرض مزيد من الضرائب فقط لا يكون كافياً ، ذلك أن فرض الضرائب بعد حد معين يثير مشكلات سياسية واجتماعية وإقتصادية وإدارية .

وربما تحتاج الدولة إلى قرض لتحويل حاجة طارئة ، كذلك الحال لبعض الدول التي تحصل على إيرادات كبيرة في مواسم معينة من السنة . . . دون أخرى ؛ مثل المواسم التي تحصل فيها الدولة على العشر ، وعلى الضرائب الأخرى ، إلا أن النفقات العامة متكررة على مدار العام ؛ مثل المرتبات والأجور . . . الخ وتحتاج الخزانة لمقابلة الاحتياجات اليومية في بعض الأحيان . . . إلى الاستعانة بالقروض . وهذه الحالة تواجه معظم الدول المعاصرة . وتحتاج معها بعض الدول إلى إصدار سندات الخزانة للحصول على هذه القروض . واستخدام القروض - بالإضافة إلى أنه وسيلة للتمويل الطارئ - فهو يخدم وظيفة إقتصادية مهمة ، هي السيطرة على الطلب الفعال . . . وربما يكون ذلك الهدف الرئيسي من وراء تعبئة القروض ، وتستخدم هذه الوسيلة ، مع زيادة الضرائب ، للحد من التضخم ، وبخاصة في الحالات التي تفشل فيها زيادة الضرائب فقط في تحقيق هذا الهدف . وإذا رأت الدولة أن الظروف الاقتصادية تقتضي زيادة الطلب الكلي ، فيمكن للدولة أن تقوم بإعادة دفع القروض العامة ، ولا يوجد ما يمنع الدولة الإسلامية من إستعمال هذه الأداة - المالية ، وبخاصة . . . عندما تكون الدولة مضطرة إلى أن تلجأ إلى الاقتراض .

وطلاب المالية العامة والاقتصاد يدركون الأسباب التي تدفع الدولة للاقتراض من الجمهور أو الحصول على رؤوس أموال للمضاربة . ويجدر أن نضيف . . . أنه لا يوجد في الشريعة ما يمنع الدولة الإسلامية من الحصول على رؤوس أموال على أساس المضاربة . فلا يوجد ولم تكشف الدراسات عن وجود نص يمنع الدولة من فعل ذلك ، بل على العكس . . . هناك شواهد من الشريعة تشير إلى أن خطوات عملية إتخذت في هذا المجال . وأشار علماء الإسلام إلى الظروف التي يمكن أن تحتاج فيها الدولة الإسلامية إلى القروض . وهناك شواهد أيضاً على أن الدولة الإسلامية قامت بتخصيص أراضيها على أساس المشاركة في المحصول ، وعلى أساس تمويل رؤوس الأموال من الخزينة العامة على أساس المضاربة (٣) .

ويمكن أن تلجأ الدولة إلى إصدار نقود جديدة ، أو إلى التمويل بالعجز ، لتوفير احتياجاتها . فإذا زاد الاتفاق العام على الإيرادات العامة » بما فيها القروض من الجمهور أو رؤوس الأموال المقدمة على أساس المضاربة « فإن العجز يمول بإيجاد نقود جديدة . وستؤدي الزيادة الناتجة في كمية النقود إلى زيادة مؤقته في مستوى الأسعار ، مما يؤدي إلى انخفاض القوة الشرائية للنقود مقابل السلع والخدمات ، مما يمكن الدولة من أن تسيطر بعض الشيء على حجم السلع والخدمات . ولا يمكن تحقيق هذا الهدف في بعض الأحيان بوسائل أخرى ، وللتحويل بالعجز نفس أثر الضريبة ، إلا أن عبأه يقع على الأغنياء والفقراء على السواء . وإذا قامت الدولة باستعمال التمويل بالعجز في بناء مشروعات جديدة توتى - خلال فترة وجيزة - سلعاً استهلاكية وفيرة ، فإن مستوى الأسعار يمكن أن يعود إلى ما كان عليه من قبل ، ويمكن أن تستعيد النقود قوتها الشرائية . ويمكن أن يستخدم التمويل بالعجز في الدول النامية لتحقيق التنمية الاقتصادية وبناء المشروعات . وتوضح التجارب أن النتائج المتحققة من هذا الاستعمال . . ليست طيبة ، إذ أن الأسعار لا تعود إلى ما كانت عليه ، وسبب آخر يدعونا لرفض هذه الوسيلة ، هو : أن ارتفاع أسعار السلع يؤدي إلى زيادة دخول بعض أفراد المجتمع ، الذين يستفيدون من هذه الظروف بصورة كبيرة . في حين تعاني فئات المجتمع الأخرى . . معاناة حادة من هذا الوضع ، مما يجعل تحقيق العدالة الاجتماعية أمراً صعب المأل . ويمكن تبني هذه الوسيلة في الحالات غير العادية ، أي عندما تكون هناك جائحة ، أو حالة حرب ، أو ظروف غير طبيعية ، وذلك ضمن إجراءات مالية أخرى .

توفير رؤوس الأموال على أساس المشاركة أو المضاربة :

هناك بعض المشروعات المهمة في القطاع العام أو المشروعات المتعلقة بالتنمية الاقتصادية ، تلك التي يجب أن توفر لها رؤوس الأموال من الجمهور على أساس المضاربة أو المشاركة . وهناك بعض المشروعات التي تنتج مواداً خاماً يمكن بيعها في السوق . ويمكن إستعمال المضاربة أو المشاركة للتمويل ، إلا أن هذا النوع من التمويل لا يمكن إستعماله في المشروعات الحكومية التي لا تقوم ببيع منتجاتها في السوق ، مثل : مشروعات الطاقة النووية ، وصناعة السلاح والذخيرة ، ومشروعات الري الضخمة ، ومشروعات الطاقة المائية ، ومعظم مشروعات المواصلات والاتصالات التي توفر خدمات إجتماعية كبرى . ولا يمكن تحديد أسعارها على أساس تحقيق الربح فقط . . بل على النقيض . فإن صناعة قطع الغيار ، والأدوات الكهربائية ، والساعات ، والرديوهات ، والتلفاز ، والسيارات ، والآلات ، والمعدات الزراعية . والمصانع إلى جانب الصناعات الثقيلة التي تحتاج إلى تمويل طويل الأجل لتبدأ في الإنتاج الكامل . مثل : مصانع الصلب ، والنحاس ، والالومنيوم ، وإستخراج المعادن . والصناعات البتروكيماوية . وصناعات أخرى متعددة يتوافر فيها الشرط الذي ذكرنا ، وهو أنها يمكن أن تنتج سلعاً وتبيعها في السوق . إلا أنها مشروعات طويلة الأجل تواجه عادة مشكلة تتعلق بحسابات توزيع أرباحها .

ويمكن أن تتم الإستثمارات الرأسمالية في الصناعات القومية على أساس المشاركة أو المضاربة ، ومن المهم أن يثق الجمهور في أن مدخراتهم التي إستثمرت في هذه الصناعات ستعود بعد فترة معقولة بعائد

معقول ، والمخاطر التي تخف بهذا الاستثمار لاتزيد على المخاطر العادية للاستثمارات في القطاع الخاص . وإذا نجحت الدولة الإسلامية في إقامة هذا النظام لتحويل الاستثمارات الرأسمالية ، فيمكنها أن تقوم بتعبئة موارد مالية - على نطاق كبير - من الأفراد والمؤسسات . فإن إقامة هذا النظام ممكن ، ولا يوجد ما يمنع الحكومات القيام به . وقتنا - من قبل - بشرح الفرق بين المشاركة والمضاربة بالتفصيل ، آخذين الفرق بعين التقدير . فهناك أسلوبان يمكن أن تستعملهما الدولة للحصول على الموارد المالية من الجمهور . هما :

الأول - يعتمد على المضاربة .

الثاني - يعتمد على المشاركة ، وكما سنشرح بعد ، فإن تنوع الاستثمارات يجعل عملية تعبئة الموارد المالية أمراً سهلاً .

أسهم المضاربة الحكومية :

يمكن أن تحصل حكومة الدولة الإسلامية على رؤوس أموال للاستثمار في مشروعات يقوم بها القطاع العام عن طريق إصدار أسهم مختلفة بفئات محددة ولفترة زمنية معينة . كأن تصدر أسهماً بفئات ١٠٠٠ روبية ، أو ١٠٠,٠٠٠ روبية ، أو ١٠٠٠,٠٠٠ روبية . ويجب أن يحتوي كل سهم على تاريخ إستحقاق السداد بعد حساب الربح أو الخسارة . ويمكن أن يحدد التاريخ بستة أشهر أو عام أو عامين أو خمسة أعوام . . . وهلم جرا . وسيحتوي كل سهم على الشروط التي تحدد كيفية المشاركة في الربح بين الدولة والجمهور . فيمكن أن يحدد نصيب الدولة على أساس الثلث أو الربع أو النصف . . . والباقي من نصيب المساهمين . أما إذا واجه المشروع خسارة ، فإن رأس المال سينخفض بنسبة الخسارة وقت السداد (تم شرح الأسس المهمة عند مناقشة القواعد الشرعية التي تحكم هذه المسائل) . ولقد سبق التعرض في الفصول السابقة لكيفية حساب الربح والخسارة بوساطة الدولة . وعلى الدولة أن تقوم بمراجعة سنوية أو نصف سنوية للمشروعات . وتحتسب عندئذ أرباح وخسائر المساهمين . وقتنا في الفصول السابقة بشرح الإجراءات الخاصة بكيفية مشاركة الأرباح والخسائر .

ويمكن إحتساب نصيب الاسهم على أساس سنوي أو نصف سنوي . وإن كان موعد سداد الأسهم أطول من ذلك ، كأن تكون واجبة السداد بعد عام أو عشرة أعوام ، فإذا حقق المشروع ربحاً فيجب سداد نصيب الأسهم من الربح عند عمل المراجعة السنوية . أما في حالة الخسارة ، فيجب إخطار المساهمين بأن رأس مالهم سينقص بنفس نسبة الخسارة . وينبغي ألا يطلب منهم مواجهة الخسارة كما يجب إحتساب الربح في ضوء الميزانيات السنوية عند نهاية مدة السهم . ويدفع المساهمين قيمة مساهمتهم مع إضافة الربح أو خصم الخسارة التي تكبدها المشروع خلال هذه الفترة . وتكون التسوية أيسر إذا طابق عمر المشروع عمر الأسهم ، إلا أن الاستثمار في الاسهم المختلفة في أوقات سدادها لا يشكل عقبة .

وفي كل عام يمكن أن تصدر الحكومة أسهم مضاربة تباع لتعبئة موارد مالية جديدة ، ويجوز أن تقوم الحكومة في الوقت نفسه بإعادة دفع قيمة الاسهم التي طرحتها على أساس المضاربة . . إذا حان موعد سدادها . ويجب أن تبذل الجهود لضمان تدفق موارد مالية جديدة عن طريق الاسهم أكبر مما ستقوم المؤسسات بسداده . حتى لاتواجه قصوراً في رؤوس أموالها .

وحتى يمكن لمثل هذه المجهودات أن تنجح في إقتصاديات الدول النامية ، يجب أن تولي الدولة عناية خاصة لهذا الهدف ، وأن تعمل على مراقبة نفقات المؤسسات الإدارية ، ونفقاتها على الأجهزة الأخرى . ويمكن للدولة (في حالة إنخفاض الطلب على أسهم المضاربة ، في بعض الاحيان) أن تقوم باتخاذ إجراءات أخرى ، مثل تغيير نسبة المشاركة في الأرباح ، على نحو يمكنها من اجتذاب مزيد من مدخرات المواطنين الراغبين في نسبة أعلى من الأسعار . ويمكن أن تتخذ الدولة إجراءات أخرى ، أو أن تجعل الأرباح الناتجة من أسهم المضاربة معفاة جزئياً أو كلياً من الضريبة ، أن يقتصر هذا الاعفاء على أسهم القطاع العام فقط ، إذ أن ذلك سوف يزيد حجم الاستثمار في أسهم المضاربة الحكومية بدلاً من الاستثمار في مجالات أخرى .

ومخاطر الخسارة في نظامنا المقترح يمكن ألا تكون عائقاً للطلب على أسهم المضاربة ، لأن تحريم الربا في الاقتصاد الإسلامي يجعل جميع مجالات الاستثمار معرضة للمخاطر ، لذا . . فإن مخاطر الخسارة - في حد ذاتها - لا تكون عائقاً لتعبئة الموارد المالية بواسطة مؤسسة القطاع العام على أساس المشاركة أو المضاربة .

وسيكون العائق هو درجة المخاطرة أي أن احتمال المخاطرة في استثمار معين مثلاً ربما يكون أكبر من فرص الاستثمار في المجالات الأخرى الممكنة ؛ كالايداع في ودائع المضاربة ، أو شراء أسهم المؤسسات الخاصة . وإذا تبين للراغبين في شراء الاسهم الحكومية أن درجة المخاطرة في الاستثمار في هذه الاسهم أقل من الاستثمار في القطاعات الأخرى ، سيفضلون الاستثمار في القطاع العام . ويمكن لادارات الصناعات المملوكة للقطاع العام أن تنافس فيه مؤسسات القطاع الخاص ، وتجعل احتمال حدوث خسارة شيئاً غير محتمل الحدوث عملياً ، وإذا أخذنا احتمال عدم حدوث خسائر في الواقع العملي فسيكون العامل الحاسم للاستثمار هو معدل الربح ، إلا أن الشك في معرفة الربح ، أفضل من الشك في عدم تحققه البته . وفي حالة عدم وجود احتمال إفلاس المؤسسات العامة أو تعرض رأس المال للنقصان ، تصبح تعبئة الموارد المالية لهذه المؤسسات أمراً ميسوراً . وإذا تمكنت الدولة من حسن إدارة هذه المؤسسات خلال سنوات مستمرة ، تمكنت من الحد من المخالفات المالية ، والحد من النفقات الإدارية ، وإستطاعت إعادة أموال الأسهم المستحقة في وقتها مع العائد الذي ينبغي سداده لهذه الاسهم . وسوف تجعل الجو أكثر ملائمة لشراء هذه الأسهم عند بداية تعامل الجمهور مع النظام اللاربوي الجديد ، إلا أنه سيزول تخوف الجمهور من التعامل مع النظام المقترح ، إذا ثبتت صلاحية هذا النظام وفعاليته .

والافتراض القاضي بعدم وجود مخاطر في أسهم المضاربة الحكومية التي تنتج السلع والخدمات ذات الطلب المتزايد ، يبنى على منتجاتها مثل : صناعات الصلب ، والأسمنت ، والآلات ، وقطع الغيار ، والأدوات الزراعية ، والسلع الكهربائية . . . وهلم جرا ، ويمكن أن يتجاوز الكميات المطلوبة نتيجة سوء التخطيط ، مما يؤدي إلى خفض أسعار السلع ، إلا أن هذه حالات نادرة الحدوث . والمؤسسة الحكومية بوصفها البائع الوحيد أو الرئيسي لهذه السلع ، تستطيع التحكم في الكميات المنتجة ، من ثم التحكم في سعرها . ويجب على المؤسسة الحكومية وضع السعر الذي من شأنه أن يحقق الربح المناسب . والسياسة العملية في هذا المجال ، أن تقوم المؤسسة بتحديد سعر يضمن للمستثمرين عائداً مناسباً مقارنة بالاستثمار الممكن في المجالات الأخرى على أساس المضاربة في مشروعات القطاع الخاص مثلاً . وتوضح التجربة أن الحكومات ، في كثير من البلدان ، تجتذب رؤوس الأموال للقطاع العام عن طريق سعر فائدة محدد ، وبالرغم من أن سعر الفائدة يؤدي إلى زيادة تكاليف الإنتاج ، إلا أن المؤسسات العامة تحقق أرباحاً ، وتقوم بالزيد من الاستثمارات . ولا يوجد سبب يمنع المؤسسات العامة - في الدولة الإسلامية - من تحقيق ذلك ، وهي تملك التأثير على أسعار منتجاتها ، وعلى اجتذاب رؤوس الأموال عن طريق المضاربة والاستمرار في استثمارات جديدة ^(٤) . والفرق بين مشتري أسهم المضاربة الحكومية والذين يقدمون القروض بفوائد في الواقع العملي ، هو أن معدل الربح لا يتحدد سلفاً ولا يكون ثابتاً وهو عرضة للتقلب ، إلا أنه يمكن في الواقع الحد من التقلبات الحادة في معدلات الأرباح حتى لا نتخذ أرباح هائلة أو خسارة فادحة .

وليس لحاملي أسهم المضاربة حق المشاركة في اتخاذ سياسات المؤسسة والمشاركة في إدارتها . وينبغي استثمار الأسهم التي طرحت باسم مؤسسة معينة في هذا المشروع دون غيره ، وألا تتخذ الحكومة أية سياسات تؤدي إلى تغيير طبيعة المشروع ، أو تؤثر بالحق الضرر بأصحاب الأسهم . وإذا اقتضت المصلحة العامة ذلك ، فلا بد من إخطار أصحاب الأسهم قبل وقت كاف ، لئتمكنوا من سحب رؤوس أموالهم إذا شاءوا ، أو شاء بعضهم ، وتصبح المؤسسات التي تنشأ بوساطة أسهم المضاربة ملكاً للدولة وليست لأصحاب الأسهم . وشأن هؤلاء شأن المستثمرين في مشروعات قائمة تحت إدارة وإشراف أصحاب المشروع . والدليل الوحيد الذي يثبت حقوقهم في المشروع ، هو وثائق الأسهم التي تم تحريرها وقت شراء هذه الشهادات « المسماة بأسهم المضاربة الحكومية » للأفراد والمؤسسات الخاصة . وتسجل أسماء المستثمرين والمعلومات الضرورية لحملة الأسهم . وتدفع قيمة الأسهم عند إنقضاء أجلها مع الأرباح السنوية للمشتري ، وفي حالة وفاته . . فلورثته .

٤ - يمكن إنشاء صندوق احتياطي لمواجهة حدوث خسائر في بعض السنوات ، وذلك بحفظ نسبة من الأرباح . ويمكن إعطاء أصحاب الأسهم في أوقات الخسائر من هذا الصندوق . وذلك لضمان عدم إنتقاص رأسمالهم . بالرغم من حدوث خسارة . وسبقت الإشارة إلى استعمال مثل هذا الإجراء في الفصل الثالث .

وأسهـم المضاربة الحكومية سوف تباع بوساطة مؤسسات الدولة فقط ؛ كالبـنك المركزي ، ومكاتب البريد ، وخزائن الدولة . ولايسمح لمشتريها بنقل ملكية هذه الأسهم أو إعادة بيعها أو إستبدالها . وحاصلوا أسهم المضاربة ليسوا مالكين لأي جزء من المشروع الذي استثمروا فيه رؤوس أموالهم . أي أن شهادات الأسهم لاتعدّ شهادات تمليك ، إنما هي إمداد المشروع برأس مال . وهذه السمة تميز أسهم المضاربة عن أسهم المشاركة في المؤسسة العامة التي سوف يتم شرحها فر الفقرة التالية :

أسهم المشاركة في المؤسسات العامة :

كما ذكرنا من قبل فإن التمويل على أساس المشاركة يعطي مجالاً في إدارة المشروع ، وهو ما يميزها على أسهم المضاربة . ويعني هذا أن المشروع الذي يتم تمويله عن طريق المشاركة . . يصبح مشروعاً مشتركاً ، وشهادات المشاركة - في هذه الحالة - هي وثائق تثبت المشاركة والملكية . فإذا قامت الحكومة مثلاً بإنشاء مشروع بعشرة ملايين روبية ، وتم الحصول على رأس المال عن طريق بيع ١٠٠ سهم بقيمة ١٠٠,٠٠٠ روبية للسهم الواحد ، فيصير كل حامل سهم مالِكاً لـ $\frac{1}{100}$ من جملة المشروع . فالملكية ، وحق المشاركة في إدارة المشروع ، يجب على الحكومة مراعاتهما وهي تصدر أسهم المشاركة هذه . فإذا أرادت الحكومة إقامة مشروع برأس مال قدره عشرة ملايين روبية ، وطرحت ١٠٠ سهم قيمة كل سهم ١٠٠,٠٠٠ روبية ، وقامت بشراء ٦٠ سهماً ، وتم بيع الأسهم الباقية للأفراد والبنوك . . أي أن الحكومة استثمرت في المشروع مبلغ ٦,٠٠٠,٠٠٠ روبية ، وقام الآخرون باستثمار مبلغ ٤,٠٠٠,٠٠٠ روبية ، ففي مثل هذه الحالة فإن إدارة المشروع وإتخاذ السياسات الهامة والبرامج سوف تتولاها هيئة تتكون من عشرة أشخاص تعين الحكومة منهم ستة ويـتـنـبـخ أصحاب الأسهم . . الباقين . وبالرغم من أن المشروع مشترك التمويل ، إلا أن ضمان المصلحة القومية العامة تحتم أن يكون ممثلو الحكومة أغلبية في مجلس إدارة المشروع ، وأن يتولى ممثلو الحكومة المناصب القيادية بطريقة قانونية . إذا اشترت الحكومة أغلبية الاسهم .

ولابد من أن يوضع تصور واضح منذ البداية لكيفية إتخاذ القرار في مجلس الإدارة ، فأني القرارات مثلاً يحتاج إلى ثلثي الأصوات ، أو إلى ثلاثة أرباع الأصوات ، أو إلى أغلبية مطلقة ؛ فإنه لابد من صياغة اللوائح والقوانين على نحو يكفل حق المساهمين في إدارة المشروع بما يحقق مصالحهم . ولايتعارض مع المصلحة العامة .

ويجب أن تتم إدارة المشروع . . المالية ، على نحو لايجعل التزامات المساهمين تتعدى حدود ما قدموه من رأس مال ، وألا تكون هناك أية استثمارات بقروض طويلة الأجل . وحتى القروض قصيرة الأجل والقروض الأخرى ، يجب أن تكون في حدود إجمالي رأس المال ، إلا إذا إستدعى الأمر . ففي بعض الصناعات مثلاً استثمارات ضخمة عن طريق تمويل طويل الأجل ، إلا أنه لابد من إشعار المساهمين بأن التزاماتهم المالية هي إلـتـزامات غير محدودة .

وينبغي أن تطرح أسهم المشاركة بصورة متنوعة ، ولمدد محددة . فالأسهم ذات القيم النقدية المختلفة ، والمدد الزمنية المتباينة ، ستجذب المستثمرين الراغبين في استثمار أموالهم لأمد طويل ومتوسط وقصير .

وتقرر الحكومة والشركاء . . . العائد من الأرباح لكل سهم ، ويقسم الربح حسب نسبة المساهمة في رأس المال المستثمر ، إلا أنه لا يوجد إلزام بذلك . . . إذ أنه ينبغي إعطاء أرباح أقل للمساهمين غير الحكوميين ، وتوجيه أرباح أكثر للحكومة . وإذا أخذنا نفس المثال أعلاه ، فإن ثلاثة أرباح جملة الأرباح البالغة ١٠٠,٠٠٠ روية . يمكن أن تقسم بين الـ ٤٠ مساهماً على نحو يجب أن يحصل فيه كل مساهم بسهم يبلغ ١٠٠,٠٠٠ روية . مبلغ ١٠٠٠ روية ، إلا أنه يعطى في هذه الحالة مبلغ ٧٥٠ روية ، ويذهب الباقي للحكومة ، التي ستحصل على أرباح عن كل سهم يبلغ ١٠٠,٠٠٠ روية مبلغاً قدره ١,١٦٦ روية . ولا يخالف هذا الأمر تعاليم الشريعة . . . إذ يجوز تحديد نسبة أرباح مختلفة لكل من الشركاء المساهمين كما يشرح المؤلف في موضع آخر^(٦) ، فإن ذلك يمكن أن يكون مكافأة المساهمين في المشروع بجهود متنوعة مثل العمل أو الخبرة . . . إذ يختلف دور الشركاء . ومن هذا المثال نرى أن الحكومة تتحمل معظم أو كل مسئوليات الإدارة العملية للمشروع .

ولابد من تحديد نسبة أكبر من الربح للحكومة مقابل المساهمين الآخرين . أما إذا حدثت خسارة : فإن كل مساهم يجب أن يتحملها حسب نسبة رأس ماله المستثمر في المشروع . ويجب أن يحدد نسبة العائد لكل سهم من أرباح المشروع . ففي حالة الخسارة ، ينقص كل سهم مستثمر بنسبة الخسارة المحددة . ويجب أن تبرز هذه المعلومات في شهادات الأسهم . كذلك المسئوليات المالية على المستثمر في المشروع المعين ، وهل هي محدودة أو غير محدودة ؟ . ويمكن أن تقسم الأرباح كما هو الحال بالنسبة لاسهم المضاربة عند إنقضاء أجلها ، ويجب سداد قيمتها مع العائد أو بخضم الخسارة في نهاية العام .

وشهادة السهم هي وثيقة تثبت الملكية لجزء من المشروع . ويمكن بيعها في السوق ، ولكل حامل سهم الحق في بيع أسهمه . . . إلا أن حق استلام الأرباح الموزعة ، أو الاشتراك في انتخابات مجلس الإدارة ، هو لحاملي الأسهم في الوقت الذي توزع فيه الأرباح عادة ، أو يتم فيه انتخاب مجلس الإدارة . ويجب إبلاغ الحكومة بتحويل الأسهم حتى تقوم بتعديل سجلاتها .

وإذا قام حامل سهم ببيع أسهمه ، فليس عليه أن يتقيد بسعر السهم المقيد في شهادة السهم . ويمكن أن يبيعها بسعر أعلى أو أقل . ويتحكم الربح المتوقع في أسعار الأسهم في السوق . . . إذ يتذبذب سعر السهم حسب ارتفاع أو انخفاض الربح المتوقع الذي يعتمد على كفاءة المؤسسة وعلى استقرار أسعار الاسهم عامة ، فالخوف من حدوث خسارة في المشروع يؤدي إلى انخفاض أسعار الأسهم . ومن المتوقع أن تنقلب

أسعار الأسهم حينما يدنو وقت توزيع الأرباح . أما في باقي العام . . فإن أسعار الأسهم تميل نحو الاستقرار . . أي أن أسهم المشاركة سوف تسلك مسلك الأسهم المتداولة الآن في كل بلاد العالم . ولاشك في أن هبة الدولة وحسن إدارتها لهذه المشروعات ، يضمن استقراراً أكثر في أسعار هذه الأسهم ، وأسعار هذه الأسهم سوف تتعرض للتغلب نتيجة لمخاطر « المضاربة » . والمناقشة التفصيلية لهذه المشكلة تقع خارج إطار هذا الكتاب ، إلا أننا يجب أن نؤكد أن تترك للأفراد الحرية ، ليقرروا أسعار هذه الأسهم على ضوء أسعار السوق . وفي الجانب الآخر يجب عدم تشجيع أي شخص يتعمد الحصول على أرباح من التقلبات في أسعار الأسهم . ويمكن للبنك المركزي « كما ذكرنا في الفصل السابق » أن يتدخل للمحافظة على استقرار أسعار الأسهم وحمايتها من التقلبات الحادة .

وبما أن أسهم المشاركة في المؤسسات الحكومية ستدر أرباحاً تكون قابلة للبيع . فيمكن أن تكون مصدراً للأرباح للبنوك التجارية وللأفراد المستثمرين في هذه الأسهم ، وستجذب هذه الأسهم البنوك التجارية والأفراد الراغبين في تحقيق أرباح عن طريق مدخراتهم ، وذلك باستثمارها في استثمارات قصيرة الأجل . وإذا تحققت الافتراضات التي تضمنتها هذه الدراسة « فإن الربح سيتحقق ، إلا أنه يكون متقلباً . ويمكن لحاملي الأسهم - حسب رغبتهم - بيع الأسهم فوراً ، أو بيعها عندما ترتفع أسعارها . ولايتوقع من الناحية العملية حدوث خسارة بالرغم من إمكان حدوثها من الناحية النظرية . ولقد تمكن كثير من المؤسسات ذات السمعة الكبيرة من تحقيق الأمان والربح للمستثمرين في مشروعاتها ، ولا يوجد سبب يمنع الدولة الإسلامية من نجاحها في إجتذاب الاستثمار والمحافظة على أسعار الأسهم في مستوى عال .

ونقترح أن يكون حجم أسهم المشاركة - في المؤسسات الحكومية - وأجلها في مستوى أعلى من أسهم المضاربة الحكومية والتي تصلح لصغار المستثمرين . كما يجب أن تستعمل أسهم المشاركة في المؤسسات الحكومية لإجتذاب مبالغ ضخمة للاستثمار في المشروعات طويلة الأجل . وبالإضافة لذلك فإن تقسيم الأرباح يجب أن يتم على نحو يضمن أرباحاً أعلى لأسهم المشاركة في المؤسسات الحكومية عن أسهم المضاربة ، كأن تحصل الأولى على ثلاثة أرباع الربح الذي يستحق بالمقارنة إلى نصف الأرباح المستحقة لأسهم المضاربة . . إلا أنه يجب استثمار أسهم المضاربة الحكومية في المشروعات الأقل مخاطرة والأكثر ضماناً . وستكفل مثل هذه الإجراءات توافر جميع أنواع الأسهم ، وتعطى للمستثمرين من صغار المدخرين وكبارهم ، وللأفراد والبنوك والمؤسسات المالية ، خياراً أوسع تفي برغباتهم وأمزجتهم .

وخلاصة القول : فإن هناك ثلاثة فروع رئيسية بين أسهم المشاركة وأسهم المضاربة ، هي : أولاً : سيكون لحملة أسهم المشاركة الحق في الاشتراك في إدارة المشروعات التي إستثمروا فيها عن طريق ممثلهم المنتخبين ، ولا يوجد مثل هذا الحق لحملة أسهم المضاربة .

ثانياً : سوف يكون لمشتري أسهم المشاركة الحق في بيع الأسهم متى شاؤوا ، في حين ينتظر حملة أسهم المضاربة استرداد أموالهم عند موعد انقضاء آجال أسهمهم .

ثالثاً : سوف يحصل حملة أسهم المشاركة عند توزيع الأرباح المتحققة على نسبة أرباح أعلى من حملة أسهم المضاربة .

وهناك فرق غير جوهري ، هو أن أسهم المضاربة سوف تطرح لمدد أقصر ، وبقيم أقل . . أما أسهم المشاركة فسوف تكون بقيم أعلى ولمدد أطول ، وربما تصدر أسهم المشاركة في بعض الأحيان لمدد أقصر وبقيم أقل .

إن عملية بيع وشراء الأسهم الحكومية - المذكورة في الفصل السابق - تختص بهذا النوع من الأسهم ، فيمكن أن يشتري البنك المركزي أسهم المضاربة التي تطرحها الحكومة . . إلا أنه لا يستطيع بيعها للجمهور ، ويمكن أن يسترجع قيمتها من الحكومة فقط عند انقضاء أجل هذه الاسهم . ويمكن للبنك المركزي تدعيم الإقتصاد برؤوس أموال جديدة بزيادة عدد الأسهم التي في حوزته ، وفي مقابل شراء أسهم المضاربة ستحدث زيادة في عرض النقود ، ويمكنهم عند نهاية مدة هذه الأسهم أن يقوم بشراء أسهم أخرى . وعلى هذا النحو فسيحفظ البنك المركزي لديه على كمية من أسهم المضاربة في خزائنه ، وأما الأسهم التي يمكنه بيعها عند الحاجة هي أسهم المشاركة .

إن شراء البنك المركزي لأسهم المضاربة الحكومية والمشاركة ، سيكون بمثابة تحويل رؤوس أموال ضخمة للقطاع العام . وبالطبع فإنه إذا تم تجهيز هذه المبالغ عن طريق إصدار نقود جديدة ، أي أن البنك المركزي قام بطبع هذه النقود لشراء هذه الأسهم ، فإن هذه العملية تكون بمثابة تمويل بالعجز ، أما إذا قام البنك المركزي بشراء هذه الأسهم من المبالغ المودعة لديه بوساطة البنوك التجارية ، فإن ذلك لا يكون بمثابة تمويل بالعجز . لأن الاحتياطات النقدية للبنوك التجارية هي مدخرات للأفراد أخذها البنك المركزي عن طريق غير مباشر ، ولا تشكل في مثل هذه الحالة زيادة في الطلب الفعال .

إن شراء البنك المركزي الأسهم ، ومن ثم زيادة عرض النقود سيكون سليماً عند حاجة الإقتصاد لمزيد من السيولة نتيجة التوسع الاقتصادي ، واستثمارات القطاع العام يتبعها زيادة في الانتاج ، مما يجعل مضار التمويل بالعجز أقل حدة ، إلا أنه لا بد من الأخذ في الحسبان مخاطر التمويل بالعجز . ويجب إستعمال هذه الأموال فيما يؤدي إلى زيادة الانتاج ، مثل شراء المصانع والمكينات والمواد الخام والسلع النهائية ، لأنه إذ حدثت زيادة مماثلة في السلع والخدمات للزيادة في النقود المصدرة . فإن احتمالات التضخم تكون أقل .

القروض الحكومية :

وكما أشرنا من قبل ، فإن بعض الصناعات المهمة والحساسة في القطاع العام ، لا يمكن تعبئة الموارد لها على أساس المشاركة أو المضاربة . ويجب أن تمول بالأموال العامة ، مثل مشروعات الطاقة النووية ومشروعات الري والمواصلات والاتصالات وكذلك المشروعات المتعلقة بالصناعات الحربية أو خدمات الدفاع . . التي تحتاج إلى موارد وطنية ، وتنمو الاحتياجات الرأسمالية لهذه الصناعات بصورة سريعة ،

بحيث لا يمكن معها الاعتماد على الضرائب لتمويل هذه المشروعات ، فتلجأ الدول المعاصرة إلى الاقتراض من الجمهور لهذا الغرض ، وستحتاج الدولة الإسلامية إلى التمويل طويل الأجل لمقابلة إحتياجات التنمية .

وفي حالة الظروف الطارئة : مثل الحرب أو الكوارث الطبيعية ، لابد من تعبئة طاقات المواطنين وتعاونهم في تقديم التمويل التطوعي ، بالإضافة الى الضرائب . وعندما لا يتحقق ، فلا بد للحكومة من تعبئة القروض التي تدفع في المستقبل من الضرائب أو من المصادر الأخرى ، حتى لا يقع عبء تمويل الحرب أو الكارثة على أصحاب ثروة محدودين في فترة معينة . وسيوزع العبء - على مدة طويلة ، وسيصبح في مقدور جيل آخر من حملة الأسهم . المشاركة في تحمل هذا العبء ، وهكذا يمكن تحقيق العدالة بين الأجيال .

ولمقابلة بعض الإحتياجات الأخرى ، فإن الحكومة تحتاج إلى قروض قصيرة الأجل ، كما هو الحال في مشروعات القطاع الخاص ، وسوف تحتاج المشروعات التجارية الحكومية لمثل هذه القروض ، وكذلك الخزنة العامة التي تمتد التزاماتها على مدار العام في حين لا تندفق إيراداتها على هذا النحو . ويمكن تعبئة القروض - قصيرة الأجل - من البنوك التجارية التي تتجمع لديها ودائع كبيرة من الجمهور في حساب القروض . أي أن تلبي إحتياجات الحكومة قصيرة الأجل بوساطة قروض قصيرة الأجل من البنوك التجارية . وسوف نوضح التطبيق العملي لهذا الإجراء فيما بعد .

وستكون الحكومة مسؤولة عن سداد الأموال التي إقتترضتها من الجمهور بعد مدة محددة ، إلا أنها لا تقوم بدفع فوائد أو أرباح على ذلك . ويثور سؤال طبيعي عن الحافز الذي يدفع الجمهور لإقتراض الحكومة ، وسؤال آخر متعلق به . . وهو : ما الذي ينبغي أن تفعله الدولة لزيادة تدفق مثل هذه القروض !!! .

ولاشك في أن الدفاع عن البلاد وبناء مقدراتها العسكرية وتحقيق التنمية الاقتصادية أهداف إجتماعية مهمة بالنسبة للدولة الإسلامية . ولاشك في أن وعي الأفراد في المجتمع المسلم لهذه الأهداف التي هي من واجبات المجتمع المسلم . ستزيد من رغبتهم في التضحية بمصالحهم الخاصة في سبيل تحقيق هذه المصالح العامة . ويجب أن تعمل الدولة الإسلامية لغرس هذه الروح في أفرادها وتحفزهم على تحقيق هذه الرسالة ، وذلك بإدخال جزء من مواردهم لمقابلة حاجات المجتمع . . مرضاة لله . والاستثمار في مثل هذه الحاجات يحقق مصالح المجتمع بدلاً من الاستثمار في تحقيق الربح الفردي . وفي أوقات الحرب . . فإن الحكومة تستطيع أن تجد قروضاً بدون فوائد من الجمهور ، إذا كانت الروح الإسلامية يقظة بين أفراد المجتمع وتكون للأفراد الرغبة في التضحية بالربح الناتج من ثرواتهم الزائدة لمواجهة الظروف الطارئة التي تجتازها الأمة . وكلما ضرب المسئولون الحكوميون المثل في التضحية . . . حصلوا على التعاون المشهود من المواطنين .

وهناك حوافز إقتصادية لتقديم القروض إلى الحكومة . . فقد أوضحت المناقشات السابقة أن بعض الناس لا يرغبون في تحمل مخاطرة استثمار أموالهم في مشروعات ربما تدر عليهم ربحاً ، ويفضلون الاحتفاظ بها في حسابات القروض في البنوك .

وبعض الافراد لا يرغبون في إستعمال مدخراتهم ويتركونها لمدة طويلة في حساب القروض ، لأنها ستكون في مأمن ولا تتعرض إلى خسارة أو ربح ، ويمكنهم أيضاً سحبها متى شاؤوا ، والأصلح لهؤلاء إقراض هذه المبالغ إلى الدولة بدلاً من إيداعها في حسابات القروض بالبنوك التجارية ، وذلك لأمرين هما :

أولاً : لما تتمتع به الدولة من هبة وسمعة مقارنة بالبنوك التجارية . والإيداع لدى الدولة أكثر أماناً وضماناً لإرجاع نقودهم عند المدة المقررة لإعادة القرض . . وثانياً : فإن الأفراد الذين يحجمون عن تحمل المخاطر بالاستثمار ، ربما يجدون في إقراضهم للدولة عزاء لهم بالأجر في الآخرة . . دون تحمل تضحية كبيرة ، وكذلك مساهمتهم في أمر وطني ، وستتوافر للحكومة مبالغ كبيرة من هؤلاء المدخرين الذين وفرت لهم الدولة أداة إقراض قصيرة الأجل . وسناقش - فيما بعد - الطرق المتعددة التي يمكن أن تتم بها ترتيبات تعبئة هذه القروض .

ولتحقيق تدفق المزيد من القروض . لابد من إيجاد حوافز إضافية . مثل منح إعفاءات ضريبية . فيمكن أن يدفع الأفراد الذين يقدمون قروضاً للدولة . ضرائب أقل ممن يدخرون أموالهم في حساب القروض بالبنوك أو يدخرونها في مكان آخر . وستشجع الإعفاءات الضريبية أولئك الذين ينشدون الربح . . إذ أن الإعفاءات الضريبية تجعل التضحية أقل . وربما يدفعهم ذلك إلى إقراض جزء من أموالهم التي يمكنهم استثمارها . . للحكومة . وبهذه الطريقة . فإن الإعفاءات الضريبية يمكن أن تشجع الأفراد للحد من الاستهلاك .

وتستعمل الإعفاءات الضريبية في الدول المعاصرة - لتشجيع أنشطة كثيرة . مثل المؤسسات الخيرية والتبرعات لأعمال البر . سواء بواسطة المؤسسات أم الأفراد . وكذلك المؤسسات الدينية - أيضاً - إذا قام الفرد بإدخار جزء من دخله لصندوق المعاشات . . والهدف من ذلك هو تشجيع المواطنين لإدخار جزء من أموالهم للمستقبل . ويمكن إعفاء المدخرات التي توجه للحكومة بغرض الدفاع أو التنمية التي تشجع أصحاب الثروات المشاركة في المسائل الوطنية وعدم إدخارها في البنوك التجارية مما يؤدي إلى مزيد من تركيز الثروة في أيدي قليلة .

وإن تفاصيل نوعية ودرجة الإعفاءات التي تؤدي إلى النتائج المرغوبة . تحتاج إلى دراسة مستقلة . وسوف لانقوم بها هنا . إلا أننا سنوضح المبادئ الرئيسة العامة . إن الافراد إما أن يقوموا بتقديم قروض للحكومة من مدخراتهم الجديدة . أو أنهم سوف يوجهون مدخراتهم السابقة في حسابات القروض بالبنوك التجارية . . إلى الحكومة . في الحالة الأولى : فإن الإعفاءات الضريبية ستكون من الضرائب المفروضة على الدخل . أما في الحالة الثانية : فالتخفيض سيكون من الضرائب المفروضة على رأس

المال . وإذا لم يكن هناك ضريبة مفروضة على رأس المال . أو إذا لم تكن من اليسير إدخال مثل هذه الإعفاءات فى النظام الضريبي . فلا بد من دراسة وسائل أخرى . . مثل .

الإعفاءات من ضريبة الدخل الواجب سدادها . . بنسبة من المبالغ التى قدمت كقروض . ولا بد من إتخاذ كل التدابير عند منح هذه الاعفاءات التى تكفل معاملة من تقدموا بقروض معاملة عادلة . . إذ أن الانخفاض المتوقع فى إيرادات الدولة من الضريبة سيكون أقل من المنافع المتوقعة من هذه القروض . ولا بد من أن نؤكد أن الإعفاءات الضريبية . لا تماثل الفائدة الثابتة التى تمنح للقروض . فالفائدة محددة بنسبة ثابتة تدفع كل عام للمقرض . أما الإعفاء الضريبي فلا يمثل مبلغاً مدفوعاً للدائن . وسيكون أثر هذه الإعفاءات قاصراً على السنة التى قدم فيها هذا القرض . ولا يمتد هذا الاعفاء عندما يستمر هذا القرض فى حياة الدولة لأكثر من عام .

ويبنى فرض الضرائب على الدخل وعلى رأس المال . . على أساس مقدرة الفرد فى الدفع . وتنتهي هذه المقدرة عندما يقدم الفرد قروضاً للدولة بلا فوائد . والإعفاءات الضريبية تخفف من آثار عدم المقدرة . . وهى لا تماثل الفائدة . . إذ أنها لا تجلب فائدة مباشرة لمقدم القرض . فالمتفجعون بهذه الإعفاءات هم دافعوا ضريبة الدخل . . أى أن لديهم مقدرة فى تقديم القروض . أما ذوو الدخل القليلة . . فيمكنهم تقديم قروض . إلا أنهم لا يستفيدون من هذه الإعفاءات لقلة دخولهم . والفائدة تدفع لكل فرد سواء كان قليل الدخل أم كثير . وينطبق هذا المبدأ على ضريبة رأس المال . والمستفيدون من الإعفاءات هم من لديهم رؤوس أموال تزيد على حد معين . . وليس كل من يقدم قرضاً للمصلحة العامة .

وسوف نخدم المبالغ المتجمعة من هذه القروض - كما تفعل الضرائب - المصالح الوطنية العليا للمجتمع . لذلك . . فإن الإعفاءات الضريبية تؤدي إلى زيادة تدفق الموارد المالية للدولة . وهى أسلوب لتحقيق التوازن فى الأهداف الإجتماعية للدولة الإسلامية .

شهادات القروض :

لا بد للحكومة أن تصدر شهادات قروض للمواطنين لإثبات حقوق من أقرضوا الدولة . وتسجل فى الشهادة إسم أو أسماء المقرضين . وتحفظ نسخة من هذه الوثيقة فى سجلات الدولة . ويجب أن يسجل إسم المؤسسة الوكيله أو الجهة التى سيتم عن طريقها سداد القرض . وموعد سداد القرض . ويمكن أن تستخدم الحكومة مكاتب البريد أو البنك المركزى أو بعض البنوك التجارية المختارة أو فروع وزارة الخزانة لتقوم بطرح هذه الشهادات وصرفها . ويجب أن يكون هذا النظام وما يتعلق به من دفع الديون وإصدار شهادات القروض على نحو لا يعانى الأفراد منه أية صعوبات ، ولا يتكبدون مصروفات مقابل تقديم هذه الخدمة للدولة .

ويمكن إصدار كثير من الشهادات حسب اختلاف قيمة القروض وفتراتها . إذ يمكن تحديد قيمتها من ١٠٠ روية إلى ١٠ ملايين روية ، وتمتد فتراتها من يوم وليلة إلى شهر أو ثلاثة أشهر أو أكثر . حتى ثلاثة أعوام . وإذا اقتضى الأمر إصدار شهادات بأقل من ١٠٠ روية فلا غشاضة أن يقر من حيث المبدأ . إذا اقتضى الأمر ذلك ، كأن تكون بعض القروض مستحقة السداد عند الطلب بدلاً من نهاية المدة المقررة ، وأن تتضمن ذلك شهادة القرض . وإصدار مثل هذه الشهادات ربما يؤثر على المبالغ المدخرة في حسابات القروض في البنوك التجارية التي ترتبط بها مصالح عامة كثيرة . ولذلك . فليس من المفضل أن تصدر الحكومة القروض واجبة السداد عند الطلب . ويجب إصدار شهادات القروض قصيرة الأجل بكميات تقابل حاجات الدولة في الاقتراض ، على أن تكون واجبة السداد بعد مدة معينة . ويجب أن تكون الحكومة هي الجهة الوحيدة المصدرة لهذه الشهادات . ولها وحدها حق بيعها^(٧) .

ويجب ألا يسمح للمواطنين والمؤسسات بيع وشراء أو نقل ملكية هذه الشهادات . وعدم وجود الربا يمنع احتمالات المساومة في هذه الشهادات أو نقل ملكيتها بأسعار أقل أو أعلى مما هو مسجل في الشهادات ، ومن ثم . لا يكون هناك حافز إقتصادي لبيع وشراء هذه الشهادات ، إذ أن أسعارها سوف لا تتذبذب ، وإقتراح عدم السماح ببيع أو شراء هذه الشهادات ، هو أسلوب وقائي لمنع فتح أبواب التعامل الربوي .

ويمكن تقديم شهادات القروض كضمان عند طلب قروض من البنوك أو الأفراد ، إذ لا بد من تقديم ضمانات عند الحصول على قروض من البنوك لغرض تجاري أو خلافة . وسوف يستفيد الجمهور من وجود هذه الشهادات . ويجب أن تشترط البنوك التجارية أن تكون هذه الشهادات المقدمة كضمان واجبة السداد قبل أنقضاء موعد سداد الدين الذي قدمه البنك ، أو بعد الموعد بمدة وجيزة جداً . وعلى البنوك أن تحصل على موافقة خطية من المدينين يبين فيها للبنك - في حالة عدم سداد الدين - الحق في تقديم الشهادات للحكومة وإسترداد قيمتها . وطرح شهادات القروض بفئات قليلة سيساعد الأفراد والمؤسسات في الرغبة للحصول على قروض لاروية من البنوك ، بأن تقدم الشهادات التي إقترب موعد سدادها كضمان مقابل الحصول على هذه القروض .

وحاجة الحكومة للإقتراض . . في إقتصاد متقدم . . مستمرة ، والوسيلة العملية لمواجهة هذه الحاجة ، هي أن تقوم بإصدار شهادات جديدة كل أسبوع أو كل عام . وعليها أن تقوم بوضع الترتيبات لبيع هذه الشهادات حسب حاجتها للإقتراض . وإذا كانت القروض المطلوبة أقل من المبالغ المتوافرة . فيمكن الإستعانة بالدافع الأخلاقي بجانب المزيد من الإعفاءات الضريبية .

٧ - إن إستعمال كلمات بيع وشراء هو لغرض التيسير . فإن تقديم القروض هو بمثابة شراء شهادة القرض . وليس بشراء للورقة التي كتب عليها القرض . وإذا فقدت هذه الشهادة مثلاً فإن صاحب الشهادة يمكن أن يستعيد مبلغه بإبراز صورة الشهادة التي يمكن أخذها من السجلات الحكومية .

لقد أوضح المؤلف - فى الفصل السابق - أن البنك المركزى سيمنح قروضاً للبنوك التجارية مقابل ما تمنحه من قروض . وأشار كذلك إلى أن النسبة بين هذين القرضين ، تسمى نسبة الاقتراض . فإذا ما قامت البنوك التجارية بشراء بعض شهادات القرض . أي قدمت قروضاً للحكومة ، فيمكن إبراز هذه الشهادات عند رغبتها فى الاقتراض من البنك المركزى ، على ضوء نسبة الاقتراض السائدة . ويمكن زيادة نسبة الاقتراض لشهادات القروض الحكومية - إذ دعت الحاجة - بنسبة أعلى من نسبة القروض الممنوحة للقطاع الخاص .

ولا يؤدي - مثل هذا الاجراء - إلى نقص المعروض من القروض للقطاع الخاص . إذ أن لدى البنوك التجارية مصلحة خاصة فى إقراض عملائها ، لأن القروض قصيرة الأجل التى تمنح إلى رجال الأعمال الذين يتعاملون مع البنوك التجارية فى أخذ أموال على أساس المضاربة ، ستؤدي إلى زيادة ربح مشروعاتهم . ويمكن للبنك المركزى أن يقوم بإدارة نسبة الاقتراض المطبقة على القروض المقدمة للقطاعين - الخاص والعام - على نحو يضمن تدفق القروض على هذين القطاعين - على أن تعطى الأولوية للقطاع الخاص - ويوجه الفائض من هذه الأموال إلى القطاع العام .

ولسنا بحاجة هنا لمناقشة تفاصيل كيفية إعادة سداد هذه القروض بواسطة الحكومة . . إذ يمكن أن تستعين الحكومة بالفوائد الناجمة من مشروعات التنمية أو الأرباح . من المشروعات المملوكة من هذه القروض ، أو بالإيرادات الضريبية . ويمكنها الحصول على قروض جديدة . وباختصار : فإنه إذا لم تتحقق الأرباح المتوقعة فى مشروعات القطاع العام ، أو عندما تكون مشروعات التنمية فى مراحلها الأولى . فإن الاعتماد على تعبئة قروض جديدة ، سيكون الوسيلة الأساسية لتسديد القروض ، بالإضافة إلى فرض مزيد من الضرائب . ويجب على الحكومة « إذا عادت الأمور إلى نصابها » أن تقوم على الدوام بسداد قيمة أعلى - من القروض - مما تقوم بطرحه كل أسبوع أو كل عام . وبخاصة إذا تحصلت على موارد مالية عالية من مشروعات التنمية . . تمكنها من تخفيف عبء الدين العام . وتتمكن بذلك من جعل الطرح الجديد أقل من القروض الواجب سدادها .

وعندما لا تستطيع الحكومة مواجهة التزاماتها من القروض المتوفرة من الجمهور . أو إذا زادت القروض الواجب سدادها على الموارد المالية المتدفقة من القروض الجديدة . فيمكن أن تلجأ الحكومة فى مثل هذه الحالة إلى التمويل بالعجز . والحل العملي هو بيع شهادات القروض للبنك المركزى (الذى سيقوم بإصدار نقود جديدة مقابل هذه الشهادات) لإيداعها فى حسابات الحكومة بالبنك المركزى . ويمكن أن يكون البنك المركزى أداة لتمويل الحكومة باحتياجاتها الطارئة . نتيجة لعدم التوافق بين نفقات وإيرادات الدولة . وتقدم الحكومة - لهذا الغرض - شهادات القروض لمدة أسبوع أو كحد أقصى ثلاثة أشهر . تقدم إلى البنك المركزى الذى يقوم ببيعها للجمهور . وإذا لم يشتري الجمهور بعض هذه الشهادات . فإن البنك المركزى ملزم أن يشتري هذه الشهادات بإصدار نقدي جديد .

وإذ رغبت الحكومة في أن تكون نفقاتها العامة أقل من إيراداتها (أي بدلاً من أن تلجأ إلى سياسة التمويل بالعجز . تلجأ إلى التمويل بالفائض) ففي مثل هذه الحالة تقوم بسحب شهادات القروض من البنك المركزي وتسدد له المبالغ نقداً ، أو بالتحويل من حسابات الحكومة إلى حسابات البنك المركزي ؛ وفي كلتا الحالتين سيكون هناك انخفاض في كمية النقد المتداول .

وإذا لم تتمكن الحكومة - برغم هذه الإجراءات - سد احتياجاتها من القروض . فلها أن تلجأ إلى استعمال المدخرات الصغيرة التي في مكاتب البريد . بإقامة حسابات قروض قصيرة الأجل . وتكون هذه الوسيلة مفيدة وتيسر على الجمهور الإدخار . ولاداعي للخوض في تفاصيل إجراءات الإدخال في بنوك التوفير المعروفة في هذا المقام . والحكومة سوف لا تقوم بدفع فائدة على هذه المدخرات . إلا أن لها أن تمنح المدخرين بعض التسهيلات التي تجعل الإدخار في مثل هذه الودائع أمراً مرغوباً فيه . فبجانب الدفع عند الطلب والضمان المتوافر في هذه الحسابات . فإن الحكومة يمكنها أن تسمح بتحويل المبالغ من حساب إلى آخر . وتعرف هذه الطريقة في الدولة المعاصرة بـ « نظام الجايرو GIRO »^(٨) .

وبالإضافة إلى ذلك . . يمكن للحكومة أن تقوم مباشرة باستغلال مدخرات الجمهور على أساس المضاربة . بإنشاء بنوك تجارية لها فروع في كل أنحاء البلاد . ولم تناول مناقشتنا السابقة موضوع القروض الأجنبية . . إذ أن المفترض في هذه الدراسة أننا نتعامل مع إقتصاد مغلق . ليست له صلات خارجية . وهذا الافتراض . . ينافي الواقع العملي . إلا أن تبسيط عرض المراحل الأولية للنظام . . يفرض علينا ذلك . وهناك كثير من المسائل ذات الصلة بالتجارة الخارجية والمعاملات المتصلة باستثمار رؤس الأموال في الخارج ينبغي دراستها بصفة مستقلة . وتمت مناقشتنا لطبيعة أسهم المشاركة في المؤسسات الحكومية . وأسهم المضاربة الحكومية . وشهادات القروض . . وعلاقتها بالنظام المصرفي بصورة موجزة . برغم ما تحتاجه من مناقشة تفصيلية . وفي هذا المقام : نشرح بإيجاز . . الوظيفة العامة لهذه الأسهم والشهادات في نظام مصرفي لاربوي .

شهادات القروض الحكومية والنظام المصرفي :

إن نسبة القروض التي يمكن للبنوك التجارية أن تحصل عليها من البنك المركزي مقابل القروض التي تمنحها للحكومة ، ستكون أعلى من نسبة القروض الأخرى . ولذلك . . فإن البنوك التجارية ستحتفظ بعدد أكبر من شهادات القروض في خزائنها كأرصدة سائلة ، ويمكنها أن تحتفظ بعدد من شهادات القروض

٨ - هذه الطريقة مستخدمة في ألمانيا والسويد وفي سويسرا . فإذا رغب صاحب حساب لدى مكتب البريد بتحويل مبلغ إلى حساب شخص آخر . فإن مكتب البريد سوف يستجيب لذلك الأمر . . وإن كان حساب ذلك الشخص المحول له المبلغ في مكتب بريد أو أي بنك آخر ، (أنظر ص ٦٢ و ٦٦) . من كتاب أعمال المصارف في أوروبا للمؤلف ر . س . سيرز .

التي تحمل تواريخ سداد متفاوتة ، وعند الحاجة يمكن إستخدام هذه القروض للحصول على نقد من البنك المركزي ، وبخاصة أن البنوك التجارية لا ترغب في شراء شهادات طويلة الأجل . وستكون قيمة شهادات القروض المشتراة أقل من قيمة الشهادات واجبة السداد عندما تكون البنوك التجارية بحاجة إلى القروض . فالبنوك التجارية ، ستشتري شهادات جديدة بقيمة شهادات القروض التي إستحققت السداد ، وربما تقل قيمة الشهادات الجديدة المشتراة أو تزيد على سابقتها . وتعتمد كمية المبالغ المخصصة من كل بنك لشراء شهادات قروض حكومية . . على تقدير البنك المعين وعلى أهمية اعتبار السيولة مساوية للربح الناتج من تقديم القروض التي يقدمها إلى رجال الأعمال .

وسوف تنتهج البنوك سياسات مختلفة ، في أوقات مختلفة ، وسيكون التقدير الرئيسى هو تقدير الطلب على القروض من المشروعات . وحاجة البنك إلى النقد في الأمد القريب . ويجب أن تكون هناك خبرة عملية تحكم الحد الذي يجب أن يوضع لنسبة الإقتراض لشهادات القروض الحكومية ، ونسبة الاقتراض العامة .

وكما أشرنا من قبل ، فإن البنك المركزي عندما يقرر هذه النسبة ، سوف لا يضع في الحسبان زيادة الموارد المتجهة من البنوك التجارية إلى شراء شهادات القروض الحكومية فحسب ، إنما أيضاً مصلحة رجال الأعمال والبنوك التجارية وحاجة المشروعات للقروض ، بل وحاجة المستهلكين والمصلحة العامة . وسوف تصبح شهادات القروض الحكومية أداة مهمة من أدوات السياسة المالية للدولة . ووجود مثل هذه الشهادات . . إلتهاج لسياسة فائض وعجز الميزانية العامة . . إذ يمكن للحكومة الحد من الطلب الفعال بزيادة مبيعات هذه الشهادات . أو زيادة الطلب الفعال بسداد القروض . أو بيع كمية أقل مما ستقوم بسداده .

أسهم الشراكة في المؤسسات الحكومية والنظام المصرفي :

كما أشرنا في الفصل الخامس إلى أن البنوك التجارية يجب أن تشتري أسهم المشاركة كاحتياجات ثانوية بجانب الرصيد النقدي . ذلك لأن هذه الأسهم تحمل مخاطرة خسارة مقابل إمكان بيعها وتحويلها إلى نقد .

وإحتمال مخاطرة الخسارة أمر نظري . إذ أن التقلبات - في معدل الربح المتوقع - تحدث بعد فترة معينة ، ويمكن أن تكون اسهم المشاركة في المؤسسات الحكومية مصدر ربح للبنك بجانب تحقيقها للسيولة ، فإذا لم تكن هناك مخاطرة خسارة سوف لا تنخفض أسعار هذه الأسهم بأقل من سعرها الاسمي . بل هناك إحتمال لإرتفاع أسعارها في حدود معقولة . وإذا كانت البنوك التجارية في حاجة إلى نقد ، فإنها ستقوم ببيع الأسهم في السوق للحصول على ربح أو تبيعها على الأقل بخسارة ضئيلة . أما فيما يختص بالأسهم التي لم تقم البنوك التجارية ببيعها ، فتحصل منها على أرباح . يمكن إستخدامها لشراء المزيد من الأسهم من الحكومة . أو استعمالها في إستخدامات أخرى . كما يمكن للبنوك - عن طريق شراء المزيد

من أسهم المشاركة - أن يكون لها دور مهم في إدارة مؤسسات القطاع العام . وتحمي مصالحها في هذه المؤسسات . وسيكون هذا حافزاً قوياً للبنوك التجارية . وهذه الأسهم تمثل أيضاً مصدراً مهماً يمكن أن تستثمر فيه البنوك التجارية .

وعند الضرورة يمكن للبنك المركزي أن يلزم البنوك التجارية = بموجب لوائح يصدرها ، أن تحدد نسبة من حسابات القروض والودائع لشراء أسهم المشاركة في المؤسسات الحكومية . وذلك لتأمين سيولة النظام المصرفي وحماية مصالح أصحاب الودائع . والمؤلف يرى عدم اللجوء إلى ذلك عند بداية تجربة المصارف اللاربوية ، وأن يترك للبنوك التجارية الخيار في ذلك . فإذا استطاعت الحكومة أن تحافظ على قيمة أسهم المشاركة في المؤسسات الحكومية بضمان نجاح مؤسسات القطاع العام وإستقرار أسعار الأسهم في السوق . فإن من المتوقع أن تستعمل البنوك التجارية هذه الأسهم كاحتياطات ثانوية . والأفضل أن تتقرر نسبة الإحتياطي الثانوي في البنوك التجارية على ضوء تجارتها وأعرافها .

ويمكن للبنك المركزي (كما شرحنا في الفصل السابق) أن يتخذ بيع وشراء الأسهم الحكومية وسيلة لزيادة أو تخفيض حجم النقد المتداول ، ويستطيع زيادة كمية النقد المتداول بأن يحافظ على أن تكون نسبة شراء الأسهم أكبر من نسبة بيعها .

أسهم المضاربة الحكومية والنظام المصرفي :

ولعدم إمكان بيع هذه الاسهم في السوق . يكون دور هذه الاسهم في النظام المصرفي محدوداً . فعندما يرغب البنك المركزي في الإحتفاظ ببعض الأسهم في خزائنه حين إنقضاء موعد سدادها . فإن له أن يقوم بشراء أسهم المضاربة . إلا أن ذلك لا يدفع البنوك التجارية لشراء أسهم المضاربة العادية لعدم وجود مخاطر خسارة في الأولى . وتمنح هذه الاسهم فائدة قليلة للبنوك من حيث السيولة . وإذا ثبت من خلال التجربة العملية أن عائداً معقولاً يأتي من أسهم المضاربة الحكومية . فستستثمر البنوك جزءاً من أموالها في هذه الأسهم . ويمكن تقديم أسهم المضاربة (كما هو شأن الارصدة الثانوية) كضمان بوساطة المؤسسات أو الذين يقترضون من البنوك . إذا كان موعد إنقضاء هذه الأسهم يطابق أو يقارب موعد سداد القروض . وستكون أسهم المضاربة مناسبة لصغار المدخرين . . لإيداع مدخراتهم في ودائع المضاربة بالبنوك التجارية .

ووجود هذه الأسهم والشهادات بكميات كبيرة . يساعد ضبط النظام النقدي للدولة وتصبح هذه الأسهم أداة يمكن إستعمالها لتقديم ضمانات مقابل القروض . إلى جانب تحقيقها للأرباح من المدخرات . ويمكن أن تكون ذات فائدة للبنوك التجارية التي تستخدمها كجزء من إحتياطياتها الثانوية . أو كأصول مأمونة ومرجحة . أو كوسيلة أيضاً للحصول على قروض من البنك المركزي . ولبنك المركزي أن يستخدمها كوسيلة لتنفيذ سياسته . . من خلال البنوك التجارية . . ولتنفيذ سياسته النقدية .

الفصل الثامن

القروض المقدمة إلى المستهلكين

إن ماسبق عرضه فيما يتعلق بالنظام المصرفي اللاربوي ، لم يتطرق إلى الإجراءات الخاصة بتقديم قروض للمستهلكين . وكما تجاهلنا - عند مناقشة تقديم القروض إلى الحكومة - مصادر التمويل العامة الأخرى ، فإننا كذلك لم نقوم بدراسة متكاملة لنظام الضمان الاجتماعي ، وكيف يمكن أن تلبي مطالب ذوي الحاجات في المجتمع الإسلامي . ولا يمكن إجراء دراسة لتقديم قروض لاربوية للمستهلكين الذين يرغبون عن الاستثمار بصورة متكاملة ، إلا بدراسة نظام الضمان الاجتماعي . وفيما يلي نشرح مسألة تقديم القروض للمستهلكين ، متفادين - إلى أبعد الحدود - المشكلات المتعلقة بهذا الموضوع .

حاجات المستهلكين :

يمكن تقسيم طالبي القروض الاستهلاكية إلى فئتين :-

الفئة الأولى : الذين لا يملكون أصولاً ثابتة . . . أو مصدر دخل يمكنهم من سداد هذه القروض ، مما يجعل مساعدتهم مالياً أفضل من مساعدتهم عن طريق تقديم القروض . وعلى الدولة الإسلامية أن تساعد هؤلاء ، أما البنوك التجارية فيجب أن تقدم القروض إلى المستهلكين الذين تضمن مقدرتهم إعادة المبالغ المقرضة .

الفئة الثانية : الذين يملكون أصولاً ومصدراً للدخل ، إلا أنهم في حاجة إلى قروض مؤقتة . . لمقابلة حاجاتهم العاجلة ، ويمكنهم إعادة هذه القروض من دخولهم في المستقبل .

ويمكن تقسيم الحاجات إلى : حاجات أساسية ، وحاجات ثانوية . فالحاجات الأساسية هي الضرورية لبقاء الإنسان ، مثل : الطعام ، واللباس ، والعلاج ، والسكن ، والتعليم . وما لم تتوافر هذه الحاجات الأساسية ، فليس من الممكن توفير حياة كريمة . . . وهناك الحاجات الأساسية الثانوية ، التي يكون توفيرها ضرورياً لتوفير حياة سعيدة . لأن الإنسان إذا لم يتمكن من شحذ جميع طاقاته . . لا يستطيع أن يلعب دوراً فعالاً في محيطه الاجتماعي ، وربما يتخذ موقفاً سلبياً في حياته ، مما يوسع دائرة الفقر في المجتمع . إن رفاهية الأفراد والمجتمعات تستلزم توافر الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع ، حسب معيار محدد . فلا بد من توافر بعض الأدوات المنزلية التي تجعل الحياة سهلة ميسورة ،

مثل : المنزل المريح . الأثاث . والأدوات الكهربائية ؛ كالمراوح والمكيفات والغسلات والثلاجات وماكينات الخياطة ، والسيارة . . . وما إلى ذلك . وهناك عدد من هذه الحاجات ، نذكر منها على سبيل المثال : الرغبة في تعليم الأبناء بإلحاقهم في دراسات عليا ، أو إهداء البنت عند زواجها بعض الأدوات المنزلية ذات الاستخدام اليومي . . . وهلم جرا . والحاجة هنا تعني جعل الحياة سهلة مسيرة . . . والأدوات التي تجعل الحياة مسيرة يسميها الاقتصاديون (أدوات الراحة) ويسميها الإمام الشاطبي (الحاجيات) ، أي الحاجات الثانوية ، وتأتي عنده بعد الحاجات الضرورية . ويقرر أن توفير هذه الحاجات حسب ضرورتها يقع ضمن مقاصد الشريعة^(١) .

ويسعى الفرد لتلبية إحتياجاته من جهده ودخله ، إلا أن المجتمعات الإسلامية ، ثم الدولة الإسلامية - كما ذكرنا من قبل - مسؤولة عن إتخاذ التدابير اللازمة لتوفير الحاجات الأساسية للذين لا يستطيعون توفير هذه الحاجات بأنفسهم . . . إما لعجز ، أو لظروف قهرية . إن بعض الأفراد ينجحون (كما ذكرنا) في توفير حاجات أسرهم الأساسية والثانوية من دخولهم ، والبعض لا ينجح . ولم يضع العلماء المسلمون ، مسؤوليات محددة لتأمين ما ينقص من هذه الحاجات ، إلا أن مقاصد الشريعة توضح أن المجتمع والدولة يجب أن يعملوا (في ظل الموارد الاقتصادية المتاحة) على تأمين هذه الحاجات لكل فرد ، فالأفراد الذين تتوافرهم مثل هذه الحاجات يصبحون طاقات مفيدة للمجتمع .

مصادر القروض :

ونعود الآن فنجيب عن سؤالنا : كيف يمكن أن نوفر القروض لمن لديهم بعض الأصول ومصدر للدخل . . . وهم بحاجة إلى بعض المبالغ لفترة مؤقتة لمواجهة حاجاتهم ؟ إن مسؤولية منح القروض لتأمين الحاجات الأساسية للأفراد . . . من إختصاص بيت المال . ويجب أن يعمل جميع أفراد المجتمع على توفير القروض لمقابلة هذه الحاجات بإنشاء جمعيات خيرية ، أو تعاونية ، لتعبئة الموارد المالية . وجمع المدخرات الصغيرة شهرياً .

إن بنوك التوفير ، وشركات التأمين ، والمؤسسات التعاونية الأخرى التي تهدف إلى الربح . . . يمكن أن تقوم بدور إجتماعي كبير ، ويجب أن تقوم الدولة بتأمين القروض التي تعجز الجمعيات التعاونية عن تقديمها ، بإنشاء صندوق خاص يقدم له المحسنون القروض الحسنة ، أو أموال الصدقات ، وكذلك جزءاً من إيرادات الزكاة والعشر . وتقدم القروض لأجل محدد للمحتاجين على ضوء دراسة لأحوالهم مقابل تقديم ضمانات .

١ - أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة . المجلد ٤ : المكتبة التجارية الكبرى - مصر -

وبعض العلماء يرون : أن أصحاب المصانع . وأرباب الأعمال ، عليهم أن يوفر القروض لموظفيهم المحتاجين . وتسترد هذه القروض من رواتبهم على أقساط . ويمارس هذا . . بشكل محدود . . . في الإقتصاديات المعاصرة .

ويمكن أن تستخدم صناديق المعاش (معاشات التقاعد) أو فوائد ما بعد الخدمة (كما هو الحال في بعض المؤسسات) لتقديم مثل هذه التسهيلات . ويجب أن توضع الضوابط التي تحفظ حقوق أصحاب المصانع والمستخدمين ، ويمكن إسترداد هذه القروض بسهولة ومثل هذه القروض ليست قاصرة على توفير الحاجات الأساسية بل تمتد لتشمل القروض . . مقابلة الحاجات الثانوية .

ولابد من ذكر بعض النقاط المتعلقة بالحاجات الثانوية ، مثل : إقتناء المنزل ، أو شراء بعض السلع المعمرة مثل : الأثاث ، والأدوات الكهربائية ، والسيارات . . . وماشابه ذلك . فإقتناء منزل في بعض الأحيان يكون حاجة أساسية ، ويحتاج بناؤه إلى موارد مالية ضخمة تستلزم أن تتضافر جهات عدة لتقديم القروض لبنائه ، ولابد من أن تتحمل الدولة بعض المسؤوليات . ويمكن أن تنشئ الدولة مصلحة خاصة لهذا الغرض ، تكون تابعة لمصلحة الضمان الاجتماعي ، وتقوم بتوفير القروض للمحتاجين . . . بعد التأكد من حاجتهم ومقدرتهم على سداد القرض ، بعد وضع الإجراءات والضوابط الكفيلة بإعادة القروض ، ويمكن رهن المنزل حين سداد القرض . ويمكن الإستعانة بالقروض من المؤسسات التعاونية وأرباب الأعمال . وأصحاب المصانع ، والبنوك التجارية . . لهذا الغرض .

وتلعب الدولة دوراً في توفير القروض لشراء السلع الاستهلاكية المعمرة ، وستعرض لها عند الحديث عن دور البنك المركزي في توفير القروض الاستهلاكية .

القروض المقدمة من البنوك إلى المستهلكين :

إن البنوك هي مؤسسات تجارية تهدف إلى تحقيق الربح (وتعرضنا بالتفصيل - في الفصل الرابع - إلى حدود هذه البنوك في تقديم قروض بدون فوائد) وهذه المؤسسات التجارية تمنح الأسبقية في تقديم هذه القروض على الأفراد . . إذ أن مسؤولية البنوك التجارية في تقديم قروض إستهلاكية . . . محدودة .

حق السحب على المكشوف :

وأول صور ذلك . . أن للمودع الحق في السحب على المكشوف بقدر ما أودعه في البنك . . أو أكثر ، وذلك لمدة محدودة ، وعند الضرورة يمكن أخذ ضمان مقابل هذا السحب .
لاتواجه البنوك مشكلة في منح قروض قليلة . . إلى من تثق فيهم من عملائها ، وهناك ضرورة لوضع سقف لمثل هذه القروض على أساس متوسط مايقوم الشخص بإيداعه من مبالغ في الشهر أو الاسبوع في حسابه .

ولابد من أن تقدم هذه القروض لمقابلة حاجات أساسية ثانوية ، وإذا كانت القروض لمقابلة حاجات ثانوية ، أو رغب صاحب الحساب شراء بعض السلع المعمرة ، فعلى البنك أن يمكنه من ذلك ؛ بالسماح

له بالسحب على المكشوف لحد معين ، وللبنك - على ضوء الظروف التي تحيط به - أن يجدد حجم هذه القروض ، ويمكن أن تنتهج البنوك سياسات مختلفة في هذا الصدد ، فبعضها ربما يسمح بالسحب على المكشوف لشراء سيارات مثلاً ، أو يسمح بغير ذلك .

إن السماح بالسحب على المكشوف ، يدفع بعض الجمهور بإيداع مدخراتهم في البنوك ، حتى يتمكنوا - عند الضرورة - بالاستفادة من هذه التسهيلات ، وسحب مبالغ ربما تزيد عن ودائعهم . ويمكن أن تؤدي تسهيلات السحب على المكشوف إلى زيادة الودائع في حسابات القروض ، مما يؤدي إلى دعم النشاط التجاري ، وتزيد مقدرة البنوك - إلى حد معين - لتقديم القروض إلى المستهلكين .

إن القروض التي تقدمها البنوك إلى المستهلكين ، سوف تبنى على أساس النسبة المقررة لتقديم القروض بشكل عام ، وتستطيع البنوك التجارية أن تسحب قروضاً من البنك المركزي . . . بموجب اللوائح التي تحكم القروض بشكل عام ، مقابل ما تقدمه هذه البنوك من قروض إلى المستهلكين . وبذلك تستفيد البنوك من أن القروض التي قدمتها للمستهلكين لها من قبل البنك المركزي ، ولأن المقرضين هم أصحاب ودائع . . . فهذا يضمن إعادة الأموال المقرضة . أما إذا عجز صاحب الحساب عن الدفع نتيجة إفلاس أو فقر مدقع أو وفاته دون ترك ثروة أو لأي سبب آخر من هذا النوع . فعلى الدولة الإسلامية أن تتحمل ديون هؤلاء ، وعليها أن تتأكد من أن البنك قد قام باتخاذ الإجراءات اللازمة قبل تقديم هذه القروض ، وأن عدم السداد ليس نتيجة تقصير أو إهمال من جانب البنك .

والمبرر لهذا الاقتراح : هو أن إعطاء مسؤولية منح القروض اللاربوية للبنوك التجارية ، يستلزم ضمان إسترداد مثل هذه القروض ، وهذه القروض وهذا الضمان لا يمكن أن يتأثبا إلا من جانب الدولة ، وفي غيابها . . . فإن تقديم مثل هذه القروض يصبح أمراً غير ممكن في النظام المصرفي اللاربوي - كما سبق شرحه في الفصل الرابع .

إن وضع مسؤولية سداد الديون الهالكة . . . على كاهل الدولة الإسلامية . . . ليس أمراً مستحدثاً ، إذ أن من مصارف الزكاة والعشر ما يقدم للغارمين . . . أي للمقرضين الذين لم يتمكنوا من سداد قروضهم . وسداد مثل هذه القروض في عصر الرسول ﷺ كان من بيت المال . فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه من قضاء ؟ فإن حدث أنه ترك وفاءً . . . صلى الله عليه وسلم ، وإلا قال : « صلوا على صاحبكم » فلما فتح الله ﷺ عليه الفتوح قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته » (٢) .

٢ - مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - حديث رقم ٩٩٩ - الكويت - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . إحياء التراث الإسلامي . مجلد ٣ : كتاب الفرائض . ص ٢٣ .

وكان الرسول ﷺ يتحدث كإمام للدولة المسلمة ، وبالإضافة إلى ذلك فهناك قاعدة معروفة ، وهي تركة من يموتون - وليس لهم وريث ، أو لم يثبت وراثتهم - تودع في بيت المال ، وتستعمل بصورة مباشرة لمقابلة الديون الهالكة .

شهادات البيع :

وهناك وسيلة أخرى لإقراض الراغبين في شراء سلع معمرة بالتقسيط ، مثل السيارات . . . وخلافه ، وهي أن يعطى المقرض شهادة للبائع ، ويقوم البنك بصرف قيمة هذه الشهادة كما هو الحال في السحب على المكشوف ، وتتضمن الشهادة وضعاً تفصيلياً للسلعة من حيث تكلفتها ، وإجراءات دفع السلعة ، وإسم وعنوان كل من البائع والمشتري . ويحتفظ البائع بهذه الشهادة ويقوم - كما ذكرنا بصرفها من البنك - أي أنه سيسحب القيمة المقيدة للسلعة في الشهادة كاملة . ويحتفظ البنك بحق مراقبة السلع المشتراة على هذا النحو ، ليضمن استرداد قيمة هذه السلع . وفي حالة فشل المشتري عن سداد المبلغ ، فإن للبائع الحق في تقديمه للمحكمة لتقوم بمصادرة السلع . . . وتستعيد قيمتها . والفرق بين هذه الوسيلة والقروض المقدمة من البنوك ، وهو : أن الاستفادة من القروض تنحصر في أصحاب الودائع بالبنوك . وعلى الحكومة أن تنظم البيع بالتقسيط . والمصدر الرئيسي لتوفير الائتمان للمستهلكين ورجال الأعمال والحكومة هو الودائع تحت الطلب ، وتعتمد نسبة القروض الموجهة إلى كل قطاع من هذه الودائع على عدد من العوامل - « أولاً » : نسب الاقتراض التي يحددها البنك المركزي حينما يشرع في مد البنوك التجارية بالقروض مقابل القروض التي تقدمها - ربما بنسب مختلفة - للفتات المختلفة ، كالمستهلكين ورجال الأعمال والحكومة . ويمكن أن تعدل هذه النسب من حين إلى آخر لضمان التوزيع العادل للقروض اللاربوية . . « وثانياً » : إن البنوك - وهي حريصة على تحقيق الربح وتأمين السيولة ، يتوقع منها أن تنتهج منهجاً واقعياً ، أو أن تساعد في توفير القروض اللاربوية . وإذا دعت الضرورة . . فيمكن أن يحدد البنك المركزي كمية القروض التي يجب أن توجه إلى كل فئة . وفي رأينا : إن التوسع الكبير الذي نشاهده اليوم في القروض الاستهلاكية . . أمر غير مرغوب فيه ، ولا يتسع المقام بنا هنا لتعدد المساوئ الناجمة عن نظام البيع بالتقسيط المنتشر في الدول المتقدمة . وبخاصة الولايات المتحدة .

إن هذا الأسلوب قد أوقع كل أفراد المجتمع تحت شرور الربا ، وحول معظم دخول الفقراء إلى الأغنياء في المجتمع ، بصورة لم يشهد لها تاريخ الإنسانية مثيلاً ، ويتحمل المستهلكون - بالرغم من مراقبة الدولة والاجراءات الحازمة - أعباء ثقيلة في شكل فوائد على الديون^(٣) . وكثير من المبالغ يدفع لمقابلة سداد

٣ - إن سعر الفائدة بين ٢ إلى ٣٪ في الشهر . أي ٢٤ إلى ٣٦٪ في العام على الرصيد المتبقي أصبح اليوم أمراً شائعاً . وما تزال هناك فئات جشعة من المقرضين ، تقرض بفئات عالية جداً تتراوح ما بين ٢٠ إلى ٤٠٪ في الشهر .

Paul M. Horvitz: Monetary Policy and the Financial System. Prentice Hall Inc., New York, 1963, p. 147.

وذكر كاتب آخر أنه فيما يتعلق بالأمور المرتبطة بسعر الفائدة فإن الحقائق تكاد لاتنصدق ، فإن حوالي عشرة إلى خمسة عشر ولاية سنت في الأربع أو الخمس سنوات الأخيرة تشريعات تحدد السقف الاعلى لسعر الفائدة على أقساط -

خدمة المصروفات الإدارية المتعلقة بهذا الدين . . . والفوائد ، وهكذا . . . فإن جزءاً غير يسير من دخل المستهلك العادي ينفق في مقابلة ديون القروض وأجور خدماتها . وفي سبيل أن يحصل على السلع بسرعة ، فهو مستعد لدفع مبلغ ١٠٠ روية مثلاً مقابل سلع تستحق ٧٥ روية فقط .

وأحد عيوب هذا النظام . . . أنها تدفع الأفراد لينفقوا بإسراف وفوق طاقتهم . وإن الدعاية غير المنضبطة . . . المنتشرة في الولايات المتحدة والدول المتقدمة الأخرى ، تلعب دوراً كبيراً في إشتار مثل هذه الشرور ، وهذه الدعاية - بما تملكه من وسائل التأثير النفسي في نفوس المستهلكين - تحدث آثاراً عميقة ، تدفعهم إلى إستهلاك السلع غير الضرورية ، وهكذا . . . يجد المستهلك أن عليه أن يشتري من السلع عن طريق وسائل الدفع المتيسرة ما لا يستطيع شراؤه نقداً . والمستهلكون في مطلع حياتهم العملية يكبدون أنفسهم بمشتريات ترهقهم أقساطها لفترة طويلة ، في الوقت الذي تزداد فيه حاجاتهم وعليهم مقابلتها بما تبقى لهم من دخل . ونتيجة لذلك . . . فإن هؤلاء يعيشون في دوامة مستمرة للسعي لزيادة دخولهم ، أو أن يتجاهلوا الحاجات الحاضرة ويقوموا بسداد الأقساط في ميعادها ، مما يؤثر على مقدرة هؤلاء الأفراد في العمل البناء .

ومن وجهة نظر المجتمع : فإن نظام البيع بالتقسيط يكلف المجتمع موارد توجه لضبط حسابات الأقساط وجمعها ، وإتخاذ الإجراءات القانونية ضد الذين لا يقومون بدفع الأقساط أو إسترداد السلع المباعة إذا دعا الحال . ولا يحتوي البيع نقداً على مثل هذه العيوب . . . إلا أن هناك بعض الفوائد للشراء بالتقسيط بالرغم مما يحدثه من آثار سيئة ، وإهدار للطاقات الإنسانية . ويؤدي البيع بالتقسيط في الإقتصاد ككل إلى زيادة كبيرة في الطلب ، مما يشجع التوسع الصناعي . . . إلا أنه إذا إنخفض الشراء بالتقسيط ، فإن ذلك يؤدي إلى إنخفاض الطلب الفعال . وبواجه الإقتصاد الكلي إنخفاضاً في الدخل والإنتاج ، وتبدأ موجة الكساد الإقتصادي .

وكما ذكرنا سابقاً : فإن تسهيلات الشراء بالتقسيط وفرت فوائد متعددة للمستهلكين . إذ أنه متى توافرت للإنسان - في بداية حياته العملية - بعض الأدوات التي تستعمل بصورة مستمرة ، مثل : المنزل ، والمواصلات ، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة إنتاجه ، وهذه الزيادة في فعالية الفرد تؤدي إلى زيادة دخله ، ويمكن أن تفيد المجتمع ككل . ومعظم هذه السلع ذات طبيعة تحتاج إلى توفير مدخرات كبيرة ، تستتفز معظم دخول الفرد لفترة طويلة من عمره ، وإذا لم تلَب هذه الحاجات ، فإن فعالية الإنسان تتأثر . والبعض يقول : إن الإنسان يمكن أن يحصل على هذه السلع في مؤخرة فترة حياته . . . أي أنه لاداعي لأن يتحمل الفرد مثل هذه الديون . وهذا القول ، بالرغم من صحته . . . إلا أننا نرى - في

- القروض ، وأن الحد الأدنى المقبول في بعض الولايات هو ٢٠٪ . أما بالنسبة للقروض المدوّرة (المتجددة سنوياً) فإن النسبة تتراوح بين ١٨ إلى ٥٠٪ ، و ١٠٠٪ إذ إنخفض الحساب إلى أدنى حد .

معظم الأحوال - أن الأفضل هو توفير هذه السلع ، على أن يقوم الأفراد بدفع قيمتها في المستقبل ، وذلك لزيادة فعالية الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، لأن سعادته ترتبط بملكية مثل هذه السلع . والهدف الرئيسي : هو إيجاد وسائل غير مشوبة بكثير من النقائص ، والتي يمكن تطبيقها على ضوء التجربة العملية . وإننا لنعتقد أن الإجراءات التي شرحناها ، والمتعلقة بالبيع بالتقسيط ، هي إجراءات محدودة النطاق ، ولا بد من إتخاذ وسائل أخرى . وعلى ضوء الملاحظات السابقة ، فإن الدولة الإسلامية لا بد من أن تساعد المستهلكين لمقابلة حاجاتهم ، وبخاصة بشراء بعض السلع الاستعمال المستمر . ويمكن أن تكون المساعدة في شكل قروض نقدية ، وبخاصة عند شراء منزل ، أو وسيلة مواصلات . أو أن تبني الدولة أسلوباً آخر ، هو : تنظيم عملية بيع السلع للمستهلكين وإستقطاع قيمتها على أقساط يسيرة ، ولا ضرر من تبني الوسيلتين ، وأن تنظم عملية إسترداد قيمة هذه السلع على نحو يكفل مصلحة الطرفين .

فيمكن أن تُسترد المبالغ من الذين يحصلون على رواتب شهرية . . . بأقساط تستقطع من رواتبهم وتحول إلى الجهات الحكومية التي قامت بالبيع ، ويمكن إتخاذ إجراءات أخرى تدبر كيفية إسترداد المبالغ من المستهلكين . ووسيلة ثالثة لمساعدة المستهلكين في الحصول على بعض السلع الأساسية ، هي . . : أن تقبل الحكومة صرف شهادات سلع معينة ، ويقوم البنك المركزي - أو أي مؤسسة أخرى - بذلك ، على أن تقوم المؤسسة بصرف قيمة هذه الشهادات للبائعين ، وتحصيل الاقساط في مواعيدها المحددة من المشتريين ، وهذه الوسيلة تضع مزيداً من الخيارات لمعالجة هذه المشكلة .

ولا بد من وضع بعض النقاط العامة في أذهاننا ، وذلك فيما يختص بدور الدولة الإسلامية الفعال في مجال توفير السلع والمعدات التي يحتاج إليها المستهلكون ، وهي كالآتي - .
أولاً : يسهل على الدولة إسترداد الأقساط - عكس الحال بالنسبة للمؤسسات الخاصة بتعاون أصحاب المصانع وأرباب الأعمال . . بطريقة الدفع من المنيع . بالإضافة إلى ذلك : فإن عدداً كبيراً من المشتريين هم من موظفي الدولة الذين يسهل الاستقطاع من رواتبهم .

ثانياً : يمكن توفير السلع - إلى حد ما - بتخصيص جزء من المبالغ المرصودة في الميزانية العامة للخدمات الاجتماعية .

وكذلك يمكن زيادة هذه المبالغ من الأرباح الناتجة عن هذه العمليات ، بالإضافة إلى ذلك : فإن عدداً من هؤلاء المستهلكين ، ربما يكونون من بين أولئك الذين يستحقون الزكاة ، مما جعل من الممكن توجيه جزء من أموال الزكاة والعشر لتقديم قروض لشراء سلع معمرة ، ولاتوافر مثل هذه الموارد للمؤسسات الخاصة .

وبما أن توفير السلع المعمرة للمستهلكين هي - في واقع الأمر - خدمة اجتماعية ، بجانب كونها مجالاً للربح . فإن الدولة يجب أن تتحمل مثل هذه المسؤولية .

إن إمتلاك مثل هذه السلع ، يؤدي إلى تحسين فعالية الأفراد فى مجتمعاتهم . ولذلك . . فإن توفيرها يؤدي إلى عدم تحقيق هذا الهدف ، مما يضر بالمجتمع . . ككل ، بجانب ما يخلقه من نقمة هؤلاء المحتاجين . ولا يستطيع رجال الأعمال وحدهم تحمل هذه المسؤولية ، وإشباع هذه التطلعات . . فى نظام لاربوي .

ويمكن أن تتحمل البنوك التجارية بعض هذه المسئوليات . ومن الضروري أن تلعب الدولة الإسلامية . . بجانب البنوك التجارية والجمعيات التعاونية . . دوراً فعالاً فى هذا المجال . وللحد من الترف . . فإن على الدولة أن تعمل على إدارة النظام على نحو يلتزم فيه المستهلكون بمنهج التوسط فى الإنفاق بالرغم من توافر وسائل الدفع المريحة . وبالطبع . . فإن الحكومة ستجد من السهل عليها إحكام اللوائح والنظم المتعلقة بهذا النوع من البيع ، ولا بد من توفير هذه السلع بالأنساق للمتقدمين بناء على حاجتهم الفعلية ومقدرتهم فى الدفع ، وأن تدرس أحوالهم العامة بدقة . ولا بد كذلك من وضع ضوابط تحد من تسهيلات الدفع بالتقسيط ، وأن تراعى البنوك التجارية والمؤسسات الخاصة كذلك . . اللوائح ، والنظم المطبقة فى الأجهزة الحكومية ، لتحديد من مثل هذا النوع من المبيعات .

الفصل التاسع

بعض الايضاحات

تمت فى الفصول السابقة مناقشة النظام المصرفى القائم على أساس المشاركة والمضاربة دون اللجوء إلى فائدة ، وهذا النظام يؤدي جميع المهام التى يقوم بها الجهاز المصرفى فى الاقتصاد المعاصر . وبما أن هذا النظام لم يجرب عملياً ، فلا بد من أن تنشأ شكوك ، وبخاصة أن هناك قضايا مازالت تستحق الدراسة . وفى هذا الفصل سنناقش بعض هذه القضايا ؛ وهي :

- ١ - تدفق المدخرات .
- ٢ - تزويد أصحاب المشروعات برؤوس الأموال .
- ٣ - توفير رأس المال للقطاع العام .
- ٤ - توقعات الربح فى الأعمال المصرفية .
- ٥ - سيولة البنوك .
- ٦ - الدولة والنظام المصرفى اللاربوي .

١ - تدفق المدخرات :

ناقشنا ضرورة إيداع الأموال فى حسابات القروض فى البنوك اللاربوية ، وناقشنا كذلك كيف يمكن أن يتحول الجزء الأعظم من هذه الودائع . . . إلى قروض تقدم لأصحاب المشروعات ، أو إلى إستثمارات . . . على أساس المضاربة . وتدقق المدخرات فى حسابات القروض لا يعتمد على المدخرات فحسب ، إنما يعتمد على عادات الناس الخاصة بإيداع الجزء الأكبر من دخولهم فى الحسابات الجارية ودفع التزاماتهم بشيكات . وإذا أردنا دراسة تدفق المدخرات ، فعلينا أن ندرس ودائع المضاربة - لدى البنوك - التى تكون لمدد أطول (ثلاثة أشهر ، ستة أشهر . . . أو أكثر) والتى لا يمكن إستخدام الشيكات للسحب منها . وتودع فى هذه الحسابات فوائض الأموال ، ويعتمد تدفق رأس المال - فى هذه الحسابات - على ميل الناس للإدخار . وإلغاء الربا لا يضعف هذا الميل للإدخار . . . إذ أن ميل الناس للإدخار تحدده عوامل داخلية ، ومؤثرات خارجية ، ولا تعتمد على أسعار الفائدة فقط ، ويتفق بعض علماء الاقتصاد على هذا المبدأ . فقد عدد كينز « Keynes » ثمانية عوامل داخلية لحوافز الإدخار ، وهي :

- (١) الإدخار لمواجهة لطوارئ والحوادث
 - (٢) الإدخار لمواجهة نفقات المستقبل (كالشيخوخة مثلاً)
 - (٣) الإدخار لمواجهة تعليم الأولاد
 - (٤) الإدخار لمواجهة الإرتفاع التدريجي والمستمر فى مستوى المعيشة .
 - (٥) الإدخار للإحساس بالقوة والإستقلال .
 - (٦) الإدخار للقيام بأعمال تجارية أو المضاربة .
 - (٧) الادخار لعدم الرغبة فى ترك الورثة عالة . والادخار نتيجة البخل .
 - (٨) الإدخار للحصول على فائدة وذلك لأن الاستهلاك لكمية أكبر فى المستقبل يفضل على الاستهلاك لكمية أقل فى الحاضر^(٤) .
- وتحريم الفائدة لا يؤثر على العوامل السبعة الأولى من الثمانية التى ذكرناها ، وأن الرغبة فى الحاجات المستقبلية . لترك الانسان لمن يعولهم مالاً . أو تأمين رأس المال لأعمال تجارية . . . سوف تظل حوافزه قوية للادخار فى النظام اللاربوي . كما هي فى النظام الربوي .
- ولارب فى أن تحقيق الربح عامل مهم فى دفع الأفراد للإدخار والاستثمار . والعامل الفعلي ليس هو الفائدة . إنما هو فى الرغبة فى زيادة الدخل . ويمكن تحقيق هذه الرغبة « فى الاقتصاد الربوي » بإنشاء ودائع لأجل أو ودائع الادخار فى البنوك . وسوف لا تكون هذه الوسائل موجودة فى ظل النظام اللاربوي . وهناك طرق أخرى يمكن أن تتخذ لتحقيق ذلك . وإذا كان من الممكن الاعتماد على هذه الطرق البديلة . لكسب أرباح إضافية . فلن يكون هناك سبب يضعف الحافز على الادخار أو يجعله غير موجود . وقبل دراسة تشغيل رؤوس الأموال المدخرة فى حسابات المضاربة أو شراء أسهم المضاربة فى المشروعات الخاصة أو العامة . لابد من أن نوضح أنه فى الاقتصاد المعاصر . إن سعر الفائدة كعامل مستقل أو بالإضافة لعوامل أخرى . . لا يمثل حافزاً قوياً على الإدخار . وأغلب خبراء الاقتصاد يرون أن زيادة سعر الفائدة سوف تكون محدودة الأثر فى زيادة عرض المدخرات .
- وركز كينز (Keynes) على أهمية مستوى الدخل كعامل حاسم إلى جانب الظروف الإجتماعية . والعوامل السياسية المتعلقة بالاستقرار السياسي - والدراسات التى أعقبت كينز (Keynes) أدخلت عدة عوامل مهمة أخرى مثل : ثروة الفرد . أو إمكان تحويل الممتلكات إلى نقود . أو الأسعار النسبية للسلع . أو توزيع الثروة فى المجتمع . أو توافر القروض اللازمة للمستهلكين . أو الاتجاه الصعودي فى مستويات المعيشة . أو وضع الفرد الاقتصادي وسرعة الزيادة فى دخله . وإلى جانب هذه العوامل . . تأتي القيم الأخلاقية للمجتمع . ورشد أفراد المجتمع . وأسباب وعوامل أخرى غير اقتصادية تؤثر على ميل الناس للادخار . ولقد عبرت اللجنة التى تشكلت فى الولايات

المتحدة قبل سنوات عدة لدراسة المشكلات المتعلقة بالنقد والائتمان^(٥) ، عن رأيها في التقرير الذي أصدرته ، أنه بالرغم من أن هناك تركيزاً كبيراً على الدور المباشر وغير المباشر لسعر الفائدة كعامل محدد لإنفاق المستهلكين - كما أكدت عليها نظرية كينز (Keynes) والنظرية الكلاسيكية - إلا أن هناك أدلة قوية تثبت أن أثر سعر الفائدة ، إذا كان موجوداً ، ليس ذا أهمية إذا ما قورن بالعوامل الأخرى^(٦) .

وفي بريطانيا : فإن لجنة رادكليف (Radcliffe) - التي عينت لدراسة النظام النقدي - ذكرت في تقريرها أن أغلب الإقتصاديين والمتخصصين يعتقدون أن الزيادة في سعر الفائدة لا يترتب عليها زيادة في مدخرات الأفراد^(٧) والرغبة في الادخار تحددها - في الغالب - أسباب وعوامل أخرى ، وتمثل الرغبة ، في زيادة الثروة عن طريق تجميع رؤوس الأموال ، عاملاً ثانوياً . أما في النظام المصرفي اللاربوي : فن اللازم أن يتعرض الشخص الذي يرغب في الحصول على أرباح ، إلى مخاطر الخسارة ؛ وذلك عندما يقوم بإيداع المدخرات في حساب المضاربة ، أو عندما يشتري أسهم المضاربة ، وتصحب في كلتا الحالتين توقع تحقيق الربح مع مخاطر الخسارة ، ولاتمنح أية ضمانات في أي ظرف من الظروف لرد رأس المال مع الزيادة . ونتيجة لذلك . . ينشأ سؤال : هل عدم وجود ضمان للكسب الإضافي سيؤدي إلى توقف الإدخار من أجل تحقيق الربح ؟ أو أن هذا الحافز بالرغم من هذه المخاطر سوف يكون قائماً ؟ . ولا يغلب الخوف من الخسارة على أمل الانسان في تحقيق الربح دائماً ، وتاريخ الانسانية شاهد على أن أمل تحقيق الربح أقوى من الخوف من الخسارة . ولو كان الأمر غير ذلك لكان من المستحيل الاستثمار في المشروعات ذات المخاطر . فإلى جانب من تتوافر لديهم فوائض رؤوس أموال ، يوجد من له الرغبة في تحمل مخاطر الخسارة على أمل تحقيق الربح . وفي الاقتصاد الربوي : فإن المستثمرين - بالرغم من توفر مجالات الاستثمار ذي العائد الثابت وغير المحفوف بالمخاطر - إلا أن المدخرين والمستثمرين في هذه الأنوع من الاقتصاد تجذبهم الاستثمارات التي تحقق أرباحاً مرتفعة . ولذلك . . فإن مخاطر الخسارة يمكن أن تثبط بعض الأفراد الذين بنشدون الأمان ، إلا أنها لاتثبط جميع المدخرين . ويمكن أن نقول : أنه في غياب وسيلة آمنة للإدخار . مثل الفائدة ، فإن قطاعاً من المدخرين ربما يتوقف عن الإدخار ، إلا أن ذلك لاينطبق على مجموع المدخرين .

وسوف تستمر الأغلبية في الإدخار في النظام المقترح ، لأن الفائدة في النظام الربوي ربما تغري بعض المدخرين بالإحجام عن استخدام رؤوس الأموال في مشروعات تعود بربح أعلى . ولكن مع إلغاء الفائدة ، وتطبيق أسلوب للإستثمار على أساس المضاربة ، فسوف يتحول أغلبية المدخرين إلى هذه الوسيلة

5. Commission on Money and Credit "CMC" Impacts of Monetary Policy, Prentice-Hall Inc., 1964, pp. 13-21.

٦ - نفس المرجع . ص ٤١ .

٧ - تقرير لجنة راد بكليف . ص ١٥٦ .

من الاستثمار . ولا يرى المؤلف أن عدم وجود أرباح مضمونة ستؤدي إلى نقصان الإدخار أو توقفه . وإن هذا القول لا تؤيده التجربة أو المنطق .

وإذا تمت إدارة النظام البنوك اللاربوي على نحو سليم . فنادرًا ما يواجه المودعون في حساب المضاربة أو المشتركين للأسهم الحكومية خسارة . وتعمل معظم البنوك والحكومة كذلك . ليس لحماية رؤوس أموال أصحاب الحسابات فقط . بل لزيادتها . . إذ أنها تشاركهم في الأرباح الناتجة عن هذه الأموال . وناقشنا - في الفصول السابقة - الوسائل التي يمكن أن تتبع للحد من الخسارة . . بالنسبة لأصحاب حسابات المضاربة . ومن مصلحة البنك الخاصة منع حدوث مثل هذه الخسائر . . بالدراسة الدقيقة للشركاء والمشروعات وتوزيع رأس المال في إستثمارات متنوعة . ويجب أن يكون البنك حذرًا من حدوث خسارة . . وهو يسعى لتحقيق الربح . وينطبق ذلك على الحكومة وهي تدير أموال المضاربة . وهذه النقاط الثلاث . هي : الأمل في تحقيق الربح أقوى من الخوف من حدوث خسارة . وكذلك منع تحقيق أرباح بدون مخاطر الخسارة . وتوافر فرص الاستثمار لرؤوس الأموال دون خوف مفرط من حدوث خسارة . وإذا تم تحقيق هذه النقاط . فإن المدخرين الراغبين في الربح سيستثمرون في الادخار في الإقتصاد اللاربوي . فإذا لم تتغير الدوافع الأخرى للإدخار . والتي هي عوامل أكثر فعالية . فإنه يمكن القول : بأن تحريم الفائدة سيؤدي إلى التأثير لدرجة يمكن تجاهلها مع تدفق المدخرات . أما إذا حدث إنخفاض في ميل الناس للادخار في الإقتصاد اللاربوي . وأن هناك حاجة لزيادة التكوين الرأسمالي إلى المستوى المطلوب . فمن الضروري إتخاذ الوسائل المناسبة في هذا الصدد . بالحد من الإسراف ومنع الإفراط في الاستهلاك غير الضروري . وسيترتب على هذا الاجراء زيادة المدخرات ^(٨) . وفضلاً على ذلك . . فإن التوجيه الأخلاقي سيؤدي إلى نتائج إيجابية . وبالإضافة إلى ذلك . . فإن زيادة نسبة المشاركة في الأرباح في النظام اللاربوي ستؤدي إلى زيادة تدفق المدخرات . وتعني نسبة المشاركة في الأرباح . . النسبة التي يتسلمها البنك من الأطراف المشتركة معه في العمل . أو النسبة التي يتسلمها أصحاب حسابات المضاربة . وعندما يزيد الطلب على رأس المال . فسوف يرغب رجال الأعمال في إعطاء البنك نسبة أعلى من الأرباح . ويتمكن البنك من أن يزيد من الأموال في هذه الحسابات . مما يؤدي إلى زيادة الإدخار . وإذا كان عرض المدخرات كبيراً والطلب على رؤوس الأموال قليلاً . فستخف البنوك نسبة الأرباح التي تأخذها من رجال الأعمال . ولذلك . . فإن نسبة الأرباح الموزعة على أصحاب حسابات المضاربة تنخفض . مما يؤدي إلى إنخفاض تدفق المدخرات . وهكذا . . فإنه في ظل نظام مصرفي لاربوي تعمل تعديلات في نسبة المشاركة في الربح على إعادة التوازن بين طلب وعرض المدخرات . . أي أن هذه النسبة تؤدي نفس الوظيفة الاقتصادية التي يؤديها سعر الفائدة في الإقتصاد الربوي .

٨ - للحصول على تفاصيل لهذا الموجز أنظر « الإسلام ونظرية الملكية الجزء الأول صفحة ٢١٤ - ٢٣٠ . الجزء

الثاني . الباب الثاني) . (بالأردنية) .

٢ - عرض الأموال في قطاع الأعمال :

إن إدخار الشخص العادي سيتحول إلى رجال الأعمال عن طريق المصارف . أو بوسائل أخرى . وسوف تشكل رؤوس الأموال هذه . . رؤس أموال لرجال الأعمال . إلا أننا يجب ألا ننسى أن جزءاً كبيراً من رؤس أموال رجال الأعمال توافر من مجتمع رجال الأعمال أنفسهم . وهم يقومون بإعادة استثمار جزء كبير من أرباحهم . وبأني الجزء الكبير من الأموال المستثمرة لمعظم المؤسسات الكبيرة من مدخراتهم . وهذا الجزء من عرض الأموال لقطاع الأعمال . . لا يتأثر بسعر الفائدة .

إن مخصص الاهلاكات التي يدخرها رجال الأعمال لمقابلة التلف والتقاعد في المعدات . . يمكن أن تستعمل أيضاً كمصدر للتمويل ^(٩) . وثلاثة أرباع الأموال المتوافرة في الولايات المتحدة لرجال الأعمال هي من مصادر داخلية ^(١٠) . وكذلك الحال في بريطانيا . . فقد تضمن تقرير لجنة رادكليف (Radcliffe) أن التوسع الصناعي يعتمد إلى حد كبير على الأرباح غير الموزعة التي تخصص لهذا الغرض . وأن جزءاً كبيراً يأتي من الأموال التي ترصد للاهلاكات لمقابلة التلف والتقاعد للمعدات ^(١١) . وقد أشار التقرير إلى أنه بعد الحرب العالمية الثانية قابلت كثير من المؤسسات إحتياجاتها التمويلية الشهرية . أو معظمها . من مصادر داخلية . وأشار التقرير إلى أن الأرباح غير الموزعة . كانت أكبر مصدر للتمويل في التوسع الصناعي . . ومصدر مهم آخر : هو طرح الأسهم أو السندات في السوق . ويلعب التمويل عن طريق البنوك دوراً أقل ^(١٢) .

إن نسبة الأرباح المحتجزة في الولايات المتحدة هي ٧٠٪ في حين أن المدخر من دخول الأفراد هو ٥٪ فقط . وفي البلدان الأخرى : فإن الحال لا يختلف كثيراً ^(١٣) . والشركات التي تدخر أرباحها . لا تنوي إستخدامها في شراء أوراق مالية بنسبة فائدة ثابتة . إنما تفعل ذلك من أجل استثمارها في مشروعاتها . وسوف لا يؤثر إلغاء الربا على مثل هذه المدخرات . إذ أن مدخرات منشآت الأعمال تحددتها عوامل خاصة بها . كالأرباح المتوقعة من المشروع . ولا يوجد لسعر الفائدة أثر كبير في ذلك ^(١٤) .

٣ - توفير الأموال للقطاع العام :

لقد شرحنا - في الفصل السابع - الطرق والوسائل التي يمكن استخدامها لإجتذاب مدخرات الجمهور واستثمارها في مشروعات القطاع العام ، وبدلاً من جعل الفائدة أساساً لإجتذاب الأموال للقطاع العام . فإنه يمكن أن تكون المشاركة في الأرباح هي الأساس . وسيؤدي هذا إلى نتائج إيجابية .

9. Paul M. Horvitz, Monetary Policy and the Financial System, Prentice-Hall Inc., 1963, p. 115.

10. CMC Impacts of Monetary Policy, *op.cit.*, p. 655.

11. Radcliffe Committee Report, p. 80.

12. *Ibid.*, p. 108.

13. N. Kaldor, Capital Accumulation and Economic Growth in the Theory of Capital, Edited by D.C. Hague, Macmillan, London, 1955, p. 197.

14. CMC Impacts of Monetary Policy, pp. 673-674.

وبخاصة إذا اتخذت الحكومة إجراءات عملية لحماية الأسهم من الخسارة ، وستمح المشاركة في الربح عدداً كبيراً من أفراد المجتمع الحق في المشاركة في إنجاح المشروعات العامة ونموها .
إن معظم المشترين للأسهم الحكومية ، هم من بين موظفي الدولة وعملها ، الذين ترتبط حياتهم بنجاح هذه المؤسسات . ومعظم مشتري الأسهم ممن يستهلكون منتجات هذه المؤسسات . وعندما يتبين لهؤلاء أن الأرباح المستحقة من هذه المشروعات ستوزع عليهم فسيكونون أكثر إخلاصاً لهذه المؤسسات . وعلى النقيض من ذلك . . الذين يمنحون قروضاً للحكومة مقابل الفائدة . ليس لهم مصلحة في نجاح هذه المؤسسات أو خسارتها طالما كانت أرباحهم مضمونة ومحددة .

٤ - الأرباح في الأعمال المصرفية :

ولإقامة نظام مصرفي لاربوي ، فإن من الأهمية بمكان أن تنظم أرباح النشاط المصرفي على مبدأ المضاربة ، بأن يتم الحصول على رؤوس الأموال من الجمهور على أساس المضاربة . على أن تقدم إلى رجال الأعمال بنفس المبدأ . ويجب أن تكون نسبة المشاركة في الربح عالية تجتذب أصحاب رؤوس الأموال والمؤسسات التجارية للتعامل مع النظام المصرفي . وفي ضوء ماورد من تفصيل - في السابقة - فإن البنوك اللاربوية ستحقق أرباحاً مستمرة . ولا بد من من أن نذكر أنه بالرغم من أن جميع رؤوس الأموال المودعة في حساب المضاربة في البنوك ستنشأ عنها أرباح من جراء استخدامها في المشروعات . إلا أن البنك لا يتحمل مسؤولية في حالة الخسارة .

■ - السيولة :

السيولة هي من أهم المهمات بالنسبة للبنك . ولا بد من أن يكون مستعداً لدفع كل ما يطلبه أصحاب الحسابات من نقد وبدون تأخير . وأوضحنا في الفصول السابقة أن كلا من الاحتياط النقدي . وشهادات الأسهم القابلة للبيع . يمكن أن توفر سيولة للبنك . إلا أن الخبراء المصرفيين ^(١٥) . يرون أن السيولة تعتمد على الموجودات أو الأصول القابلة للبيع . وعلى الفترة الزمنية التي سيستغرقها إسترداد القروض التي قدمتها البنوك . إلا أنها تعتمد أساساً على قدرة البنوك في تدبير رؤوس أموال سائلة . ولما كان البنك المركزي مسؤولاً عن إصدار النقود . فيجب ألا تكون هناك مشكلة تقف في سبيل إمداد البنوك التجارية بالسيولة . ولا بد من إتخاذ إجراءات تمكن البنوك التجارية من طلب العون من البنك المركزي . متى كانت في حاجة إلى ذلك . وتم شرح هذه الإجراءات بتفصيل في الفصل السادس . وإذا قامت البنوك بإتخاذ تلك الإجراءات ووضعها في الحساب ، أو إستخدام البنك الحكمة والنظرة الثاقبة في اختيار موجوداته . فليس من الصعب الحصول على نقود سائلة من البنك المركزي ، متى دعت الحاجة إلى ذلك .

15. W. Manning Dacey. The British Banking System, London, 1958, p. 90.

٦ - النظام المصرفي اللاربيوي والدولة :

كانت مناقشة الجهاز المصرفي تتم - حتى وقت قريب - في إطار النظام الرأسمالي الحر . إلا أنه خلال النصف الثاني من هذا القرن ، فإن الاتجاه العام لدى خبراء الإقتصاد والمصارف ، قد تغير تغيراً كاملاً . وأصبح من المحتم على الدولة الآن . أن تقوم بتوجيه الجهاز المصرفي من خلال قواعد ونظم مفصلة وسليمة تحت إشراف البنك المركزي . ففي الدولة الإسلامية توجد أهداف لا بد من تحقيقها ، والبنوك في ظل هذه الدولة شأنها شأن المؤسسات الاقتصادية الأخرى ، فعند فشلها في القيام بوظائفها ، فإن المجتمع والدولة الإسلامية يجب أن يتدخلوا ، وأن تتخذ الترتيبات اللازمة لتنفيذ الأهداف المرجوة^(١٦) .

وتشمل هذه الترتيبات . . الإجراءات النقدية والمالية المناسبة . وتمت مناقشة بعض هذه الجوانب في الفصلين السابع والثامن . وأوضحنا أن الجهاز المصرفي المقترح ، إنما يقوم على افتراض أن للأفراد الحرية في تأسيس وإدارة البنوك ، وأن البنوك لا يجب تأمينها إلا إذا رأت الدولة الإسلامية - في أي وقت من الأوقات - أن المصلحة العامة تحتم أن يكون الجهاز المصرفي كله في يد الدولة . وفي هذه الحالة . . فإن النظام المقترح لاحتاج إلى تعديلات جوهرية .

إن إعطاء وتلقي الفائدة ممنوع بين الأفراد والدولة كما هو بين الأفراد . ولم تضع الشريعة الإسلامية في هذا الصدد إستثناء لذلك . فلم تسمح للدولة الإسلامية بإتباع الربا كأساس للمعاملات مع المواطنين في طول تاريخ الدولة الإسلامية .

وإذا تم تأمين المصارف فستتم الأعمال المصرفية على أساس مبدأ المضاربة ، لأن رأس مال هذه البنوك سيأتي من خزانة الدولة بدلاً من المساهمين إلا أن طبيعة علاقات البنك ، مع أصحاب الحسابات أو الأطراف المتعاملة معه . ستظل كما سبق شرحه في الفصلين (الثاني والرابع) .

وينشأ سؤال حول شرعية تأمين البنوك في إقتصاد يقوم على المبادئ الإسلامية . وهذا السؤال يمكن الإجابة عنه على ضوء دراسة مفصلة للظروف التي يتم فيها إتخاذ مثل هذا القرار . ومع ذلك يمكن أن نقول : التأمين ليس له ما يبرره في الظروف العادية ، وربما تكون له آثار بعيدة على النظام الاقتصادي والسياسي ، وعلى حرية الأفراد ، كما أنه يخل بالتوازن بين الحرية والتسلط الذي يسعى الإسلام للحفاظ عليه . إلا أنه إذا برزت الحاجة لمثل هذا الإجراء ، في ظروف تتطلب حماية المصلحة العامة ، وتحقيق المقاصد الشرعية ؛ فإن الإسلام لم يفرض أي قيد على ذلك . ولم تأت الشريعة في هذه المسألة بنصوص قطعية . ومن الخطأ أن نستبعد - على أساس الاجتهاد - التأمين بصفة دائمة ، بل يجب أن تكون المصلحة العامة هي العامل المرجح . فإذا كان هناك إجماع على أن تأمين البنوك أمر لازم في المجتمع الإسلامي ، وأنه يحقق المصلحة العامة ، وأن هناك حاجة قوية لمثل هذا الإجراء كخطوة مرحلية للتحويل من النظام غير الإسلامي إلى النظام الإسلامي . . فلا بأس من ذلك .

١٦ - كي يتم عرض تفاصيل هذه النقطة من حيث المبدأ انظر : الإسلام ونظرية الملكية - الجزء الأول - ص ٧٣ - ٨٣ . (بالأردية) .

« ملحق »

كتابات فى النظام المصرفى اللاربوى حتى عام ١٩٦٣م

باللغة الأردية

(١) الربا :

أبو الأعلى المودودى : الناشر : المطبوعات الإسلامية المحدودة - لاهور (عام ١٩٦١) ،
الصفحات ١٩٣ ، ٢١٢^(١) ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ .

يقدم مؤلف هذا الكتاب تعريفا موجزا للنظام المصرفى اللاربوى ، وأن هذا النظام سيوفر ثلاثة أنواع من الودائع للجمهور ، وهي : الودائع التى يمكن سحبها عند الطلب ، ولا يستثمر البنك عادة هذه الودائع . أما الودائع الموضوعة فى حساب القروض ، فيمكن سحبها بعد فترة محددة ، ويمكن للبنك استثمارها فى مشروعات مربحة . . ويستفيد من الأرباح ، ويكون مستعداً لتحمل أية خسائر . أما المودعون فيستحقون فقط أصول ودائعهم دون إضافة أو إستقطاع (ص ٢٠٥ ، ٢١٠) . وفى النوع الثالث من الودائع : فإن البنك يتلقى الودائع من الأشخاص الذين يرغبون فى استثمارها على أساس المشاركة (ص ٢١٠) ويصبح أصحاب هذه الودائع حملة الأسهم فى الأعمال المصرفية ، ويشاركون فى الأرباح والخسائر .

وسيقوم البنك بالاستثمار فى المشروعات الزراعية والصناعية والتجارية . على أساس المضاربة أو المشاركة فى الأرباح (ص ٢١٠ ، ٢١٢) . ولم يتم إيضاح مفهوم المضاربة بتفصيل . وتتضمن صفحة ٢٠٦ شرحاً مبهماً لكلمة مضاربة (موضوعاً بين قوسين) كمشاركة نسبية فى الربح والخسارة . وذلك لأنه فسر المضاربة فى ص ١٩٥ بأنها (المشاركة فى الربح) . وفى النظام اللاربوى يمكن أن تكون هناك طرق عدة لتقديم قروض بدون فائدة لمقابلة الحاجات الشخصية (١٩٥ ، ١٩٩) . كما تناول الكتاب أيضاً موضوع تقديم قروض للحكومة والمشروعات (ص ١٩٢ ، ٢٠٢) .

والكتاب تقديم موجز . لم يتعرض إلى مشكلة توليد الائتمان المصرفى . وذكر أن بنك الدولة سيؤدى وظيفة البنك المركزى .

(١) نشرت أجزاء من هذا الكتاب فى ترجمان القرآن الشهرية الصادرة من لاهور المجلد ٣٤ العدد ٢ - ٥ يوليو وسبتمبر ١٩٥٠ ص ١١٣ - ١٢٦ .

(٢) الرسائل والمسائل (الجزء الأول) :

أبو الأعلى المودودي : الناشر : المطبوعات الإسلامية المحدودة - لاهور عام (١٩٦١م) .
ص ٢٩٩ - ٣٠٥ .

ويرى المؤلف فى هذا الكتاب - لأسباب عدة - أن النظام المصرفى الإسلامى لا ينبغى أن يقوم بوظيفة جمع وتوزيع الزكاة والصدقات .

الرسائل والمسائل (الجزء السادس) :

الناشر : المطبوعات الإسلامية المحدودة - لاهور (عام ١٩٦٧م) .
ويرى المؤلف أنه إذا لم تصحب عملية تقديم الائتمان بفائدة وتدليس ، فإنه لا يوجد محذور شرعى فيها .

(٣) النظام المصرفى على أسس إسلامية :

نعيم صديقي : ورقة منشورة فى مجلة شيراغ راه الشهرية - كراتشي ، مجلدا - العدد (١١ ، ١٢) ،
نوفبر وديسمبر (عام ١٩٤٨م) ص ٢٤ - ٢٨ و ٦٠ - ٦٤ .

تعرض المؤلف فى هذه الورقة إلى عرض أولى لهيكل النظام المصرفى اللاربوي ، وكذلك إلى كثير من الأعمال المصرفية . ويتعامل أصحاب الودائع مع البنك على أساس المضاربة . ويمكن للبنك أن يودع هذه المبالغ عند جهة أخرى بنفس الشروط ، أو يقوم هو باستثمارها فى مشروعات لتحقيق الربح (نوفبر ص ٦٣) . وقد اقترح أن يقدم لأصحاب الحسابات الذين يقومون بإيداع أموالهم لفترة أطول . . ربحاً أعلى ، وذلك لتشجيع الودائع طويلة الأجل .

وفى حالة الخسارة : يرى المؤلف أن مبدأ المضاربة يقضى بأن يشترك البنك فى تحمل الخسارة مع الطرف الآخر كما يشاركه فى الأرباح ، وهذا فهم غير صحيح ، إذ أنه - طبقاً لمبدأ المضاربة - فإن صاحب المال يتحمل الخسارة التى تحدث نتيجة استثمار أمواله بوساطة البنك . أما إذا ساهم البنك بتمويل يقدمه هو ، فإنه سوف يتحمل الخسارة عن رأس ماله الخاص ولن يشاركه فيها المستثمر .
أما بالنسبة لحسم السندات الإذنية ، فقد اقترح أن يقوم البنك بهذه العملية مقابل عمولة . وهذه النقطة تستحق دراسة متأنية .

(١) الحل الإسلامى للفوارق الاقتصادية :

نعيم صديقي : الناشر : مكتبة شيراغ راه - كراتشي (مايو ١٩٥١) ، ص ١٥٤ - ٢٦٥ .
وردت عبارة « أن مبدأ المضاربة يعنى المشاركة فى الربح والخسارة » فى صفحة ١٤٧ . وتوضح هذه العبارة : أن الدراسة لم تركز على الأسس الإسلامية للمضاربة بعمق . مما أحدث أثراً على الهيكل المقترح . . كما ذكرنا من قبل .

(٥) الأعمال المصرفية اللاربوية :

شيخ أحمد أرشاد : الناشر : مكتبة تحريك مساوات - دركسروود ، كراتشي (عام ١٩٦٤) .
ص ٦٧ - ١٠٠ ، فى الفصل السادس إلى السابع تم شرح نظام البنوك التجارية . وفى الفصل الثامن تم وصف هيكل نظام المصرف المركزي . وتناول الفصل التاسع المشكلات المصرفية الدولية .
وتسبب غياب مفهوم واضح للأسس الإسلامية للمضاربة ، فى بروز خطأ أساسي فى النظام المصرفي المقترح ، إذ تم تعريف مبدأ المضاربة فى ص ٥٧ على أنها يجب حساب رأس المال والعمل على أنهما شركة تتساوى أنصبتها فى الربح والخسارة .

و يتم إنشاء البنك برأس مال يتم جمعه بطرح الأسهم ، ويقوم الجمهور بإيداع أموالهم فى حسابات يمكن السحب منها عند الطلب ، وعلى البنك حماية هذه الودائع . ويمكن أن يستخدم البنك هذه الودائع على مسؤوليته الخاصة ، بعد الحصول على موافقة المودعين ، فى مشروعات الرعاية الاجتماعية (ص ٦٩) ، والنوع الآخر من الودائع : هي الودائع طويلة الأجل ، ويحصل أصحاب هذه الودائع على أنصبتهم فى ربح البنك من اليوم الأخير من السنة ، حسب نسبة أموالهم المستثمرة ، وطول مدة الاستثمار (ص ٦٩) . ويذكر المؤلف أن البنك الإسلامي يمكن ، أن يستثمر فى مؤسسة صناعية ، بحيث يكون البنك والمؤسسة شريكين متساويين فى الربح والخسارة (ص ٧١) ، أما عن الخسارة : فن الأفضل أن يحتفظ البنك الإسلامي - منذ البداية - بصندوق احتياطي يمكنه من مواجهة كل التزاماته الناشئة من هذه الخسائر . كما هو متبع فى الوقت الحاضر (ص ٨١) . ويجب عدم سحب أية مبالغ من حسابات المودعين والمستثمرين لمواجهة الخسارة (ص ٨١) ، ويجب أن ترد الخسائر فى صندوق الاحتياط المذكور ، أو تحمل هذه الخسائر على حملة الأسهم بالبنك . إذ أنهم مسئولون عن كل عمليات البنك (ص ٨١) ، وبالإضافة إلى ذلك ، ففى الصفحات من ٨٢ - ٩٢ و ص ٩٨ ، إقترح المؤلف طرقات عدة لمواجهة الخسائر ، إلا أنها لا تتماشى مع تعاليم الشريعة الإسلامية . ولا يمكن التسليم بها . وفى الفصل السابع : تناول المؤلف طرق ووسائل تقديم القروض إلى المستهلكين والمنتجين ، وكذلك ناقش المؤسسات اللاربوية مثل « بنك التنمية الصناعية وشركة الاستثمارات الوطنية » . وإقترح المؤلف أن يكون البنك المركزي فى أيدي الحكومة ، ويتولى الإشراف على جميع الأعمال المصرفية ، ويقوم باستثمارات المشروعات التى تقوم بها البنوك الخاضعة له . . بدلاً من تقديم قروض لها . وكذلك سيشارك البنك المركزي فى الأرباح والخسائر الخاصة بالبنوك الخاضعة له .

وتقوم الحكومة بدعوة الجمهور إلى تقديم رأس المال لتنفيذ مشروعاتها المختلفة ، ويتم توزيع الأرباح بالتناسب بين المستثمرين (ص ١٠٨) ، ولم يناقش الكاتب موضوع الخسائر .

وعلى الرغم من أوجه القصور الأساسية التى ذكرناها ، فإن المؤلف بذل محاولة طيبة ، فبعض المقترحات الواردة فى الدراسة . تستحق الإهتمام والدراسة . وكذلك قام المؤلف بإنشاء مؤسسة لاربوية فى كراتشي ، وعلى الرغم من الجهود التى بذلناها للحصول على معلومات ، فإننا لم نتمكن من الحصول على تفاصيل عن عمل المؤسسة الحقيقي .

(٦) بحث المدخرات والمصارف فى الاقتصاد الإسلامى :

محمد أكرم : ورقة منشورة فى مجلة شيراغ راه الشهرية ، المجلد ١٩ : عدد ٦٠٥ - مايو ويونيه (عام ١٩٦٥م) ص ٦٣ - ٨٣ .

ويتناول البحث المدخرات فى النظام الإسلامى اللاربوي ، كما يتناول مرونة عرض المدخرات بالنسبة للعوامل المسؤولة عن تحديد نسبة المشاركة فى الربح . وطرح المؤلف كذلك بعض الآراء الخاصة بنظام التأمين الحكومى والضمان الاجتماعى الذى تضطلع به الحكومة . والفكرة الخاطئة عن أن المضاربة تتضمن مشاركة الربح والخسارة ، أثرت على المناقشة بصورة عكسية . وقد ناقشت أيضاً بعض النقاط الواردة فى هذا البحث ، فى مقالى بعنوان : بعض جوانب الاقتصاد الإسلامى « شيراغ راه » عدد أكتوبر (عام ١٩٦٥م) ص ١٩ - ٢٨ .

باللغة الانجليزية

Dr. Anwar Iqbal QURESHI: *Islam and the Theory of Interest*, Sh. (٧) Mohammad Ashraf, Lahore, 1946.

عرض المؤلف (فى الصفحتين ١٥٩ - ١٦٠) آراءه حول البنوك فى النظام الإسلامى ، وإقترح ضرورة أن تقوم الحكومة بأعباء النظام المصرفى كخدمة إجتماعية ، كما تقوم بأداء خدمات الصحة العامة والتعليم . وألا يقوم البنك بدفع أية فائدة لأصحاب الحسابات ولا يتقاضى أية فائدة على القروض التى يقدمها للمقترضين (ص ١٥٧) . وإقترح المؤلف بديلاً آخر . . هو أن تصبح البنوك شريكة لرجال الأعمال وتقسم معهم الخسائر (ص ١٥٨ - ١٥٩) ، ولم يذكر شيئاً عن موضوع المشاركة فى الأرباح . واقترح الكاتب - مستنداً إلى كاتب غربي - إصلاحاً فى النظام النقدي ، وهو ضرورة فرض ضرائب على المدخرات حتى يتمتع الناس عن إدخار النقود وإقراضها بفائدة ، ويرى أن تستخدم النقود كوسيلة للتبادل (ص ١٦١) . ويحتوي الكتاب على مقدمة كتبها : سليمان ندوي - وهي أكثر وضوحاً - عن النظام المصرفى الإسلامى ، إلا أنه عرف المضاربة بأنها « أن يقدم أحد الطرفين رأس المال ، والطرف الآخر العمل ، ويشترك الطرفان فى الربح والخسارة . . وفقاً لنسبة محددة » .

(٨) Sheikh Mahmud AHMAD: *Economics of Islam*, Sheikh Mohammad Ashraf, Lahore, 1952.

إقترح المؤلف - فى الفصل السابع - إنشاء البنك على أساس المشاركة من المساهمين ، وألا يدفع أي عائد أو فائدة على الحساب الجاري . ويجب أن يكون هناك حساب آخر يودع فيها الجمهور على أساس المشاركة ، وتقسّم الأرباح على نحو يحصل فيه حملة الأسهم على أرباح أكثر من المودعين (ص ١٥٦) . ويقوم البنك بتمويل رجال الأعمال على أساس المشاركة (ص ١٥٦ - ١٥٧) ، إلا أنه لم يتم تحديد أو توضيح مبدأ المشاركة ، وكذلك لم توضح مسؤولية كل طرف فى حالة الخسارة . ويوصي المؤلف بإنشاء البنك كشركة مساهمة على أن تكون مسؤولية حملة الأسهم محدودة (ص ١٥٦) . وبالنسبة لحسم الكبيالات التجارية ، فقد إقترح أن يتم ذلك دون تقاضي أية فائدة ، وذلك باستخدام الودائع تحت الطلب لهذا الغرض (ص ١٥٩) . ويمكن أن تستقطب الحكومة رأس المال من الجمهور على أساس المشاركة فى الربح لتنفيذ مشروعات التنمية (ص ١٥٣) ، أو أن تلجأ إلى التمويل بالعجز (ص ١٥٤) .

(٩) Mohammad UZAIR: *An Outline of 'Interestless Banking'*, Raihan Publications, Karachi, 1955, 21 pp.

قدم المؤلف إطاراً للنظام المصرفي اللاربوي ، يقوم على أساس المضاربة ، ويتمشى مع الشريعة الإسلامية . ولم يتناول بالبحث البنك المركزي ودوره فى الإطار المقترح . وفيما يتعلق بتوليد الائتمان : يرى المؤلف أنه لا ينبغي القيام باستثمارات فى ودائع البنك الخاصة ، أو ما يقوم به من توليد للنقود المصرفية . وهذا إقترح غير عملي ، ويستحق دراسة خاصة . وتحتوي الورقة على مناقشات مفيدة فيما يختص بالعلاقات النقدية الدولية (ص من ١٧ - ١٩) .

(١٠) Mohammad ABDULLAH AL-ARABI: 'Contemporary Banking Transactions and Islam's Views Thereon', paper in *Islamic Review*, London, May, 1966, pp. 10-16, and in *Islamic Thought*, July, 1967, pp. 10-43.

تناول الجزء الأكبر من المقال شروط الربا ، وكذلك تناول النظام المصرفي اللاربوي ، وعرض وصفاً موجزاً له (ص ٣٣ - ٣٤) . ويقوم النظام المصرفي المقترح . . على الأموال التى تجمع من الجمهور على أساس المضاربة . ويقدم البنك الأموال المتوافرة لديه ، وأموال حملة الأسهم . . إلى رجال الأعمال على أساس المضاربة . ويتناول مسألة توزيع الربح والخسارة على نحو يتفق والشريعة . وتناول فى الجزء الأخير

موضوعات : الزكاة ، والنظام المصرفي الدولي ، ومشكلة تأمين البنوك . وفي الصفحات من ٤٠ - ٤٢ ناقش أعمال البنوك الصناعية والزراعية وبنوك الإدخار ، إلا أن إقتراحه - فيما يختص بالإدخار - يتضمن فائدة .

S.A. IRSHAD: *Interest-Free Banking*, Orient Press of Pakistan, Karachi (١١) (n.d.), 100 pp.

ترجمة إنجليزية لكتابه باللغة الأردية عن نفس الموضوع .

S. HASANNUZZAMAN: 'Interest-Free Consumption Loans and (١٢) Consumer Behaviour', in *Some Economic Aspects of Islam*, pp. 147-164, Umma Publishing House, Bahadurabad, Karachi 5, 1964.

تناقش الورقة آثار التقلبات في أسعار الفائدة على طلب القروض الاستهلاكية ، وأشار المؤلف إلى الفكرة القائلة بأن الطلب على القروض في النظام المصرفي اللاربوي سيكون غير محدد . ويرى المؤلف عدم قيام هذه الفكرة على نظرية اقتصادية سليمة ، لأن تحديد هذا الطلب يتم ببعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تكون أكثر أهمية من سعر الفائدة .

باللغة العربية

١٣ - خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي :

د. محمود أبو السعود : مكتبة معتوق إخوان - بيروت (عام ١٩٦٥) .
على الرغم من أن موضوع النظام المصرفي اللاربوي لم تتم مناقشته في هذا الكتاب بصورة مباشرة ، فإن إستعراضاً لهذا الكتاب يأتي من أنه يحتوي على رأي جذاب عن النظام النقدي . فالمؤلف يرى أن العيب الأساسي في النظام الاقتصادي الحديث ، عيب يفوق الفائدة ، وهو أن قيمة النقود لا تتناقص مع مرور الوقت ، في حين تتناقص قيمة السلع الأخرى ، ويمكن إزالة هذا العيب بتطبيق الزكاة ، أو عن طريق فرض ضرائب على النقود حتى تتناقص قيمتها مع الزمن .
ويرى المؤلف أن الوظيفة الأساسية للنقود ، هي أنها وسيلة للتبادل ، وليست أداة إختزان للقيمة ، ويرى المؤلف أن المفهوم الأخير للنقود ، هو أساس الشرور ، ويمكن إزالته عن طريق فرض الضرائب على المبالغ المتراكمة . وقدم إقتراحاً عملياً وهو إدخال (نظام النقود المحتومة) . وبموجب هذه الطريقة ، فإن

أي شخص يحتفظ بورقة نقدية من فئة عشرين روبيات . . مثلاً . . لمدة شهر ، عليه أن يلصق عليها طابعاً بقيمة محدودة ، إذا رغب في استخدامها من جديد . وبعبارة أخرى : فإن كل النقود غير المتداولة (أي المكنوزة) ينبغي أن تفرض عليها ضريبة شهرية . ونتيجة لذلك . . فإن النقود ستكون متداولة ، ونتيجة لهذه الاصلاحات فإن الوظائف التي يقوم بها البنك ستتغير بصورة محسوسة . وبهذه الطريقة يمكن أن يقوم الجمهور بإدخار فوائضه المالية لدى البنوك التجارية ، لتستفيد منها المشروعات القائمة على أساس المشاركة في الربح (ص ٥١) .

أما الخسائر في المشروعات : فإن احتمال حدوثها سوف يكون قليلاً في النظام المقترح (ص ٥٢)

١٤ - هل يمكن إنشاء بنك إسلامي لا يقوم على الربا :

بحث كتبه د . محمود أبو السعود : الناشر : مكتبة المنار - الكويت (التاريخ غير مذكور) . والدكتور أبو السعود هو أحد الاقتصاديين المعروفين الذين كتبوا وفكروا في موضوع المصارف الإسلامية ، ونشرت له مجلة « المسلمون » مقالات عدة عن هذا الموضوع ، وقد استفسر بعض الناس عن موضوع إنشاء البنوك اللاربوية في الكويت . ويتضمن الكتيب إجاباته عن هذه الاستفسارات والأسئلة . وقد سبق شرح آرائه عن الاصلاحات الواجب إجراؤها في النظام المعاصر في كتابه أعلاه (المرجع ١٣) . أما هذا الكتيب . . فإنه يرى أنه ما لم يتم إصلاح النظام الحالي ، فسيكون من الصعب تنقية النظام المصرفي الحالي من التلوث بالفائدة . وأكبر المشكلات التي سنواجهها . . ستكون عملية توفير القروض . فلو تم منح القروض لأصحاب المشروعات على أساس المشاركة في الربح ، فإن القوانين السائدة تمنع البنوك - من القيام مباشرة بالمشروعات لحماية حقوق المودعين . وفي نهاية بحثه (ص ١٨ - ١٩) إقترح المؤلف قيام مؤسسة على التعاون ، إلا أنها لن تكون بنكاً . . بل مؤسسة استثمار رؤوس أموال ، ولم يناقش دقائق هذا النظام .

١٥ - المعاملات المصرفية ورأي الإسلام فيها :

بحث كتبه محمد عبد الله العربي : مجلة الازهر - القاهرة (محرم ١٩٨٥هـ - مايو ١٩٦٥م) الورقة التي أشرنا إليها بالإنجليزية من قبل (رقم ١٠) هي ترجمة هذه الورقة التي قدمت باللغة العربية في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

١٦ - عوامل النجاح في المصارف اللاربوية : (٢)

بحث كتبه محمد عزيز : الناشر : مكتبة المنار - الكويت (التاريخ غير مذكور) . ناقشت هذه الورقة أربعة موضوعات :

٢ - هذه الملزمة هي في أغلب الظن ترجمة عربية لمقال كتبه د . محمد عزيز .

- (أولاً) توفير الأموال للبنوك اللاربوية .
 (ثانياً) عرض المدخرات فى حسابات البنوك .
 (ثالثاً) هل هناك مخاطر للخسارة أكبر مما هي فى النظام المصرفي اللاربوي ؟
 (رابعاً) كيفية المحافظة على حسابات هذه البنوك .

لقد أكد الكاتب أنه . . فى الاقتصاد اللاربوي . . سيكون الميل إلى الاستهلاك أقل مما هو الحال فى الاقتصاد المعاصر ، مما يؤدي إلى زيادة الإدخار (ص ١٠) وهذا بالطبع . . قول مختلف فيه - لهذا السبب ولغيره من الاسباب ، فإن البنوك اللاربوية ستلقى ودائع أكبر من البنوك الربوية (ص ١٢) . وفى الصفحات ١٤ - ١٨ أشار المؤلف إلى بعض الإجراءات التى من شأنها أن تؤدي إلى زيادة شعبية البنوك اللاربوية بين الناس ، وتقنعهم بأن يصيروا مودعين بها .

وفى الصفحات من ١٩ - ٢٦ ناقش موضوع إمكان حدوث خسائر كبيرة فى البنوك اللاربوية بالمقارنة بالبنوك المعاصرة . وفى خلال تحليل عملي ونظري : أوضح المؤلف أنه لأساس لهذا التخوف فى العصر الحديث ، فإن المشروعات تؤسس بطريقة علمية ، تجعل فرص حدوث الخسارة بعيدة عن الناحية العملية ، بالإضافة إلى ذلك . . فإن البنوك تقوم باستثمار مواردها فى عدد من المشروعات ، فإذا تعرض أحد المشروعات للخسارة ، فإن إجمالي عمل البنك لا يعبّر بالضرورة عن خسارة ، أما بالنسبة للتعرض للخسارة - بسبب تقلبات الأسعار - نتيجة الكساد الإقتصادي . فإن البنوك الربوية - هي أيضاً - معرضة لمثل هذه المخاطر . لذلك . . فإن مثل هذا الموضوع لا يستحق المناقشة فى النظامين . ويمكن القول بأن إنشاء النظام المصرفي اللاربوي سيساعد على الحد من الأزمات التجارية . والصفحات الأخيرة من ٢٦ - ٣٣ تتعلق بنظام المحاسبة فى النظام الجديد ، وتحتوي على مقترحات مفيدة .
 والورقة إسهام هام فى هذا الموضوع ، إلا أن معالجتها لمسؤولية رجال الأعمال ، الذين سوف يتعاملون مع المصارف ، لم تتناول الأسس الشرعية للمضاربة (ص ٢٠ ، ٢٣) .

١٧ - اللجنة التحضيرية لمشروع بيت التمويل :

الكويت : الناشر : المكتبة العصرية بالكويت (التاريخ غير مذكور) .
 بذلت الجهود - فى السنوات القليلة الماضية - لإنشاء بنك لاربوي بالكويت ، وإشترك فى هذه الجهود بعض خبراء الاقتصاد وعلماء الفقه الإسلامي . لذلك . . فإن الكتيب هو مذكرة أساسية عن البنك نشر للدراسة وطلب المشورة ، وسوف يتم إنشاء البنك « كشركة مساهمة » بموجب القوانين السائدة ، ومن أهدافه أنه يقوم بكل الوظائف المصرفية على أساس لاربوي ، وذلك بطرح مشروعات مريحة من أمواله ، كذلك يقوم بتمويل المشروعات الأخرى ، التى يمكن أن تحقق ربحاً على أساس لاربوي (الفقرة ٤) ولإنشاء هذا البنك ، فإن ١٠٠,٠٠٠ سهماً ستطرح للبيع ، قيمة كل سهم منها ١٠ دنانير ،

حتى يمكن تكوين رأس مال يصل إلى مليون دينار . ولا يسمح لأي شخص بشراء أسهم تزيد قيمتها على ٥,٠٠٠ دينار . وتدار الشركة بمجلس إدارة يتكون من ثمانية أعضاء إلى اثني عشر عضواً ، يتم اختيارهم عن طريق الجمعية العمومية للمساهمين ، ويجب أن يكون كل عضو من أعضاء المجلس ممتلكاً لألف سهم على الأقل .

ويلتزم حملة الاسهم بقبول جميع قرارات مجلس الإدارة ، وكذلك بالمباديء المتضمنة في لوائح البنك (الفقرة ١٦) . ويقوم البنك بفتح نوعين من الودائع للجمهور . فالذين يودعون أموالهم بشرط عدم استثمارها في أي عمل مربح يمكنهم سحب هذه الأموال في أي وقت ، وهذا الحساب شبيه بالحسابات الجارية وحسابات الادخار بالبنوك (الفقرة ٥٧) . أما الذين يرغبون في تفويض البنك باستثمار أموالهم في بعض الأعمال ، يمكنهم كذلك تفويض البنك في استثمار أموالهم في بعض الأعمال والشروعات الخاصة (الفقرة ٥٨) .

وهذه الودائع يمكن إعادتها خلال مدة محددة أو غير محددة . أما الودائع التي يمكن إعادتها في مدة محددة ، فلا بد من تحديد مدة الإشعار . واللجنة الإدارية هي التي تقرر في الطلب الخاص بسحب الودائع قبل تاريخ الإستحقاق . لكن - في مثل هذه الحالات - يجب أن يتنازل عن ربح السنة الجارية أو جزء منه (الفقرة ٥٨) . والشركة لها سلطة الاستثمار في جميع أنواع المشروعات . ولا يسمح لها باستثمار ما يزيد على ٥٪ من مجموع رأس مالها في المشروع الواحد ، ولا يسمح لها أيضاً باستثمار ما يزيد على ٣٠٪ من مجموع رأس مالها في مشروعات طويلة أو متوسطة الأجل (الفقرة ٦٣) . ويدخل في عمليات البنك جميع المشروعات التجارية والزراعية والتعدينية وإستغلال الاراضي والنقل الجوي والنهري والصفقات في الممتلكات غير المنقولة والتأمين . . إلخ (الفقرة ٥ ، ٦) . ويقدم البنك قروضاً لمشروعات الإنتاج الصغيرة بدون فوائد أو ربح (الفقرة ٥٩) وسيقوم البنك بفتح حساب للزكاة ، ليودع فيه أصحاب الحسابات وغيرهم زكواتهم التي ستفق طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية (الفقرة ٧) . وسيتم إعداد حساب أرباح الشركة سنوياً ، ويضم لهذا الغرض رأس المال المستثمر لأغراض الربح مع رأس مال المساهمين . وإذا كان إجمالي الربح أكثر من ٢٠٪ فيدفع للمساهمين ربح إضافي على رأس مالهم ، ويكون الحد الأدنى لهذا هو ١٠٪ (الفقرة ٥٩) وينظم القسم الثاني عملية توزيع الأرباح .

(الفقرة ٧٧) : تخصيص نسبة معينة يحددها مجلس الإدارة مقابل إهلاك أصول الشركة ، ونفس الطريقة يحتفظ بجزء معين من الربح لمواجهة الإلتزامات القانونية للشركة تجاه العاملين بموجب قوانين العمل ويقررها مجلس المساهمين .

(الفقرة ٧٨) : توزيع الربح الصافي ، وسيتم وفقاً للخطوات التالية :

(أولاً) : ١٥٪ للإحتياط الإلزامي .

(ثانياً) : ١٠٪ للإحتياط الاختياري .

(ثالثاً) : ينحصر مبلغ ٥٪ من رؤوس أموال المساهمين كدفعة أولى من الربح لهم .

(رابعاً) : وبعد استقطاع الجزء المذكور بعاليه من الربح . تخصص الجمعية العامة للمساهمين دفع مكافأة أعضاء مجلس الإدارة بنسبة لا تتجاوز ١٠٪ من الرصيد المتبقي .
(خامساً) : يوزع رصيد الأرباح المتبقي بين المساهمين كأرباح إضافية . وإذا رغبت لجنة الإدارة . فإنه يمكن تحويل الجزء السالف الذكر من الأرباح . . إلى حساب العام القادم . أو إستخدامه لمواجهة أية مصروفات طارئة .

(الفقرة ٨٠) : يستخدم صندوق احتياط الطوارئ وفقاً لقرارات الجمعية العامة للمساهمين . ولا يوزع صندوق الاحتياط الإلزامي بين المساهمين على أية حال . وفي حالة عدم تمكن البنوك من توزيع نسبة الربح المذكورة بعاليه (وقدرها ٥٪) فيمكن استخدام هذا الصندوق المذكور .
ولم تتضمن اللوائح : من الذي يتحمل الخسائر . وربما كان ذلك لاشتغال قوانين الكويت المتعلقة بالشركات عليها . ومن الواضح على أية حال من (الفقرة ٨٠) أن مبدأ توزيع الربح قد صمم بطريقة تؤدي إلى تعويض الخسائر . بالاحتفاظ بجزء من الأرباح في شكل احتياط . حتى لا يتعرض أصحاب الحسابات أو المساهمين لأية خسارة . وفي حالة الأرباح « غير العادية » فإن المساهمين سيتلقون أرباحاً تزيد على ما يتلقاه أصحاب الحسابات . كذلك يحق للمديرين أن يتلقوا عوائد خاصة مقابل خدماتهم الجليلة . إلا أن هذا العائد سوف يتم فقط بعد دفع ٥٪ كربح أولي إلى المساهمين وأصحاب الحسابات .

١٨ - مشروع بيت التمويل الكويتي :

لم يذكر اسم الناشر أو التاريخ (١٢ صفحة) . وقد نشر هذه الورقة بيت التمويل الكويتي . وبعد مقدمة موجزة عن المشروع . ذكرت الورقة شرحاً تفصيلياً للعوامل التي أدت إلى صياغته . وأن أساس الاتفاق الخاص بتوفير رأس المال للبنك من المساهمين هو المضاربة (ص ١١) . وفي (ص ١٠) نصّت على أن يكون موقف أصحاب الحسابات في البنك هو كموقف المساهمين .